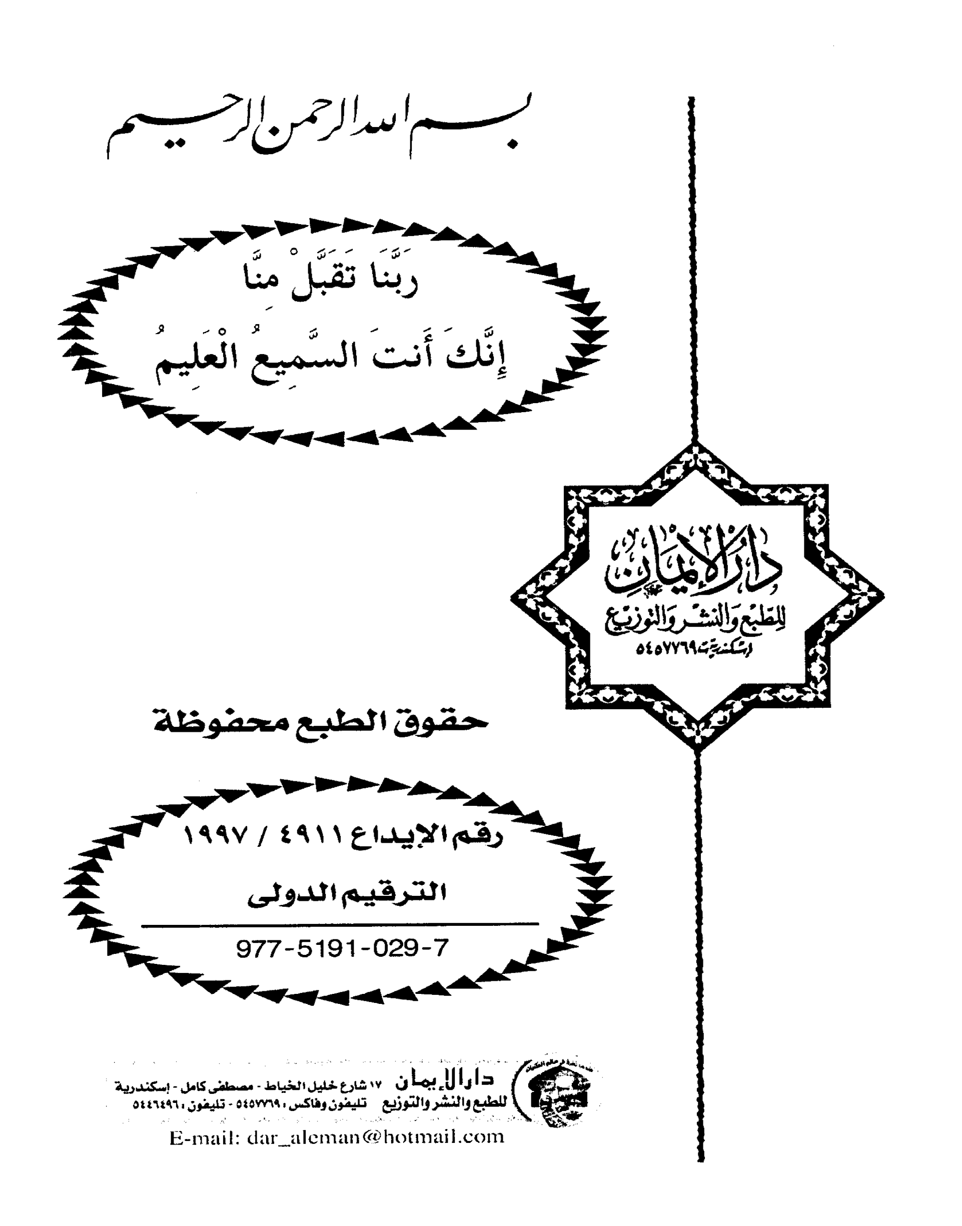


كتبه
سعيد عبد العظيم
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩



بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا
إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ٥٤٥٧٧٦٩

رقم الإيداع ٤٩١١ / ١٩٩٧

الترقيم الدولى

977-5191-029-7

دار الإيمان ١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
للطبع والنشر والتوزيع تليفون وفاكس ٥٤٥٧٧٦٩ - تليفون ٥٤٤٦٤٩٦
E-mail: dar_aleman@hotmail.com

هيا بنا
نؤمن ساعة

مقدمة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن واله ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) ﴾ (١) .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً (١) ﴾ (٢) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً (٧١) ﴾ (٣)

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها ،وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار.

أيها الغادى ، قف ساعة وتفكر ، من أنت ، إلى أين المصير ، أراحل أنت أم مقيم ؟ وإذا كنت مرتحلاً فإلى أين ، أإلى جنة أم إلى نار ؟ فالحياة بغير الله سراب : ﴿ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٣٩) ﴾ (٤) ، [**تعالى نؤمن ساعة ؛ إن القلب أسرع تقلباً من القدْر إذا استجمعت غلياناً**] كلمات قالها عبد الله

(١) سورة آل عمران الآية « ١٠٢ » .
(٢) سورة النساء الآية « ١ » .
(٣) سورة الأحزاب الآيتين « ٧٠ ، ٧١ » .
(٤) سورة النور الآية « ٣٩ » .

ابن رواحة لأبي الدرداء ، وهو آخذ بيده ، وتشابهت مع ما قاله معاذ بن جبل لصاحبه وهو يذكره [**اجلس بنا نؤمن ساعة**] وأحرى بنا والعلم رحم بين أهله ، وقد استحكمت الغربة ، أن يقول الإنسان لنفسه ، وللناس من حوله : [**هيا بنا نؤمن ساعة**] نراجع فيها ديننا ، ونؤدى بها حق ربنا ، وحق النفس والناس من حولنا ، ويهتف فيها كل منا قائلاً : ﴿ **وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ** ﴾[1]، لقد جرت منا الدنيا مجرى الدم من العروق ، ووصل حبها إلى شغاف قلوبنا ، فبعنا آخرتنا بحطام فانٍ وعارية مسترجعة ، ودنيا لا بقاء لها ولا وفاء ، إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة ، والآخرة قد ارتحلت مقبلة، ولكل دار بنون ، فكونوا – يا عباد الله – من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، وإذا أتاك من صرعه عشق العاجلة ، وأماته حب الفانية ، وقال لك عظنى أو ذكرنى أو انصحنى ، فقل له : [**هيا بنا نؤمن ساعة**] واحذر من التأخير، أو التسويف، أو الإعراض ، فقد علمت كيف عاتب رب العزة – جل وعلا – نبيه ﷺ فى شخص عبد الله بن أم مكتوم الأعمى ، فقال تعالى :

﴿ **عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۝١ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ۝٤** ﴾[2]، بل وبادر أنت بهذه الساعة ، واصنع كما صنع صاحب يس الذى أتى من أقصى المدينة : ﴿ **يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ۝٢٠ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٢١ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢٢** ﴾[3] ، فلما أخذوه وعاجلوه بالقتل ، نصحهم

---

(١) سورة طه الآية « ٨٤ » .
(٢) سورة عبس الآيات « ١ – ٤ » .
(٣) سورة يس الآيات « ٢١ ، ٢٢ » .

ميتاً كما نصحهم حياً وقال : ﴿ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (٢٧) ﴾ [١] ، وهكذا فمحبة الخير تجرى فى عروق المؤمنين ؛ ولذلك فلسان حالهم ومقالهم مع الناس يردد ما قاله مؤمن آل فرعون : ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٣٨) يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (٤٠) وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (٤١) تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ (٤٢) لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٤٣) فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٤٤) ﴾ [٢] ، وقد تكون هذه الساعة ، هى ساعة قيامتك ، أو ساعة رحيل وانتقال من تذكر ، فتلقى ربك على عمل صالح ، وتكون بذلك قد بلغت الرسالة ، وأديت الأمانة ، ونصحت الأمة ، وأعذرت نفسك بين يدى ربك بالبلاغ ، وعساها توافق ساعة إجابة ، والدال على خير كفاعله ، ولأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمْر النعم ، وحسبك أن تقوم مقام الدعوة وتستَنّ بسنن الأنبياء والمرسلين : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ [٣] .

---

(١) سورة يس الآيات « ٢٦ ، ٢٧ » .
(٢) سورة غافر الآيات « ٣٨ ، ٤٣ » .
(٣) سورة الأنعام الآية « ٩٠ » .

فاحذر من إضاعة الحقوق ، ولا تبخل بهذه الساعة ، فإن الله أحق أن يُطاع فلا يُعصى ، وأن يُذكر فلا يُنسى ، وأن يُشكر فلا يُكفر ، وأنت ممن يحب أن يُطاع الله فى الأرض ، وأن يكثر عدد المطيعين ، ولو قُرض لحمك بالمقاريض ونُشرت بالمناشير ، فابذلها ولا تبالى إن كانت ساعة بالليل أو بالنهار فلك فى نبى الله نوح أسوة حسنة قال : ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (٧) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (٩)** ﴾[١] .

فإذا وجدت نفوراً ، أو إعراضاً ؛ فاتهم نفسك أولاً قبل أن تتهم الخلائق ، وقل : لعلّى لم أخاطب الناس على قدر عقولهم ، وربما أضفت لشبهاتهم شبهات ؛ وأكون بذلك قد أعنت الشياطين على نفوسهم ، ولم أعنهم على طاعة الله ، ولعل هذه الساعة لم تكن خالصة لوجه الله ؛ ولذلك لم يحدث القبول ؛ فاجمع قلبك على لسانك ، وتوجه لخالق الأرض والسموات بالدعاء، وانتقل من هذه الساعة إلى ساعة أخرى ، واجعل حياتك وقفات على طريق الاستقامة ، وإلا فأنفاسك تُعد ، ورحالك تُشد ، وعاريتك تُرد ، والتراب من بعد ذلك ينتظر الخد ، وعلى أثر من سلف يمشى من خلف ، وما عقبى الباقى غير اللحاق بالماضى ، وما ثم إلا أمل مكذوب ، وأجل مكتوب ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ**

---

(١) سورة نوح الآيات « ٥ — ٨ » .

أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) ﴾ [٢] ، وبين يدى هذا الكتاب : ساعات ، ووقفات كثيرة ، فاختر منها ما شئت فى وعظك ، وتذكيرك لنفسك ولغيرك ، واعلم أن القليل منها مع الإيمان يكفى ، وإلا فكثير الكلام يُنسى بعضه بعضاً ، وهذا أوان الشروع فى المقصود ، والله المستعان ، وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

---

(١) سورة الأنعام الآيتين « ١٦٢ ، ١٦٣ » .



باقات أغلى من الذهب
وقطـوف أحلـى من العسـل

البـاقة الأولـى :

خير الكلام كلام الله تعالى ، فما الذى يمنعك من أن تقول لأخيك : هيا بنا نقرأ شيئاً من كتاب ربنا . فالقرآن هو حبل الله المتين ، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم ، من عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هُدى إلى صراط مستقيم ، لا تشبع منه العلماء ، ولا تلتبس به الألسن ، ولا تزيغ به الأهواء ، ومن تركه واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى ، وأصلاه جهنم وساءت مصيراً ، ردد على سمعك وسمعه بعض آيات الله فهى ﴿ **وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ** ﴾ [(١)] ، وكلها شافية كافية بإذن الله تخاطب العقول والقلوب فى آن واحد ، ومنها ما يأمر المؤمنين بالتوكل فى مواجهة العوائق فى طريق الدعوة : ﴿ **وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (١٢) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (١٣) وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ (١٤) وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (١٥) مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ (١٦) يَتَجَرَّعُهُ وَلا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ (١٧)** ﴾ [(٢)] ، ومنها ما يأمر بالاستقامة .

---

(١) سورة يونس الآية « ٥٧ » .
(٢) سورة إبراهيم الآيات « ١٢ - ١٧ » .

﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٢) ﴾ [١] .

ومنها ما يوضح لك صفات عباد الله : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا (٦٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (٦٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٦٦) وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (٦٧) وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠) وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (٧١) وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٧٢) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٣) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤) أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا (٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٧٦) ﴾ [٢] .

ومنها ما توجه فيها الخطاب لرسول الله ﷺ ، والأمة تدخل في التكليف تبعاً لنبيها صلوات الله وسلامه عليه إلا ما خصه الدليل ، ومن ذلك قوله سبحانه : ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ (٦٤) وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ

---

(١) سورة هود الآية « ١١٢ » .
(٢) سورة الفرقان الآيات « ٦٣ – ٧٦ » .

وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[1] ، فنزه الله وعظمه ، واحمده حمداً كثيراً فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون .

الباقة الثانية :

طرف من خطبه ومواعظه وكلامه ﷺ :

فإذا كان خير الهدى هديه ﷺ ؛ فاجعل تذكيره تذكيرك ؛ قال ابن جرير: حدثنى يونس بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن وهب ، عن سعيد بن الرحمن الجمحى ، « أنه بلغه عن خطبة النبىﷺ فى أول جمعة صلاها بالمدينة فى بنى سالم بن عمرو بن عوف رضى الله عنهم » :

[**الحمد لله أحمده وأستعينه ، وأستغفره وأستهديه ، وأؤمن به ولا أكفره ، وأعادى من يكفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، والنور والموعظة على فترة من الرسل وقلة من العلم ، وضلالة من الناس ، وانقطاع من الزمان ، ودنو من الساعة ، وقرب من الأجل . من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فقد غوى وفرط وضل ضلالاً بعيداً .**

وأوصيكم بتقوى الله ، فإنه خير ما أوصى به مسلم أن يحضه على الآخرة ، وأن يأمره بتقوى الله ، فاحذروا ما حذركم الله من نفسه ، ولا أفضل من ذلك نصيحة ، ولا أفضل من ذلك ذكرى ، وإنه تقوى لمن عمل

---

(١) سورة الزمر الآيات « ٦٤ – ٦٧ » .

به على وجل ومخافة ، وعون صدق على ما يتبعون من أمر الآخرة ، ومن يصلح الذى بينه وبين الله من أمر السر والعلانية لا يبغى بذلك إلا وجه الله ، يكن له ذكراً فى عاجل أمره ، وذخراً فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما قدم ، وما كان من سوى ذلك : يود لو أن بينه وبينه أمداً بعيداً ، ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (١) ، والذى صدق قوله ، وأنجز وعده ، لا خلف لذلك فإنه يقول تعالى : ﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (٢٩) ﴾ (٢) ، واتقوا الله في عاجل أمركم وآجله ، فى السر والعلانية فإنه : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ (٣) .

﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) ﴾ (٤) ، وإن تقوى الله توقى مقته (٥) ، وتوقى عقوبته ، وتوقى سخطه . وإن تقوى الله تبيض الوجه ، وترضى الرب ، وترفع الدرجة ، خذوا بحظكم ولا تفرطوا فى جنب الله . قد علمكم الله كتابه ، ونهج لكم سبيله ، ليعلم الذين صدقوا وليعلم الكاذبين، فأحسنوا كما أحسن الله إليكم ، وعادوا أعداءه ، وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين . ليهلك من هلك عن بينه ، ويحيا من حيِّى عن بينة ، ولا قوة إلا بالله ، فأكثروا ذكر الله ، اعملوا لما بعد الموت فإنه من أصلح ما بينه وبين الله ، يكفه ما بينه وبين الناس ، ذلك بأن الله يقضى على الناس ولا يقضون عليه ، يملك من الناس ولا يملكون منه . الله أكبر ولا قوة إلا بالله العلى العظيم أ . هـ (٦) .

---

(١) سورة آل عمران الآية « ٣٠ » .
(٢) سورة ق الآية « ٢٩ » .
(٣) سورة الطلاق الآية « ٥ » .
(٤) سورة الأحزاب الآية « ٧١ » .
(٥) عقوبته وكراهيته .
(٦) البداية والنهاية لابن كثير جـ ٣ ، ص ٢١٣ . وفى السند إرسال .

وعن عقبة بن عامر الجهني ، أن النبي ﷺ حمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

أما بعد ...

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأوثق العرى كلمة التقوى ، وخير الملل ملة إبراهيم ، وخير السنن سنة محمد ﷺ ، وأشرف الحديث ذكر الله ، وأحسن القصص هذا القرآن ، وخير الأمور عوازمها « وهى الفرائض التى فرضها الله » **، وشر الأمور محدثاتها ، وأحسن الهدى هدى الأنبياء ، وأشرف الموت قتل الشهداء ، وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى . وخير العلم ما نفع وخير الهدى ما اتبع . وشر العمى عمى القلب . واليد العليا خير من اليد السفلى ، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى . وشر المعذرة حين يحضر الموت . وشر الندامة يوم القيامة . ومن الناس من لا يأتى الصلاة إلا دبراً** [أى لا يصلون إلا بعد فوات الوقت] **ومن الناس من لا يذكر الله إلا هجراً** ، « والمراد هجر القلب وترك الإخلاص فى الذكر » ، **وأعظم الخطايا اللسان الكذوب ، وخير الغنى غنى النفس ، وخير الزاد التقوى ، ورأس الحكمة مخافة الله . وخير ما وقر فى القلوب اليقين . والارتياب من الكفر والنياحة من عمل الجاهلية والغلول من جنى جهنم والكنز كى من النار** « المال الذى لم تؤد زكاته يكوى جلد صاحبه يوم القيامة » **والشعر من مزامير إبليس والخمر جماع الإثم . والنساء حبالة الشيطان . والشباب شعبة من الجنون ، وشر المكاسب كسب الربا وشر المآكل مال اليتيم ، والسعيد من وعظ بغيره ، والشقى من شقى فى بطن أمه ، وإنما يصير أحدكم إلى موضع أربع أذرع ، والأمر بآخره . وملاك العمل خواتمه ، وشر الروايا روايا**

الكذب « أي الذين يكثرون رواية الكذب » **وكل ما هو آت قريب . وسباب المؤمن فسوق ، وقتاله كفر ، وأكل لحمه من معصية الله ، وحرمة ماله كحرمة دمه ، ومن يتأل على الله يكذبه** « أي حلف ليغفرن الله له » **ومن يغفر يغفر الله له ، ومن يعف يعف الله عنه ، ومن يكظم الغيظ يؤجره الله ، ومن يصبر على الرزية يعوضه الله ، ومن يتبع السمعة يسمّع الله به** « أي من سلك سبيل الرياء شهر الله به » **ومن يصبر يضعّف الله له . ومن يعص الله يعذبه . اللهم ، اغفر لي ، ولأمتي ، اللهم اغفر لي ولأمتي ، استغفر الله لي ولكم »** [١] .

وعن ابن مسعود أن النبي ﷺ حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد :

[**إنما هما اثنتان : الكلام والهدى . فأحسن الكلام كلام الله ، وأحسن الهدى هدى محمد . ألا وإياكم ومحدثات الأمور ؛ فإن شر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، ألا لا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم . ألا إن كل ما آت قريب ، وإنما البعيد ما ليس بآت ، ألا إنما الشقي من شقي في بطن أمه ، والسعيد من وعظ بغيره . ألا إن قتال المؤمن كفر ، وسبابه فسوق ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث** « وذلك ما لم يكن هجره لله بل لحظ النفس » **ألا وإياكم والكذب ، فإن الكذب لا يصلح لا بالجد ، ولا بالهزل . ولا يعدُ الرجل صبيّه فلا يفي له . وإن الكذب يهدى إلى الفجور ، وإن الفجور يهدى إلى النار وإن الصدق يهدى إلى البر ، وإن البر يهدى إلى الجنة . وإنه يقال للصادق**

---

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل ، وابن عساكر وابن أبي شيبة وأبو نعيم عن ابن مسعود مرفوعاً بسند حسن .

صدق وبر . ويقال للكاذب كذب وفجْر . وإن العبد يكذب حتى يكتب عند الله كذاباً] [١] .

وعن عليّ أن النبى ﷺ حمد الله وأثنى عليه ، وقال :

[أما بعد ، أيها الناس : كأن الموت فيها على غيرنا قد كتب وكأن الحق فيها على غيرنا قد وجب . وكأن الذى نشيع من الأموات سَفْر « جمع مسافر » عما قليل إلينا راجعون ، نبوؤهم أجداثهم « قبورهم » ونأكل تراثهم كأنا مخلدون بعدهم . وقد نسينا كل واعظة ، وأمنّا كل جائحة [٢] . طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ، طوبى لمن طاب كسبه وصلحت سريرته ، وحسنت علانيته واستقامت طويته . طوبى لمن تواضع لله فى غير منقصه ، وأنفق مالا جمعه فى غير معصية وجالس أهل الفقه والحكمة ، وخالط أهل الذل والمسكنة . طوبى لمن زكت وحسنت خليقته ، وطابت سريرته ، وعزل عن الناس شره. طوبى لمن أنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله. ووسعته السُّنة ولم تستهوه البدعة. وفى رواية – ولم يعد عنها إلى البدعة] [٣] .

وهذه الخطبة صحيحة المعنى إلا أن المحدثين لا يصححون نسبتها لرسول الله ﷺ .

وقد صح عنه ﷺ أنه خطب فى حجة الوادع فقال :

[الحمد لله ؛ نحمده ونستعينه ، ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، وأحثكم على

---

(١) أخرجه ابن ماجه بسند جيد .
(٢) الجائحة : أى الشدة ، القاموس المحيط .
(٣) أخرجه أبو نعيم فى الحلية « ٣ / ٢٠٢ – ٢٠٣ » .

طاعته ، وأستفتح بالذى هو خير .

أيها الناس ، اسمعوا قولى ؛ فإنى لا أدرى ، لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبداً . أيها الناس : إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام ، إلى أن تلقوا ربكم . كحرمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا ، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم وقد بلغت ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها . وإن كل ربا موضوع ، ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ، قضى الله أنه لا ربا ، وإن ربا عباس ابن عبد المطلب موضوع كله ، وإن كل دم كان فى الجاهلية موضوع . وإن أول دمائكم أضع ، دم ابن ربيعة بن الحارث - وكان مسترضعاً فى بنى ليث فقتلته هذيل - فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية .

أما بعد . أيها الناس ، إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه أبداً ، ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم ، فاحذروه على دينكم . أيها الناس : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ[١] زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ ﴾[٢] ، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾[٣] ، ثلاث متوالية « وهى ذو القعدة وذو الحجة ومحرم » ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان .

أما بعد أيها الناس : فإن لكم على نسائكم حقاً ، ولهن عليكم حقاً ،

---

(١) تأخير تحريم المحرم إلى صفر لاستحلال القتال فى المحرم .
(٢) سورة التوبة الآية « ٣٧ » .
(٣) سورة التوبة الآية « ٣٦ » .

لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، وعليهن ألا يأتين بفاحشة مبينة فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح . فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن عندكم عوان « أسيرات » لا يملكن لأنفسهن شيئاً . وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله « وهو الزواج الشرعى بما فيه من إيجاب وقبول » فاعقلوا أيها الناس قولى ، فإنى قد بلغت . وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً ، أمراً بيناً . كتاب الله وسنة نبيه . أيها الناس : اسمعوا قولى واعقلوه . تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم ، وأن المسلمين إخوة ، فلا يحل لمسلم من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن أنفسكم ، ألا هل بلغت ؟ فقال الناس : اللهم نعم . فقال رسول الله ﷺ : [اللهم اشهد] .

وقد ورد فى بعض الطرق :

أيها الناس ، إن ربكم واحد وإن أباكم واحد،كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم ليس لعربى على عجمى فضل إلا بالتقوى، ألا هل بلغت ؟ قالوا : نعم . قال : فليبلغ الشاهد منكم الغائب .

أيها الناس : إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ، ولا يجوز لوارث وصية ، ولا تجوز وصية فى أكثر من الثلث .

والولد للفراش وللعاهر الحجر « فلا حق للزانى فى الولد ، وإنما الولد لصاحب الفراش » من ادعى إلى غير أبيه ، أو تولى غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ومن جوامع كلمه ﷺ :

[**من يضمن لى ما بين لحييه ، وما بين رجليه أضمن له الجنة**] (١) .

و [**اليد العليا خير من اليد السفلى**] (٢) .

وفى الحديث [**خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى وابدأ بمن تعول**] (٣) .

ومن أقواله ﷺ :

[تنكح المرأة لأربع : **لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك**] (٤) ، وثبت عنه أنه قال : [**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**] (٥) ، وفى الحديث [**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه**] (٦) .

وصح عنه ﷺ أنه قال :

[**كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من أهل القبور**] (٧) ، فطالع أقوال الصادق المصدوق ﷺ وأحواله ، وقد أوتى جوامع الكلم ، وفواتحه ، وخواتمه ، وهو خير من دعا وبلغ البلاغ المبين ، وقام لله بحقه حتى آتاه اليقين ، واحرص على الاستنان بسنته تفز بسعادة الدارين .

---

(١) **صحيح** : رواه البخارى « ٦٤٧٤ » .
(٢) **صحيح** : البخارى « ١٤٢٨ » ومسلم « ١٠٣٥ » وفى أكثر من موضع .
(٣) **صحيح** : مسلم « ١٠٣٤ » .
(٤) **صحيح** : البخارى « ٥٠٩٠ » ومسلم « ١٤٦٦ » .
(٥) **صحيح** : البخارى « ٦٤٧٥ » ومسلم « ٤٧ » .
(٦) **صحيح** : البخارى « ١٠ ، ٦٤٨٤ » .
(٧) **صحيح** : البخارى « ٦٤١٦ » بلفظ : « كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » والزيادة للترمذى « ٢٣٣٣ » وغيره .

الباقة الثالثة :

طرف من خطب أبى بكر ، ومواعظه ، وكلامه رضي الله عنه سنة ثلاث عشرة هجرية فقال :

الحمد لله ؛ أحمده ، وأستعينه ، وأسأله الكرامة فيما بعد الموت ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً ، وسراجاً منيراً لينذر من كان حياً ، ويحق القول على الكافرين .

من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فقد ضل ضلالاً مبيناً . أوصيكم بتقوى الله ، والاعتصام بأمر الله ، الذى شرع لكم وهداكم به ، فإنه جوامع هدى الإسلام بعد كلمة الإخلاص ، والسمع والطاعة لمن ولاه الله أمركم ؛ فإنه من يطع والى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فقد أفلح ، وأدى الذى عليه من الحق . وإياكم واتباع الهوى . فقد أفلح من حفظ من الهوى والطمع والغضب ، وإياكم والفخر ، وما فخر من خلق من تراب ! ثم إلى التراب يعود ، ثم يأكله الدود ، ثم هو اليوم حى ، وغداً ميت . فاعلموا يوماً بيوم ، وساعة بساعة ، وتَوَّقوْا دعاء المظلوم ، وعدوا أنفسكم فى الموتى . واصبروا فإن العمل كله بالصبر . واحذروا فالحذر ينفع . واعملوا فالعمل يقبل . واحذروا ما حذركم الله من عذابه .

وسارعوا فيما وعدكم الله من رحمته ، وافهموا تفهموا ، واتقوا تُقوا ، وإن الله قد بين لكم ما أهلك به من كان قبلكم ، وما نجا به من نجا قبلكم ، وقد بين لكم فى كتابه حلاله وحرامه ، وما يجب من الأعمال وما يكره ، واعلموا أنكم ما أخلصتم لله من أعمالكم ، فربكم أطعتم . وحظكم حفظتم واغْبطتم . وما تطوعتم به فاجعلوه نوافل بين أيديكم تستوفوا بسلفكم ، وتعطوا

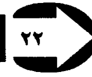
جزاءكم حين فقركم وحاجتكم إليها . ثم تفكروا عباد الله فى إخوانكم ، وصحابتكم الذين مضوا . وقد وردوا على ما قدموا فأقاموا عليه . وأحلوا فى الشقاء والسعادة فيما بعد الموت . إن الله ليس له شريك ، ولا بينه وبين أحد من خلقه نسب يعطيه به خيراً ، ولا يصرف عنه سوءاً إلا بطاعته ، واتباع أمره . فإنه لا خير فى خير بعده النار ، ولا شر فى شر بعده الجنة . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم . وصلوا على نبيكم محمد ﷺ . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته [١] .

وعن هشام بن عروة عن أبيه قال : لما ولى أبو بكر خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : [أما بعد . أيها الناس . قد وليت أمركم ولست بخيركم ، ولكن قد نزل القرآن وسن النبى ﷺ السنن فعلمنا ، اعلموا أن أكيس الكيّس التقوى ، وإن أحمق الحمق الفجور ، إن أقواكم عندى الضعيفُ حتى آخذ له بحقه ، وإن أضعفكم عندى القوى حتى آخذ منه الحق ، أيها الناس ، إنما أنا متبع ولست بمبتدع ، فإن أحسنت فأعينونى ، وإن زغت فقومونى] .

وعن الحسن قال : لما بويع « أبو بكر » قام خطيباً ، فلا والله ما خطب خطبته أحد بعد ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أما بعد فإنى وليت هذا الأمر ، وأنا له كاره ، والله لوددت أن بعضكم كفانيه ، ألا وإنكم إن كلفتمونى أن أعمل فيكم مثل عمل رسول الله ﷺ لم أقم به ، كان رسول الله ﷺ عبداً أكرمه الله بالوحى وعصمه به ، ألا وإنما أنا بشر ، ولست بخير من أحد منكم

---

(١) أخرجه بن أبى الدنيا ، وابن عساكر .



فراعونى « راقبونى وانظروا ماذا أفعل » فإذا رأيتمونى استقمت فاتبعونى ، وإذا رأيتمونى زغت فاجتنبونى لا أوثر فى أشعاركم وأبشاركم .

وعن يحيى أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان يقول فى خطبته : « أين الوضاء الحسنة وجوههم ، المعجبون بشأنهم ؟ أين الملوك الذين بنوا المدائن ، وحصنوها بالحيطان ؟ أين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب ؟ قد تضعضع بهم الدهر ؛ فأصبحوا فى ظلمات القبور ، الوحَا الوحَا « السرعة السرعة » ، النجاء النجاء »[١] .

وعن عبد الله بن عكيم قال : خطبنا أبو بكر فقال : أما بعد ، فإنى أوصيكم بتقوى الله ، وأن تثنوا عليه بما هو أهله ، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة ، وتجمعوا الإلحاف بالمسألة ؛ إن الله أثنى على زكريا وأهل بيته ، فقال : ﴿ **إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (٩٠)** ﴾[٢] ، اعلموا عباد الله أن الله قد ارتهن بحقه أنفسكم ، وأخذ على ذلك مواثيقكم ، واشترى منكم القليل الفانى بالكثير الباقى ، وهذا كتاب الله فيكم لا تفنى عجائبه ، ولا يطفأ نوره ، فصدقوا قوله ، وانتصحوا كتابه ، واستضيئوا منه ليوم القيامة ، وإنما خلقكم لعبادته ووكل بكم الكرام الكاتبين يعلمون ما تفعلون .

ثم اعلموا عباد الله أنكم تغدون وترحون فى أجل قد غُيب عنكم علمه ، فإن استطعتم أن تنقضى الآجال وأنتم فى عمل الله فافعلوا ، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله ، فسابقوا فى مهل آجالكم قبل أن تنقضى آجالكم ، فتردكم

---

(١) النجاء : أى النجاة .

(٢) سورة الأنبياء الآية « ٩٠ » .

إلى سوء أعمالكم ، فإن أقواماً جعلوا آجالهم لغيرهم ، ونسوا أنفسهم فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم ، الوحا الوحا ، النجاء النجاء ، إن وراءكم طالباً حثيثاً مرّه سريع » .

عن عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط قال : لما حضر أبا بكر الصديق الموتُ دعا عمر فقال له : « اتق الله يا عمر ، واعلم أن لله عملاً بالنهار لا يقبله بالليل ، وعملاً بالليل لا يقبله بالنهار ، وأنه لا يقبل نافلة حتى تؤدى فريضته ، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق فى دار الدنيا وثقله عليهم ، وحقٌ لميزان يوضع فيه الحق غداً أن يكون ثقيلاً ، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل فى الدنيا وخفته عليهم ، وحقٌ لميزان يوضع فيه الباطل غداً أن يكون خفيفاً ، وإن الله تعالى ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئه ، فإذا ذكرتهم قلت: إنى لأخاف أن لا ألحق بهم . وإن الله تعالى ذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم ، ورد عليهم أحسنه ، فإذا ذكرتهم قلت : إنى لأرجو أن لا أكون مع هؤلاء ليكون العبد راغباً راهباً ، لا يتمنى على الله ، ولا يقنط من رحمة الله ، فإن أنت حفظت وصيتى فلا يك غائب أحب إليك من الموتى وهو آتيك ، وإن أنت ضيعت وصيتى فلا يك غائب أبغض إليك من الموت ، ولست تعجزه .

الباقة الرابعة :

طرف من خطب الفاروق ، ومواعظه ، وكلامه رضي الله عنه :

خطب عمر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : « أما بعد . أوصيكم

بتقوى الله الذى يبقى ، ويفنى ما سواه . الذى بطاعته يكرم أولياءه ، وبمعصيته يضل أعداءه . فليس لهالك معذرة فى فعل ضلالة حسبها هدى ولا فى ترك حق حسبه ضلالة . تعلموا القرآن تعرفوا به ، واعملوا به تكونوا من أهله . فإنه لم تبلغ منزلة ذى حق أن يطاع فى معصية الله ، واعلموا أن بين العبد وبين رزقه حجاجاً . إن صبر أتاه رزقه ، وإن اقتحم هتك الحجاب لم يدرك فوق رزقه، وإياكم وأخلاق العجم ، ومجاورة الجبابرة . وأن تجلسوا على مائدة يشرب عليها الخمر ، وأن تدخلوا الحمام بغير مئزر . وإياكم والصّغار أن تجعلوه فى رقابكم . واعلموا أن سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر ، ولا يحل لك أن تهجر أخاك فوق ثلاثة أيام ، ومن أتى ساحراً أو كاهناً أو عرافاً فصدقه ما يقول ، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ ، ولا يخلون رجل امرأة فإن الشيطان ثالثهما . ومن ساءته سيئته وسرته حسنته فهو أمارة المسلم المؤمن . وشر الأمور مبتدعاتها . وإن الاقتصاد فى سنة ، خير من الاجتهاد فى بدعة . وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، فإنه أهون لحسابكم ، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا ، وتزينوا للعرض الأكبر يوم تعرضون لا تخفى منكم خافية ، وعليكم بهذا القرآن ؛ فإن فيه نوراً وشفاءاً .وغيره الشقاء . وقد قضيت الذى علىّ فيما ولانى الله -عز وجل- من أموركم ، ووعظتكم نصحاً لكم أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم»[١].

قال الأحنف : قال لِي عمر بن الخطاب : يا أحنف ، من كثر ضحكه قلت هيبته ، ومن مزح استخف به ، ومن أكثر من شيء عُرف به ، ومن كثر كلامه كثر سقطه ، ومن كثر سقطه قلّ حياؤه ، ومن قل حياؤه قل ورعه ،

---

(١) أخرجه الحاكم وابن عساكر .

ومن قل ورعه مات قلبه .

وعن وديعة الأنصارى قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول ، وهو يعظ رجلاً : لا تكلم فيما لا يعنيك ، واعرف عدوك ، واحذر صديقك إلا الأمين ، « الأمين هو من يخشى الله » ، ولا تمشى مع الفاجر فيعلمك من فجوره ، ولا تطلعه على سرك ، ولا تشاور فى أمرك إلا الذين يخشون الله عز وجل .

وعن عمرو بن ميمون ، قال : إنى لقائم ما بينى وبين عمر إلا عبد الله بن عباس غداة أصيب ، وكان إذا مر بين الصفين قال : استووا حتى إذا لم ير فيهن خللاً تقدم فكبر ، وربما قرأ سورة يوسف ، أو النحل ، أو نحو ذلك فى الركعة الأولى حتى يجتمع الناس فما هو إلا أن كبر فسمعته يقول : قتلنى أو أكلنى الكلب ، وحين طعنه ، وطار العلج بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد يميناً وشمالاً إلا طعنه ، حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً مات منهم سبعة ، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه بُرنساً « هو كل ثوب رأسه منه» فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه . وتناول عمر بيد عبد الرحمن بن عوف ، فقدمه فمن يلى عمر فقد رأى الذى أرى ، وأما نواحى المسجد ، فإنهم لا يدركون غير أنهم فقدوا صوت عمر وهم يقولون : سبحان الله ! سبحان الله ! فصلى بهم عبد الرحمن بن عوف صلاة خفيفة ، فلما انصرفوا قال : ابن عباس ، انظر من قتلنى ؟ فجال ساعة ثم جاء فقال : غلام المغيرة . قال الصَّنع « وهو الذى يعمل بيديه » ؟ قال : نعم . قال : قاتله الله لقد أمرت به معروفاً ، الحمد لله الذى لم يجعل ميتتى بيد رجل يدَّعى الإسلام ، قد كنت أنت وأبوك تحبان أن يكثر العلوج « الأعاجم » بالمدينة . وكان العباس أكثرهم رقيقاً - فقال : إن شئت فعلت : أى قتلناهم . قال: « كذبت (أخطأت) بعد ما تكلموا

بلسانكم ، وصلوا إلى قبلتكم ، وحجوا احجكم » . فاحتمل إلى بيته ، فانطلقنا معه ، وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ ، فقائل يقول: لا بأس . وقائل يقول : أخاف عليه . فأتى بنبيذ « عصير لم يتخمر » فشربه فخرج من جوفه ، ثم أتى بلبن فشربه فخرج من جوفه فعرفوا أنه ميت ، فدخلنا عليه وجاء الناس يثنون عليه ، وجاء رجل شاب فقال : أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك ، من صحبة رسول الله ﷺ ، وقدم فى الإسلام ما قد علمت ، ثم وليت ، فعدلت ، ثم شهادة . قال : وددت أن ذلك كان كفافاً لالى ولا عَلَىّ . فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض ، قال : ردوا علىَّ الغلام . قال: يا ابن أخى ، رفع ثوبك ؛ فإنه أنقى لثوبك ، وأتقى لربك ، يا عبد الله بن عمر انظر ما على من الدّين ، فحسبوه فوجدوه سبعة وثمانين ألفاً أو نحوه قال : إن وفاه مال آل عمر فأده من أموالهم وإلا فسل فى بنى عدى بن كعب ، فإن لم تف أموالهم فسل فى قريش ولا تعدُهم إلى غيرهم فأدّ عنى هذا المال ، انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل لها : يقرأ عليك عمر السلام – ولا تقل أمير المؤمنين ؛ فإنى لست اليوم للمؤمنين أميراً قل : يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه ، فمضى فسلمً واستأذن ، ثم دخل عليها ، فوجدها قاعدة تبكى، فقال : يقرأ عليكِ عمر السلام ويقول لك : يستأذن أن يدفن مع صاحبيه . فقالت : كنت أريده لنفسى ولأوثرنه اليوم على نفسى . فلما أقبل قيل : هذا عبد الله بن عمر قد جاء . قال : ارفعونى . فأسنده رجل إليه فقال : ما لديك ؟ قال : الذى تحب يا أمير المؤمنين ، أذنت . قال : الحمد لله ما كان شىء أهم إلى من ذلك ، فإذا أنا قُبضت فاحملونى ، ثم سلّم وقل : يستأذن عمر بن الخطاب ، فإن أذنت لى فأدخلونى ، وإن ردتنى فردونى إلى مقابر المسلمين .

وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء يسرن معها ، فلما رأيناها قمنا ، فولجت عليه ، فبكت عنده ساعة ، فاستأذن الرجال ، فولجت داخلاً ، فسمعنا بكاءها من الداخل ، فلما قُبض خرجنا به فانطلقنا به ، فسلم عبد الله بن عمر وقال : يستأذن عمر . قالت : أدخلوه ، فأُدخل فوضع هنالك مع صاحبيه] [١] .

وعن عثمان بن عفان قال : « أنا آخركم عهداً بعمر ، دخلت عليه ورأسه في حجر ابنه عبد الله ، فقال له : ضع خدى بالأرض . قال : فهل فخذى والأرض إلا سواء ؟ قال : ضع خدى بالأرض لا أم لك . في الثانية أو الثالثة ، وسمعته يقول : ويلى وويل أمى إن لم تغفر لى ، حتى فاضت نفسه .

رحم الله عمر رحمة واسعة ، فقد سار على درب صاحبيه فكانوا تذكرة في حياتهم وعند وفاتهم » .

ونسأل الله أن يميتنا على محبتهم ، وأن يحشرنا في زمرتهم.. اللهم آمين .

الباقية الخامسة :

عثمان رضي الله عنه وتذكرة السلوك :

فالتذكرة كما تكون بالقول ، تكون أيضاً بالفعل والسلوك ، ومن هنا كانت معرفة السيرة : مطالعة الأقوال والأحوال لهؤلاء الأفاضل ، حياة للقلوب والأرواح وباعثاً على زيادة الإيمان دافعاً لحسن التأسى .

فعن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال : أشرف عثمان من القصر وهو محصور ، فقال : أنشد بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم حراء إذ اهتز الجبل

---

(١) انفرد بإخراجه البخارى فى كتاب المناقب .

فركضه « ضربه » بقدمه ثم قال : [**اسكن حراء ليس عليك إلا نبى ، أو صديق ، أو شهيد**] (١) وأنا معه . فانتشد له رجال « أى أجابوه » .

قال : أنشد بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم بيعة الرضوان ، إذ بعثنى إلى المشركين من أهل مكة قال : هذه يدى ، وهذه يد عثمان . فبايع ، فانتشد له رجال .

قال : أنشد بالله من سمع رسول الله ﷺ قال : [**من يوسع لنا بهذا البيت فى المسجد ببيت له فى الجنة ؟**] فابتعته من مالى فوسعت به المسجد . فانتشد له رجال .

قال : [وأنشد بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم جيش العسرة قال : [**من ينفق اليوم نفقه متقبلة ؟**] فجهزت نصف الجيش من مالى . قال : فانتشد له رجال .

قال : أنشد بالله من شهد رومة « بئر بالمدينة » يباع ماؤها ابن السبيل فابتعتها من مالى ؛ فأبحتها ابن السبيل . فانتشد له رجال] (٢) .

وعن عبد الرحمن بن خباب السلمى قال : خطب النبى ﷺ فحث على جيش العسرة ، فقال : عثمان علىَّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها . ثم نزل حث ، فقال عثمان : على مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها . قال : ثم مرقاة من المنبر ، ثم حث ، فقال عثمان : علىَّ مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها . فرأيت النبى ﷺ يقول بيده يحركها [**ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم**] (٣) .

---

(١) صحيح مسلم « ٢٤١٧ » وغيره .
(٢) رواه أحمد « ٤٢٢ » ، وأخرجه أيضاً الترمذى باختلاف يسير جداً .
(٣) أخرجه الترمذى « ٣٧٠١ » وغيره .

وعن الزبير بن عبد الله عن جَّدة له يقال لها رُهَيمة قالت : « كان عثمان يصوم الدهر ويقوم الليل إلا هجعةً من أوله » [١] .

وعن ابن عمر قال : [كنا نخير « نفاضل » بين الناس فى زمان رسول الله ﷺ فنخير أبا بكر ، ثم عمر بن الخطاب ، ثم عثمان بن عفان] [٢] .

وقد خطب ذو النورين رضي الله عنه حين بايعه أهل الشورى « وهم الستة الذين وكل إليهم عمر التشاور فيمن يكون الخليفة بعده » فحمد الله ، وأثنى عليه وصلى على النبى ﷺ ثم قال : إنكم فى دار قلعة « أى دار انقلاع وارتحال » وفى بقية أعمار . فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه ، ألا وإن الدنيا قد طويت على الغرور ﴿ **فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ** ﴾ [٣] ، واعتبروا بمن مضى ، ثم جدّوا ولا تغفلوا ؛ فإنه لا يغفل عنكم ، أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين آثروها وعمروها ، ومتعوا بها طويلاً ؟ ألم تلفظهم ! ارموا بالدنيا حيث رمى الله بها ، واطلبوا الآخرة ؛ فإن الله قد ضرب لها مثلاً والذى هو خير فقال عز وجل : ﴿ **وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا (٤٥) الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً (٤٦)** ﴾ [٤]

---

(١) رواه أحمد .
(٢) أخرجه البخارى .
(٣) سورة لقمان الآية « ٣٣ » .
(٤) سورة الكهف الآيات « ٤٥ ، ٤٦ » ، والأثر ذكره الطبرى .

الباقة السادسة :

طرف من خطب عليّ رابع الخلفاء الراشدين رضي الله عنه ومواعظه وكلامه :

قال عيسى بن دأب : لما انصرف على رضي الله عنه من « النهروان » قام فى الناس خطيباً فقال : الحمد لله فاطر الخلق ، وفالق الإصباح ، وناشر الموتى ، وباعث من فى القبور ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أوصيكم بتقوى الله ؛ فإن أفضل ما توسل به العبد : الإيمان ، والجهاد فى سبيله ، وكلمة الإخلاص ؛ فإنها الفطرة ، وإقام الصلاة ؛ فإنها الملة ، وإيتاء الزكاة ؛ فإنها فريضة ، وصوم شهر رمضان ؛ فإن جنة من عذابه ، وحج البيت، فإنه منفاة للفقر ، وملاحقة للذنب ، وصلة الرحم ؛ فإنها مثراة فى المال ، منسأة فى الأجل ، محبة فى الأهل ، وصدقة السر ، فإنها تكفر الخطيئة ، وتطفئ غضب الرب ، وصنع المعروف ؛ فإنه يدفع ميته السوء ، ويقى مصارع الهول . أفيضوا فى ذكر الله ، فإنه أحسن الذكر ، وارغبوا فيما وعد المتقون ، فإن وعد الله أصدق الوعد ، واقتدوا بهدى نبيكم ﷺ فإنه أفضل الهدى ، وتفقهوا فى الدين ، فإنه ربيع القلوب ، واستشفوا بنوره ؛ فإنه شفاء لما فى الصدور ، وأحسنوا تلاوته ، فإنه أحسن القصص ﴿ **وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٢٠٤)** ﴾ [(١)] ، وإذا هديتم بعلمه فاعلموا بما علمتم به لعلكم تهتدون ؛ فإن العالم العامل بغير علمه ، كالجاهل الحائر الذى لا يستقيم عن جهله ، بل قد رأيت أن الحجة أعظم ، والحسرة أدوم على هذا العالم المنسلخ من علمه ، من هذا الجاهل المتحير فى جهلة ، وكلاهما مضلل مثبور « هالك » . لا ترتابوا فتشكوا ، ولا تشكوا فتكفروا ، ولا ترخصوا

---

(١) سورة الأعراف الآية « ٢٠٤ » .

لأنفسكم ؛ فتذهلوا فى الحق ؛ فتخسروا . ألا وإن من الحزم أن تتقوا ؛ ومن الثقة أن لا تفتروا ، وإن أنصحكم لنفسه أطوعكم لربه ، وإن أغشكم لنفسه أعصاكم لربه ، ومن يطع الله يأمن ويستبشر ، ومن يعص الله يخف ويندم ، ثم سلوا الله اليقين ، وارغبوا إليه فى العافية ، وخير ما دام فى القلب اليقين ، إن عوازم الأمور أفضلها ، وإن محدثاتها شرارها ، وكل محدثة بدعة ، وكل محدث مبتدع ، ومن ابتدع فقد ضيّع ، وما أحدث محدث بدعة إلا ترك بها سنة. المغبون من غبن دينه ، والمغبون من خسر نفسه ، وإن الرياء من الشرك ، وإن الإخلاص من العمل والإيمان ، ومجالس اللهو تنسى القرآن ، ويحضرها الشيطان ، وتدعو إلى كل غى ، ومجالسه النساء تزيغ القلوب ، وتطمح إليها الأبصار ، وهى مصائد الشيطان ؛ فاصدقوا الله فإن الله مع من صدق ، وجانبوا الكذب ؛ فإن الكذب مجانب للإيمان ، ألا إن الصدق على شرف «على راغبة فيه » منجاة وكرامة ، وإن الكذب على شرف ردئ وهلكة ، ألا وقولوا الحق تعرفوا به ، واعملوا به تكونوا من أهله ، وأدوا الأمانة إلى من ائتمنكم ، وصلوا أرحام من قطعكم ، وعودوا بالفضل على من حرمكم ، وإذا عاهدتم فأوفوا ، وإذا حكمتم فاعدلوا ، ولا تفاخروا بالآباء ، ولا تنابزوا بالألقاب « أى لا يدعو بعضكم بعضاً بما يسوءه » ولا تمازحوا ، ولا يغتب بعضكم بعضاً ، وأعينوا الضعيف ، والمظلوم ، والغارمين فى سبيل الله ، وابن السبيل ، والسائلين ، وفى الرقاب ، وارحموا الأرملة ، واليتيم ، وأفشوا السلام ، وردوا التحية على أهلها بمثلها وبأحسن منها ، وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، واتقوا الله ، إن الله شديد العقاب ، وأكرموا الضعيف ، وأحسنوا إلى الجار ، وعودوا المرضى ، وشيعوا الجنائز ،

وكونوا عباد الله إخوانا .

أما بعد :

فإن الدنيا قد أدبرت ، وآذنت بوداع ، وإن الآخرة قد أظلت وأشرفت بإطلاع ، وإن المضمار اليوم ، وغداً السباق ، وإن السبقة « أى إن الجنة هى التى ينبغى التسابق إليها بالعمل الصالح » الجنة ، والغاية النار ، ألا وإنكم فى أيام مُهل ، من ورائها أجل يحثه عجل ، فمن أخلص لله عمله فى أيام مهله ، قبل حضور أجله ، فقد أحسن عمله ، ونال أمله ، ومن قصر من ذلك فقد خسر عمله ، وخاب أمله ، وضره أمله .

فاعملوا فى الرغبة والرهبة ، فإن نزلت بكم رغبة فاشكروا الله ، واجمعوا معها رهبة ، وإن نزلت بكم رهبة فاذكروا الله واجمعوا معها رغبة ، فإن الله قد تأذن – أى أعلم – المسلمين بالحسنى ، ومن شكر بالزيادة . وإنى لم أر مثل الجنة نام طالبها ، ولا كالنار نام هاربها ، ولا أكثر مكتسباً من شيء كسبه ليوم تدخر فيه الدخائر ، وتبلى فيه السرائر « يصير السر علانية » وتجتمع فيه الكبائر ، وإنه من لا ينفعه الحق يضره الباطل ، ومن لا يستقيم به الهدى يجور به الضلال ، ومن لا ينفعه اليقين يضره الشك ، ومن لا ينفعه حاضره فعازبه عنه أعور ، وغائبه عنه أعجز « العازب : البعيد ، أى من لا ينتفع بالحاضر ، لا يستفيد من الغائب » . وإنكم قد أمرتم بالظعن ، ودُلّلتم على الزاد ، ألا وإن أخوف ما أخاف عليكم اثنان : طول الأمل ، واتباع الهوى ، فأما طول الأمل فينسى الآخرة ، وأما اتباع الهوى فيبعد عن الحق . ألا وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة ، وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة ، ولهما بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة إن استطعتم ، ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، فإن اليوم عمل ولا حساب ، وغداً

حساب ولا عمل » [١] .

وعن أبى صالح قال : قال معاوية بن أبى سفيان لضرار بن ضمرة : صف لى علياً : فقال : أوتعفينى ؟ قال : بل صفه . قال : أوتعفينى ؟ قال : بل صفه . قال أوتعفينى ؟ قال : لا أعفيك . قال : أما إذاً ؛ فإنه والله كان بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فصلاً ويحكم عدلاً ، يتفجر العلم من جوانبه ، وينطق بالحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل وظلمته ، وكان والله غريز الدمعة ، طويل الفكرة ، يقلب كفه ، ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما خشُن ، ومن الطعام ما جَشُبَ « الغليظ الخشن » ، وكان والله كأحدنا ، يجيبنا إذا سألناه ، ويبتدئنا إذا أتيناه ، ويأتينا إذا دعوناه ، ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه هيبة ، ولا نبتدئه لعظمه . فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ ، يعظم أهل الدين ، ويحب المساكين ، ولا يطمع القوى فى باطله ، ولا ييئس الضعيف من عدله ، وأشهد بالله لقد رأيته فى بعض مواقفه ، وقد أرخى الليل سدوله ، وغاربه نجومه ، وقد مثل فى محرابه قابضاً على لحيته يتململ « تململ السليم « المريض » ويبكى بكاء الحزين ، وكأنى أسمعه وهو يقول : يا دنيا يا دنيا أبى تعرّضت أم لى تشوّفت ؟ هيهاتُ غرّى غيرى قد نبتك « طلقتك طلاقاً بائناً » ثلاثاً لا رجعة فيك ؛ فعمرك قصير ، وعيشك حقير ، وخطرك كبير ، آه من قلة الزاد ، وبُعد السفر ، ووحشة الطريق . قال : فذرفت دموع معاوية رضي الله عنه حتى خرّت على لحيته ، فما يملكها وهو ينشفها بكمه ، وقد اختنق القوم بالبكاء ، ثم قال معاوية : رحم الله أبا الحسن ، كان

---

(١) ذكره ابن كثير فى البداية والنهاية .

والله كذلك ، كفيف حزنك عليه ياضرار قال : حزن من ذُبح ولدها فى حجرها فلا ترفأ « لا تجف عبرتها ، ولا يسكن حزنها .

وعن رجل من بنى شيبان أن علىّ بن أبى طالب رضي الله عنه خطب فقال : « الحمد لله ؛ أحمده ونستعينه ، وأؤمن به وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليريح به عليّكم ، وليوقظ به غفلتكم ، واعلموا أنكم ميتون ، ومبعثون من بعد الموت ، وموقوفون على أعمالكم ، ومجزيون بها ؛ فلا تغرنكم الحياة الدنيا ؛ فإنها دار بالبلاء محفوفة ، وبالفناء معروفة ، وبالغدر موصوفة ، وكل ما فيها إلى زوال ؛ وهى بين أهلها دُول وسجال ، ولا تدوم أهوالها ، ولن يسلم من شرها نُزّالها ، بينا أهلها منها فى رخاء وسرور ، إذا هم منها فى بلاء وغرور ، أحوال مختلفة ، وتارات متصرفة ، والعيش فيها مذموم ، والرخاء فيها لا يدوم ، وإنما أهلها فيها أغراض مستهدفة ، ترميهم بسهامها ، وتقصمهم بحمامها ، وكل حتُفه فيها مقدور ، وخطة فيها موفور .

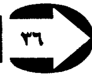
واعلموا عباد الله أنكم وما أنتم فيه من زهرة الدنيا على سبيل من قد مضى ، فمن كان أطوف منكم أعماراً ، وأشد منكم بطشاً ، وأعمر دياراً ، وأبعد آثاراً فأصبحت أموالهم هامدة من بعد نقلتهم ، وأجسادهم بالية ، وديارهم خالية ، وآثارهم عافية ، فاستبدلوا بالقصور المشيدة والمارقة « الوسائد » الممهدة ، الصخور ، والأحجار فى القبور التى قد بنى على الخراب فناؤها ، وشيد بالتراب بناؤها ، فمحلها مقترب ، وساكنها مغترب ، بين أهل عمارة موحشين ، وأهل محلة متشاغلين ، لا يستأنسون بالعمران ، ولا يتواصلون تواصل الجيران والإخوان ، على ما بينهم من قرب الجوار ، ودنو الدار ، وكيف يكون بينهم

تواصل ، وقد طحنهم بكلكله البلى ، وأظلتهم الجنادل « حجارة القبر » والثرى، فأصبحوا بعد الحياة أمواتاً ، وبعد نضارة العيش رفاتاً ، فُجع به الأحباب، وسكنوا التراب ، وطعنوا فليس لهم إياب ، وهيهات هيهات ، ﴿ **كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠)** ﴾ [١] ، وكأن قد صرتم إلى ما صاروا إليه من البلى ، والوحدة فى دار المثوى ، وارتهنتم فى ذلك المضجع ، وضمكم ذلك المستودع ، فكيف بكم لو قد تناهت الأمور ، وبُعثرت القبور، وحُصل ما فى الصدور، ووقفتم للتحصيل ، بين يدى الملك الجليل ، فطارت القلوب لإشفاقها من سالف الذنوب ، وهُتكت عنكم الحُجب والأستار ، وظهرت منكم العيوب والأسرار ، هنالك ﴿ **تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ** ﴾ [٢] ، إن الله عز وجل يقول : ﴿ **لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (٣١)** ﴾ [٣] ، وقال : ﴿ **وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩)** ﴾ [٤] ، جعلنا الله وإياكم عاملين بكتابه ، متبعين لأوليائه ، حتى يُحيلنا وإياكم دار المقامة من فضله ؛ إنه حميد مجيد .

وعن عاصم بن ضمرة عن عليّ رضي الله عنه : « ألا إن الفقيه الذى لا يُقنّط الناس من رحمة الله ، ولا يؤمنهم من عذاب الله ، ولا يُرخص لهم فى معاصى

---

(١) سورة المؤمنون الآية « ١٠٠ » .
(٢) سورة غافر الآية « ١٧ » .
(٣) سورة النجم الآية « ٣١ » .
(٤) سورة الكهف الآية « ٤٩ » .



الله ، ولا يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره ، ولا خير فى عبادة لا علم فيها ، ولا خير فى علم لا فهم فيه ، ولا خير فى قراءة لا تدبر فيها » .

وكان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول : « أما بعد ، فإن المرء يسوءه فوت ما لم يكن ليدركه ، ويسره درك ، ما لم يكن ليفوته ، فليكن سرورك بما نلت من أمر آخرتك ، وليكن أسفك على ما فاتك منها ، وما نلت من دنياك فلا تكثرنَّ به فرحاً ، وما فاتك منها فلا تأس عليه حزناً ، وليكن همّك فما بعد الموت » .

وقال يوماً لكميل بن زيادة « ياكميل بن زياد ، القلوب أوعية فخيُرها أوعاها للعلم ، احفظ ما أقول لك : الناس ثلاثة : عالم ربانى ، ومتعلم على سبيل نجاة ، وهمج رَعاع أتباع كل ناعق ، يميلون مع كل ريح ، ولم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق ، العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والعلم يزكو على العمل ، والمال تنقصه النفقة ، والعلم حاكم والمال محكوم عليه ، وصنيعه المال تزول بزواله ، ومحبة العالم دين يدان بها ، والعلم يُكسبه الطاعة فى حياته ، وجميل الأحدوثة بعد مماته ، ومات خُزّان المال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقى الدهر ، أعيانهم مفقودة ، وأمثالهم فى القلوب موجودة – إن ههنا وأوما بيده إلى صدره – علماً لو أصبت له حملة بلى أصبته لقناً غير مأمون عليه ، يستعمل آلة الدين للدنيا ، ويستظهر بنعم الله على عباده ، وبحججه على كتابه ، أو معانداً لأهل الحق لا بصيرة له فى إحيائه ، ينقدح الشك فى قلبه ، عارض من شبهة لاذا ، ولا ذاك ، أو منهوماً باللذات ، سلس القيادة للشهوات ، أو مُغرم بجمع الأموال والادخار ، ليس من دعاة الدين فى شيء ، أقرب شبهاً بهم الأنعام السائمة ؛ كذلك يموت العلم بموت حامليه ، اللهم بلى ، لن تخلو الأرض من قائم لله

بحجة ؛ لكى لا تبطُل حُجَج الله وبيّناته ، أولئك هم الأقلون عدداً ، الأعظمون عند الله قدراً ، بهم يحفظ الله حججه حتى يؤدوها إلى نظرائهم ويزرعونها فى قلوب أشباههم ، هجم بهم العلم على حقيقة الأمر ، فاستلانوا ما استوعر المترفون ، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون ، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة فى المحلّ الأعلى ، آه آه شوقاً إلى رؤيتهم ، وأستغفر الله لى ولك ، إذا شئت فقم » .

الثمار المستطابة

عن سعد بن إبراهيم ، عن أبيه أن عبد الرحمن بن عوف أُتى بطعام وكان صائماً فقال :

« قتلُ مصعب بن عمير وهو خير منى ، فكفن فى بردة إن غُطى رأسه بدت رجلاه ، وإن غطى رجلاه بدا رأسه » وأراه قال : « وقتل حمزة وهو خير منى » ، يعنى فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا برده ، « ثم بُسط لنا من الدنيا ما بُسط » ، أو قال : « أعطينا من الدنيا ما أعطينا ، وقد خشينا أن تكون حسناتنا عُجلت لنا ، ثم جعل يبكى حتى ترك الطعام » [١] .

وعن خالد بن عمير قال : خطب عتبة بن غزوان ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد فإن الدنيا قد آذنت بصَرْم (بانقطاع) وولت حذّاء (سريعة) ، ولم يبق منها إلا صُبابة (بقية يسيرة) كصُبابة الإناء يتصابها صاحبها (يشرب صبُابته) ، وإنكم منقلبون (منتقلون) منها إلى دار لا زوال لها ، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم ، فإنه قد ذكر لنا أن الحجر يلقى فى شفير (ناحيته من أعلاها) جهنم فيهوى فيها سبعين عاماً ما يدرك لها قعراً ، والله لتملأنه . أفعجبتم ، والله لقد ذكر لنا أن ما بين مصراعى الجنة مسيرة أربعين عاماً ، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ الزحام (ممتلىء) ولقد رأيتنى وأنا سابع سبعة مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ورق الشجر ، حتى قرحت أشداقنا ، وإنى التقطت بردة فشققتها بينى وبين سعد ، فائتزر بنصفها ، وأئتزرت بنصفها ، فما

---

(١) انفرد بإخراجه البخارى « ١٢٧٥ » .

أصبح منا أحد حياً إلا أصبح أمير مصر من الأمصار ، وإني أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيماً وعند الله صغيراً ، وإنها لم تكن نبوة قط إلا تناسخت حتى تكون عاقبتها ملكاً وستبلون ، وستجربون الأمراء بعدنا » [١] .

وعن الشعبي قال : ذكروا أن عمر بن الخطاب لقي ركباً في سفر له فيهم عبد الله بن مسعود ، فأمر عمر رجلاً يناديهم : من أين القوم ؟ فأجابه عبد الله : أقبلنا من الفج العميق . فقال عمر : أين تريدون ؟ فقال عبد الله : البيت العتيق، فقال عمر : فيهم عالم ، وأمر رجلاً فناداهم : أي القرآن أعظم؟ فأجابه عبد الله ﴿ **اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ** ﴾ [٢] ، حتى أتم الآية قال : نادهم أي القرآن أحكم ؟ ، فقال ابن مسعود ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ** ﴾ [٣] ، فقال عمر : نادهم أي القرآن أجمع ؟ فقال ابن مسعود : ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)** ﴾ [٤] ، فقال عمر : نادهم أي القرآن أخوف ؟ فقال ابن مسعود : ﴿ **لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ** ﴾ [٥] ، فقال عمر : نادهم أي القرآن أرجى ؟ فقال ابن مسعود : ﴿ **يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ** ﴾ [٦] ، فقال عمر : أفيكم ابن مسعود ؟ قالوا : اللهم ، نعم » .

وعن ابن مسعود أنه كان يقول : إذا قعد يذكر : « إنكم في ممر من الليل

---

(١) صحيح :أخرجه مسلم « ٢٩٦٧ » .
(٢) سورة البقرة الآية « ٢٥٥ » .
(٣) سورة النحل الآية « ٩٠ » .
(٤) سورة الزلزلة الآية « ٨ » .
(٥) سورة النساء الآية « ١٢٣ » .
(٦) سورة الزمر الآية « ٥٣ » .

والنهار في آجال منقوضة (منقوصة) وأعمال محفوظة والموت يأتي بغتة ، فمن زرع خيراً فيوشك أن يحصد رغبة ، ومن زرع شراً فيوشك أن يحصد ندامة ، ولكل زارع مِثل ما زرع لا يسبق بطيء بخطه ، ولا يدرك حريص ما لم يُقدر له ، فإن أعطى خيراً فالله أعطاه ، ومن وقى شراً فالله وقاه ، المتقون سادة والفقهاء قادة ، ومجالسهم زيادة » .

وعن عبد الله بن مسعود قال : « ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون ، وبنهاره إذا الناس مفطرون ، وبحزنه إذا الناس فرحون ، وببكائه إذا الناس يضحكون ، وبصمته إذا الناس يخلطون ، وبخشوعه إذا الناس يختالون . وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكياً محزوناً حليماً حكيماً سكيتاً ، ولا ينبغي لحامل القرآن أن يكون جافياً ، ولا غافلاً ، ولا سخاباً ، ولا صيَّاحاً ، ولا حديداً (فيه حده) » .

وكان يقول : « إن الناس قد أحسنو القول ، فمن وافق قوله فعله فذاك الذى أصاب حظه ، ومن لا يوافق قُوله فعله فذاك الذى يوبخ نفسه » .

ومن أقواله أيضاً رضي الله عنه : « إني لأبغض الرجل أن أراه فارغاً ليس في شيء من عمل الدنيا ، ولا في عمل الآخرة » .

وقال : « من اليقين أن لا يرضى الناس بسخط الله ، ولا تحمدن أحداً على رزق الله ، ولا تلومن أحداً على ما لم يؤتك الله ، فإن رزق الله لا يسوقه حرص الحريص ، ولا يرده كره الكاره ، وإن الله بقسطه وحكمه وعدله وعلمه جعل الروح والفرح في اليقين والرضا ، وجعل اللهم الحزن في الشك والسخط » .

وقال : « ما دمت فى صلاة فأنت تقرع باب الملك ، ومن يقرع باب الملك يفتح له » وقال : « إنى لأحسب الرجل ينسى العلم كان يعلمه بالخطيئة يعملها » .

وعن عوف بن عبد الله قال قال عبد الله بن مسعود : « لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يحلّ بذروته حتى يكون الفقر أحب إليه من الغنى ، والتواضع أحب إليه من الشرف ، وحتى يكون حامده وذامّه عنده سواءً . قال : ففسرها أصحاب عبد الله قالوا : حتى يكون الفقر فى الحلال أحب إليه من الغنى فى الحرام ، والتواضع فى طاعة الله أحب إليه من الشرف فى معصيته الله ، وحتى يكون حامده وذامه عنده فى الحق سواء » .

ومن أقواله : « لا تشرك به شيئاً ، وزُل مع القرآن حيث زال ، ومن جاءك بالحق فاقبل منه وإن كان بعيداً بغيغاً ، ومن جاءك بالباطل فاردده عليه ، وإن كان حبيباً قريباً » .

وقال : « إذا أحب الرجل أن ينصف من نفسه فليأت إلى الناس الذى يجب أن يؤتى إليه » .

وقال : « الحق ثقيل مرىء ، والباطل خفيف وبىء وربّ شهوة تورث حزناً طويلاً » .

وقال : « والله الذى لا إله إلا هو ما على وجه الأرض شىء أحوج إلى طول سجن من لسان » .

وقال : « إذا ظهر الزنا والربا فى قرية أذن بهلاكها » .

وعن عبد الرحمن بن يزيد بن عبد الله قال : أنتم أطول صلاة وأكثر

اجتهاداً من أصحاب رسول الله ﷺ وهم كانوا أفضل منكم قيل له : بأى شيء ؟ قال : إنهم كانوا أزهد فى الدنيا ، وأرغب فى الآخرة منكم .

وكان يقول رضي الله عنه : لا يقلدن أحدكم دينه رجلاً ، فإن آمن آمن وإن كفر كفر ، وإن كنتم لا بد مقتدين ، فاقتدوا بالميت ؛ فإن الحى لا تؤمن عليه الفتنة .

وقال : « لا تكونن إمّعة ، قالوا : وما الإمّعة ؟ قال : يقول أنا مع الناس ، إن اهتدوا اهتديت ، وإن ضلوا ضللت ، ألا ليوطننّ أحدكم نفسه على أنه إن كفر الناس أن لا يكفر » .

عن طارق بن شهاب قال : قال عبد الله : لقد شهدت من المقداد بن الأسود مشهداً لأن أكون أنا صاحبه أحب إلىّ مما عدل به . أتى النبى ﷺ وهو يدعو على المشركين فقال : والله يارسول الله ، لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ [1] ، ولكننا نقاتل عن يمينك ، وعن يسارك ، وبين يديك ، ومن خلفك . فرأيت النبى ﷺ أشرق وجهه وسره ذلك » [2] .

وعن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه قال : جلسنا إلى المقداد يوماً فمر به رجل فقال : طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله ﷺ ، والله لوددنا أنا رأينا ما رأيت ، وشهدنا ما شهدت . فاستغضب فجعلت أعجب ، ما قال إلا خيراً ، ثم أقبل إليه فقال : ما يحمل الرجل على أن يتمنى محضراً غيبه الله عنه

---

(١) سورة المائدة الآية « ٢٤ » .
(٢) **صحيح** : البخارى « ٣٩٥٢ » وغيره .

وما يدرى لو شهده كيف يكون فيه ؟ والله لقد حضر رسول الله ﷺ أقوام كبّهم الله على مناخرهم فى جهنم ، لم يجيبوه ولم يصدقوه ، أولاً تحمدون الله إذا أخرجكم لا تعرفون إلا ربكم مصدقين بما جاء به نبيكم . ولقد كفيتم البلاء بغيركم ؟ والله لقد بُعث النبى ﷺ على أشد حال بعث عليها نبى من الأنبياء فى فترة وجاهلية ، ما يرون أن ديناً أفضل من عبادة الأوثان ، فجاء بفرقان فرق به بين الحق والباطل ، وفرق بين الوالد وولده ، إن كان الرجل ليرى والده وولده وأخاه كافراً ، وقد فتح الله قلبه للإيمان يعلم أنه إنه هلك دخل النار ، فلا تقرعينه وهو يعلم أن حبيبه فى النار ، وأنها للتى قال الله عز وجل : ﴿ **وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ** ﴾ (١) .

وعن قيس بن أبى حازم قال : خباب بن الأرت نعوده وقد اكتوى فى بطنه سبعاً ، فقال : لولا أن رسول الله ﷺ نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به فقد طال مرضى ، ثم قال : إن أصحابنا الذين مضوا لم تنقصهم الدنيا شيئاً ، وإنا أعطينا بعدهم ما لا نجد له موضعاً إلا التراب ، وشكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد برداً له فى ظل الكعبة فقلنا : يارسول الله ألا تستنصر الله لنا ؟ فجلس محمّراً وجهه فقال : « والله لقد كان من قبلكم يؤخذ فتجعل المناشير على رأسه ، فيُفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ، وليتمنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب ما بين صنعاء وحضر موت ، لا يخاف إلا الله تبارك وتعالى والذئب على غنمه » (٢) .

وعن سعيد بن المسيب قال : لما أقبل صهيب مهاجراً نحو النبى ﷺ وتبعه

---

(١) سورة الفرقان الآية « ٧٤ » .
(٢) صحيح : البخارى « ٣٨٥٢ » بلفظ قريب .

نفر من قريش ، نزل عن راحلته ، وانتثل ما في كنانته ثم قال : يامعشر قريش لقد علمتم أنى من أرماكم رجلاً وايم الله لا تصلون إليّ حتى أرمى بكل سهم معى في كنانتي ، ثم أضرب بسيفى ما بقى في يدى منه شيء ، افعلوا ما شئتم، وإن شئتم دللتكم على ما لى وثيابى بمكة ، وخليتم سبيلى . قالوا : نعم . فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة قال : « **ربح البيع أبا يحيى ، ربح البيع أبا يحيى** » ونزلت ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ** ﴾ (١) .

وعن زرّ بن حُبيش ، عن عبد الله ، قال : « كان أول من أظهر إسلامه : رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ، وعمار ، وأمه سمية ، وصهيب ، وبلال ، والمقداد ، فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه أبي طالب ، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه ، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدراع « دروع » الحديد وصهروهم في الشمس ، فما منهم إنسان إلا وقد واتاهم على ما أرادوا إلا بلال ، فإنه هانت عليه نفسه في الله عز وجل ، وهان على قومه ، فأعطوه الولدان ، فأخذوا يطوفون به شعاب مكة وهو يقول أحدٌ أحدٌ » (٢) .



---

(١) سورة البقرة الآية « ٢٠٧ » .
(٢) **حسن** : رواه ابن ماجه « ١٥٠ » وأحمد « ٣٨٢٢ » .

مع ركب الإيمان

عن عثمان قال : لما رأى عثمان بن مظعون ما فيه أصحاب رسول الله ﷺ من البلاء ، وهو يغدو ويروح في أمان من الوليد بن المغيرة ، قال : والله إن غدوى ورواحى آمناً بجوار رجل من أهل الشرك ، وأصحابى وأهل دينى يلقون من الأذى والبلاء ما لا يصيبنى ، لنقصٌ كبير فى نفسى ، فمشى إلى الوليد بن المغيرة فقال له : يا أبا عبد شمس ، وفَتْ ذمتك قد رددت إليك جوارك . قال : لِمَ ابن أخى ؟ لعله آذاك أحد من قومى . قال : لا ولكنى أرضى بجوار الله عز وجل ولا أريد أن أستجير بغيره ، قال : فانطلق إلى المسجد فاْردد علىّ جوارى علانيةً كما أجرتك علانية . قال : فانطلقنا ، ثم خرجنا حتى أتينا المسجد ، فقال لهم الوليد : هذا عثمان قد جاء يرد على جوارى . قال : قد صدق ، وقد وجدته وفياً كريم الجوار ، ولكنى قد أحببت أن لا أستجير بغير الله ، فقد رددت عليه جواره . ثم انصرف عثمان ولبيدُ بن ربيعة فى مجلس من مجالس قريش يُنشدهم ، فجلس معهم عثمان ، فقال لبيد وهو ينشدهم : « ألا كلٌّ شيء ما خلا الله باطل » فقال عثمان : صدقت ، فقال : « وكلٌّ نعيمٍ لا محالة زائل » فقال عثمان : كذبت نعيم الجنة لا يزول . فقال لبيد : يامعشر قريش والله ما كان يؤذى جليسكم فمتى حدث فيكم هذا ؟ فقال رجل من القوم : إن هذا سفيه فى سفهاء معه ، قد فارقوا ديننا فلا تجدنّ فى نفسك من قوله : فرد عليه عثمان حتى شَرِىَ أمرهما . فقام إليه ذلك الرجل فلطم عينه فخضرها والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ . فقال : أما والله ، يابن أخى ، إن كانت عينك عما أصابها لغنية ، لقد كنت فى ذمة منيعة . فقال عثمان : بلى والله ، إن عينى الصحيحة لفقيرة إلى ما أصاب أختها فى الله ، وإنى فى

جوار من هو أعزّ منك وأقدر » .

وعن أنس بن مالك قال : « كان أبو طلحة أكثر أنصارى بالمدينة مالاً ، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء وكانت مستقبلة المسجد ، وكان النبى ﷺ يدلخها ويشرب من ماء فيها طيب . قال أنس : فما نزلت : ﴿ **لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ** ﴾ [(١)] ، قال أبو طلحة : يارسول الله ، إن الله يقول : ﴿ **لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ** ﴾ ، اللهم ، إنّ أحب أموالى إلىّ بيرحاء وإنها صدقة لله أرجو برَّها وذُخرها عند الله ، فضعها يارسول الله حيث أراك الله . فقال النبى ﷺ : **بَخْ** (كلمة استحسان) **ذلك مال رابح ، ذلك مال رابح وقد سمعت ما قلت ، وأنى أرى أن تجعلها فى الأقربين** » فقال أبو طلحة : أفعل يارسول الله. قال : فقسمها أبو طلحة فى أقاربه وبنى عمه » [(٢)] .

وعن الحكم بن عبد السلام بن نعمان بن بشير الأنصارى أن جعفر بن أبى طالب حين قُتل دعا الناس : يا عبد الله بن رواحة ، يا عبد الله بن رواحه وهو فى جانب العسكر ومعه ضلع حملٍ ينهشه ، ولم يكن ذاق طعاماً قبل ذلك بثلاث . فرمى بالضلع ثم قال : وأنت مع الدنيا . ثم تقدم فقاتل ، فأصيبت إصبعه ، فارتجز فجعل يقول :

هل أنت إلا إصبع دَميتِ ... وفى سبيل الله مالقيتِ
يانفس إلا تقبلى تموتى ... هذا حياض الموت قد صليَتِ
وما تمنيت فقد لقيتِ ... إن تفعلى فعلهما هُديتِ
وإن تأخرت فقد شقيتِ

---

(١) سورة آل عمران الآية « ٩٢ » .
(٢) **صحيح** : البخارى « ١٤٦١ » ومسلم « ٩٩٨ » .

ثم قال : يانفس ، إلى أى شيء تتوقين ؟ إلى فلانة ؟ هى طالق ثلاثاً ، وإلى فلان وإلى فلان ؟ غلمان له ، وإلى معجف ، حائط له ، فهو لله ولرسوله.

يانفس مالك تكرهين الجنة ؟ أقسم بالله لتنزلنه
طائعة أوْ لا لتُكرهنّه فطال ما قد كنت مطمئنة
هل أت إلا نطفة فى شنّة [١] قد أجلب الناس [٢] وشدوا الرنة [٣]

وعن أنس قال : انطلق رسول الله ﷺ حتى سبقوا المشركين فى بدر . فدنا المشركون فقال النبى ﷺ : [**قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض**] قال عمير بن الحمام : نعم . قال : بخ بخ . قال رسول الله ﷺ : [**ما حملك على قولك : بخٍ بخٍ**] ؟ قال : لا والله يارسول الله ، إلا رجاء أن أكون من أهلها . قال : [**فإنك من أهلها**] . قال : فأخرج تمرات من قَرَنه « جعبة من الجلد » فجعل يأكل منهن ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتى هذه إنها لحياة طويلة . قال : فرمى ما كان معه من التمر ، ثم قاتلهم حتى قُتل رضي الله عنه [٤] .

وعن أبى إدريس الخولانى ، أن معاذ بن جبل قال : إن من ورائكم فتناً يكثر فيها المال ، ويُفتح فيها القرآن حتى يقرأه المؤمن والمنافق ، والصغير والكبير، والأحمر والأسود ، فيوشك قائل أن يقول : ما لى أقرأ على الناس القرآن فلا يتبعونى عليه ، فما أظنهم يتبعونى عليه حتى أبتدع لهم غيره . إياكم وما تُبدع فإن ما ابتُدع ضلالةٌ ، وأحذّركم زيغة الحكيم ، فإن الشيطان يقول : علىّ فى

---

(١) الشنة : السقاء البالى .
(٢) أجلب الناس : صاحوا واجتمعوا .
(٣) الرنة : صوت فيه ترجيع شبيه بالبكاء .
(٤) **صحيح** : مسلم « ١٩٠١ » وغيره .

الحكيم كلمة الضلالة ، وقد يقول المنافق كلمة الحق ، فاقبلوا الحق ؛ فإن على الحق نوراً، قالوا : وما يدرينا رحمك الله أن الحكيم قد يقول كلمة الضلالة ؟ قال : هي كلمة تنكرونها منه وتقولون ما هذه ؟ فلا يثْنكمُ ، فإنه يوشك أن يفيء ، ويراجع بعض ما تعرفون .

وعن عبد الله بن سلمة قال : قال رجل لمعاذ بن جبل : علمني . قال وهل أنت مطيعي ؟ قال : إني على طاعتك لحريص . قال : فصم وأفطر ، وصلّ ونم ، واكتسب ولا تأثم ، ولا تموتن إلا وأنت مسلم ، وإياك ودعوة المظلوم .

وعن معاوية بن قُرةً قال معاذ بن جبل لابنه : يا بني إذا صليت فصلّ صلاة مودع لا تظن أنك تعود إليها أبداً ، واعلم يابني أن المؤمن يموت بين حسنتين : حسنة قدمها ، وحسنها أخرها .

وعن أبي إدريس الخولاني قال : قال معاذ : إنك تجالس قوماً لا محالة يخوضون في الحديث ، فإذا رأيتهم غفلوا فارغب إلى ربك عند ذلك رغبات .

وعن محمد بن سيرين قال : أتى رجل معاذ بن جبل ومعه أصحابه يسلمون عليه ويودعونه ، فقال : إني موصيك بأمرين إن حفظتهما حُفظت ، إنه لا غنى بك عن نصيبك من الدنيا ، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أفقر ، فآثر من الآخرة على نصيبك من الدنيا حتى ينتظمه لك انتظاماً ؛ فتزول به معك أينما زالت .

وكان رضي الله عنه يقول : ابتليتم بفتنة الضراء فصبرتم ، وستبتلون بفتنة السّراء ، وأخوف ما أخاف عليكم فتنة النساء إذا تسّورن الذهب ، ولبسن رباط الشام ،

وعصْب اليمن ، فأتعبن الغنى ، وكلفن الفقير ما لا يجد .

وعن عمر بن قيس عمن حدثه عن معاذ قال لما حضره الموت قال : انظروا أصبحنا ؟ قال : فأتى فقيل : لم نصبح حتى أتى فى بعض ذلك فقيل له : قد أصبحت . فقال : أعوذ بالله من ليلة صباحها النار ، مرحباً بالموت مرحباً ، زائر مُغُبّ ، حبيب جاء على فاقة ، اللهم ، إنى قد كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك إنك لتعلم أنى لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لكرى الأنهار « لحفرها » ، ولا لغرس الأشجار ، ولكن لظمأ الهواجر ، ومكابدة الساعات ، ومزاحمة العلماء بالرُكب عند حلق الذكر .

وعن سلمان قال : إنما مثل المؤمن من الدنيا كمثل المريض معه طبيبه الذى يعلم داءه ودواءه فإذا اشتهى ما يضره منعه .

وقال : لا تقربه ؛ فإنك إن أتيته أهلكك ، فلا يزال يمنعه حتى يبرأ من وجعه ، وكذلك المؤمن يشتهى أشياء كثيرة مما قد فضل به غيره من العيش فيمنعه الله عز وجل إياه ويحجزه حتى يتوفاه فيدخله الجنة .

وعن جرير قال : قال سلمان : يا جرير ، تواضع الله عز وجل ؛ فإنه من تواضع لله عز وجل فى الدنيا رفعه الله يوم القيامة . يا جرير ، هل تدرى ما الظلمات يوم القيامة ؟ قلت : لا . قال : ظلم الناس بينهم فى الدنيا . قال ثم أخذ عويداً لا أكاد أراه بين إصبعيه . قال : يا جرير لو طلبت فى الجنة مثل هذا العود لم تجده . قال : قلت يا أبا عبد الله ، فأين النخل والشجر ، قال : أصولها اللؤلؤ والذهب ، وأعلاها الثمر .

كتب أبو الدرداء يوماً إلى سلمان : هلمّ إلى الأرض المقدسة . فكتب إليه سلمان : إن الأرض لا تقدس أحداً ، أو إنما يقدس الإنسان عملهُ ، وقد بلغنى

أنك جُعلت طبيباً ، فإن كنت تُبرىء فنعماً لك ، وإن كنت متطبباً فاحذر أن تقتل إنساناً فتدخل النار . فكان أبو الدرداء إذا قضى بين اثنين فأدبرا عنه نظر إليهما وقال متطبب والله : ارجعا إلى أعيدا قصتكما .

وعن أبي عثمان النهدي عن سلمان الفارسي قال : ثلاث أعجبتني حتى أضحكتني : مؤمل دنيا والموت يطلبه ، وغافل ليس بمغفول عنه ، وضاحك ملء فيه لا يدرى أساخط رب العالمين عليه أم راض عنه . وثلاث أحزنّني حتى أبكينني : فراق محمد وحزبه ، وهول المطلع والوقوف بين يدى ربى عز وجل ، ولا أدرى إلى جنة ، أو إلى نار .

وجاء رجل إلى سلمان فقال : أوصنى . قال : لا تكلم . قال : لا يستطيع من عاش فى الناس أن لا يتكلم . قال : فإن تكلمت فتكلم بحق أو اسكت ، قال : زدنى . قال : لا تغضب قال : إنه ليغشانى مالاً أملكه . قال : فإن غضبت فأمسك لسانك ويدك قال : زدنى . قال : لا تلابس الناس . قال : لا يستطيع من عاش فى الناس أن لا يلابسهم . قال : فإن لابستهم فاصدق الحديث ، وأد الأمانة .

وعن سالم مولى زيد بن صوحان قال : كنت مع مولاى زيد بن صوحان فى السوق فمر علينا سلمان الفارسى ، وقدا شترى وسقاً « ستون صاعاً » من طعام فقال له زيد : يا أبا عبد الله تفعل هذا وأنت صاحب رسول الله ﷺ ؟ قال : إن النفس إذا أحرزت قوتها اطمأنت ، وتفرغت للعبادة ، ويئس منها الوسواس .

وعن سعيد بن وهب قال : دخلت مع سلمان على صديق له من كندة

نعوده ، فقال له سلمان : إن الله عز وجل يبتلى عبده المؤمن بالبلاء ، ثم يعافيه فيكون كفارة لما مضى ، فيستعتب فيما بقى ، وإن الله عز وجل يبتلى عبده الفاجر بالبلاء ثم يعافيه فيكون كالبعير عقله أهله ، ثم أطلقوا ، فلا يدرى فيما عقلوه ، ولا فيم أطلقوه حين أطلقوه ؟ .



كلهم أوتى علماً وحكمة

عن نافع أن رجلاً سأل ابن عمر مسألة فطأطأ رأسه ، ولم يجبه حتى ظن الناس أنه لم يسمع مسألته . فقال له : يرحمك الله أما سمعت مسألتى ؟ قال : بلى ولكنكم كأنكم ترون أن الله تعالى ليس يسائلنا عما تسألونا عنه ، اتركنا رحمك الله حتى نتفهم فى مسألتك ، فإن كان لها جواب عندنا ، وإلا أعلمناك أنه لا علم لنا به .

وجاء سائل إلى ابن عمر ، فقال لابنه : أعطه ديناراً . فلما انصرف قال له ابنه : تقبل الله منك يا أبتاه . فقال : لو علمتُ أن الله تقبل منى سجدة واحدة؟ إنما يتقبل الله من المتقين .

وكان إذا أصبح رضي الله عنه يقول : « اللهم اجعلنى من أعظم عبادك نصيباً فى كل خير تقسمه الغداة ، ونور تهدى به ، ورحمةٍ تنشرها ، ورزق تبسطه ، وضر تكشفه ، وبلاء ترفعه ، وفتنةٍ تصرفها .

وشرب مرة ماءً مبرّداً فبكى فاشتد بكاؤه ، فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : ذكرت آية فى كتاب الله عز وجل : ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ [1] ، فعرفت أن أهل النار لا يشتهون شيئاً شهوتهم الماء وقد قال الله عز وجل : ﴿ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾ [2] .

وقال رجل لابن عمر يا خير الناس ، وابن خير الناس . فقال ابن عمر :

---

(١) سورة سبأ الآية « ٥٤ » .
(٢) سورة الأعراف الآية « ٥٠ » .

ما أنا بخير الناس ، ولا ابن خير الناس ، ولكنى عبد من عباد الله عز وجل ، أرجو الله عز وجل وأخافه ، والله لن تزالوا بالرجل حتى تهلكوه .

وكان رضي الله عنه يقول : « إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء ، وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح ، وخذ من صحتك لسقمك ، ومن حياتك لموتك ؛ فإنك يا عبد الله لا تدرى ما اسمك غداً » .

وعن عبد الله بن سيدان عن أبى ذر أنه قال : فى المال ثلاثة شركاء : القدر لا يستأمرك أن يذهب بخيرها أو شرها من هلاك أو موت . والوارث ينتظر أن تضع رأسك ، ثم يستقاها وأنت ذميم ، وأنت الثالث فإن استطعت أن لا تكون أعجز الثلاثة فلا تكونن ، إن الله عز وجل يقول : ﴿ **لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ** ﴾ [١] ، وإن هذا الجمل مما كنت أحب من مالى فأحببت أن أقدمه لنفسى .

وعن سفيان الثورى قال : قام أبو ذر الغفارى عند الكعبة فقال : يا أيها الناس ، أنا جندب الغفارى ، هلموا إلى الأخ الناصح الشفيق ، فاكتنفه الناس، فقال : أرأيتم لو أن أحدكم أراد سفراً أليس يتخذ من الزاد ما يصلحه ويبلّغه ؟ قالوا : بلى . قال : فإن سفر طريق القيامة أبعد ما تريدون ، فخذوا ما يصلحكم. قالوا : وما يصلحنا ؟ قالوا : حجوا حجة لعظائم الأمور ، وصوموا يوماً شديداً حرُّه لطول النشور ، وصلوا ركعتين فى سواد الليل لوحشة القبور ، كلمة خير تقولها أو كلمة شر تسكت عنها لوقوف يوم عظيم ، تصدق بمالك لعلك تنجو من عسيرها . اجعل الدين مجلسين : مجلساً فى طلب الحلال ، ومجلساً فى

---

(١) سورة آل عمران الآية « ٩٢ » .

طلب الآخرة . الثالث - يضرك ولا ينفعك لا ترده . اجعل المال درهمين : درهماً تنفقه على عيالك من حلة ، ودرهماً تقدمه لآخرتك . الثالث - يضرك ولا ينفعك لا ترده . ثم نادى بأعلى صوته : يا أيها الناس ، قد قتلكم حرص لا تدركونه أبداً .

ودخل رجل على أبي ذر فجعل يقلب بصره في بيته فقال : يا أبا ذر أين متاعكم ؟ قال : لنا بيت نوجه إليه صالح متاعنا قال : إنه لابد لك من متاع مادمت هاهنا ، قال : إن صاحب المنزل لا يدعنا فيه .

عن حذيفة رضي الله عنه قال : إياكم ومواقف الفتن . قيل وما مواقف الفتن يا أبا عبد الله ؟ قال : أبواب الأمراء ، يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب ، ويقول ما ليس فيه .

وقال : « إن الرجل ليدخل المدخل الذى يجب أن يتكلم فيه لله ، ولا يتكلم ، فلا يعود قلبه إلى ما كان أبداً » .

وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول : اطلبوا العلم فإن عجزتم ، فأحبوا أهله ، فإن لم تحبوهم ، فلا تبغضوهم .

وقال : يا أهل دمشق ، أنتم الإخوان فى الدين ، والجيران فى الدار ، والأنصار على الأعداء ، ما يمنعكم من مودتى وإنما مؤنتى على غيركم ، مالى أرى علماءكم يذهبون وجهاً لكم لا يتعلمون ؟ وأراكم قد أقبلتم على ما تُكّفل لكم به ، وتركتم ما أُمرتم . ألا إن قوماً بنو شديداً ، وجمعوا كثيراً ، وأملوا بعيداً ، فأصبح بنياتهم قبوراً ، وأملهم غروراً وجمعهم بُوراً . ألا فتعلموا ، وعلموا ، فإن العالم والمتعلم فى الأجر سواء ، ولا خير فى الناس بعدهما .

وكتب إلى مسلمة بن مخلد الأنصارى : أما بعد ، فإن العبد إذا عمل

بطاعة الله أحبه الله ، فإذا أحبه الله حبّبه إلى خلقه ، وإذا عمل بمعصية الله ، أبغضه الله ، فإذا أبغضه الله بغّضه إلى خلقه . ومن أقواله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : اغد عالماً أو متعلماً ، أو مستمعاً ، ولا تك الرابع فتهلك . قلت فلما قبل للحسن ما الرابع ؟ قال : المبتدع .

وأتاه رجل فقال له : أوصني ، فقال له : اذكر الله عز وجل في السراء يذكرك في الضراء ، فإذا أشرفت على شيء من الدنيا ، فانظر إلى ماذا يصير .

وكان يقول رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : إنما أخشى على نفسي أن يقال لي على رؤوس الخلائق : يا عويمر هل علمت ؟ فأقول : نعم ، فيقال : ماذا علمت فيما علمت ؟ .

وعن أبي الدرداء قال : معاتبة الأخ خير له من فقده ، ومن لك بأخيك كله ؟ أعط أخاك ، ولِنْ له ، ولا تطع به حاسداً فتكون مثله . غداً يأتيك الموت فيكفيك قتله ، كيف تبكيه بعد الموت ، وفي الحياة تركت وصله ؟ .

وقال : إن ناقدت الناس ناقدوك ، وإن تركتهم لهم يتركوك ، وإن هربت منهم أدركوك . قال : يا أبا الدرداء ، فما تأمرني ؟ قال : هبْ عرضك ليوم فقرك ، وما تجرع مؤمن جرعةً أحب إلى الله عز وجل من غيظ كظمه ، فاعفوا يعزكم الله .

وقال : إياكم ودعوة اليتيم ، ودعوة المظلوم ؛ فإنها تسرى بالليل والناس نيام .

وقال : ما تصدق مؤمن بصدقة أحب إلى الله عز وجل من موعظة يعظ بها قومه ، فيفترقون قد نفعهم الله عز وجل بها .

وكان يقول : ويل لكل جمّاع فاغرٍ فاه ، كأنه مجنون يرى ما عند الناس، ولا يرى ما عند الله عز وجل ، لو يستطيع لوصل الليل بالنهار ، ويله من حساب غليظ ، وعذاب شديد .

وكتب إلى أخ له : أما بعد فلست فى شىء من أمر الدنيا إلا وقد كان له أهل قبلك وهو صائر له أهلٌ بعدك ، وليس لك منه إلا ما قدمت لنفسك ، فآثرها على المصلح من ولدك ، فإنك تقدم على من لا يعذرك ، وتجمع لمن لا يحمدك ، وإنما تجمع لواحد من اثنين : إما عوامل فيه بطاعة الله عز وجل ، فيسعد بما شقيت ، وإما عامل فيه بمعصية الله عز وجل ، فيشقى بما جمعت له ، وليس والله ومنهما بأهل أن تُبرد له على ظهرك وأن تؤثره على نفسك ، ارج لمن مضى منهم رحمة الله ، وثق لمن بقى منهم برزق الله عز وجل ، والسلام .

وقيل لأبى الدرداء رضي الله عنه : مالك لا تشعر ؛ فإنه ليس رجل له بيت فى الأنصار إلا وقد قال شعراً ؟ قال : وأنا قد قلت فاسمعوا :

يريد المرء أن يعطى مناه ... ويأبى الله إلا ما أرادا

يقول المرء فائدتى ومالى ... وتقوى الله أفضل ما استفادا

قال رضي الله عنه : أدركت الناس ورقاً لا شوك فيه ، فأصبحوا شوكاً لا ورقة فيه . إن نقدتهم نقودك ، وإن تركتهم لا يتركوك . قالوا كيف نصنع ؟ قال : تقرضهم من عرضك ليوم فقرك .

وقال : يا بن آدم طأ الأرض بقدمك ؛ فإنها عن قليل تكون قبرك ، ابن آدم إنما أنت أيامٌ فكلما ذهب يوم ذهب بعضك ، ابن آدم إنك لم تزل فى

هدْم عمرك من يوم ولدتك أمك : وقال : ما من أحد إلا وفى عقله نقصٌ عن حلمه وعلمه ، وذلك أنه إذا أتته الدنيا بزيادة فى مال ظل فرحاً مسروراً ، والليل والنهار دائبان فى هدم عمره لا يحزنه ذلك ، ضلّ ضلالة ، ما ينفع ، مال يزيد وعمر ينقص ؟ .

ويروى جبير بن نفير أن أبا الدرداء جلس وحده يبكى يوم فتحت قبرص ، فقيل له : ما يبكيك فى يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله ؟ قال : ويحك ياجبير ، ما أهون الخلق على الله عز وجل إذا تركوا أمره بيناً ، هى أمة قاهرة ظاهرة ، لهم الملك ، تركوا أمر الله ؛ فرأيتهم كما نرى .

وكان إذا رأى جنازة قال : اغدوا فإنا رائحون ، وروحوا فإنا غادون ، موعظة بليغة ، وغفلة سريعة ، كفى بالموت واعظاً ، يذهب الأول فالأول ، ويبقى الآخر لا حلم له .

وعن أبى قُلابة أن أبا الدرداء مر على رجل قد أصاب ذنباً فكانوا يسبونه . فقال : أرأيتم لو وجد تموه فى قَليبٍ [١] ألم تكونوا مستخرجيه ؟ قالوا :بلى . قال : فلا تسبوا أخاكم ، واحمدوا الله عز وجل الذى عافاكم . قالوا : أفلا نبغضه ؟ قال : إنما أبغض عمله ، فإذا تركه فهو أخى [٢] .



---

(١) قليب : البئر قبل أن تطوى .
(٢) رواه الطبرانى .

مواقف ذات عبر

عن عبد الله بن مسعود قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ **مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً** ﴾ (١) .

قال أبو الدحداح الأنصارى : وإن الله ليريد منا القرض ؟ قال : نعم يا أبا الدحداح . قال : أرنى يدك يارسول الله ، قال : فناوله رسول الله يده . قال الأنصارى : قد أقرضت ربى حائطى « بستانى » قال : وحائطه له فيه ستمائة نخلة ، وأم الدحداح فيه وعيالها . قال : فجاء أبو الدحداح فنادى : يا أم الدحداح ، قالت لبيك قال : أخرجى من الحائط فقد أقرضته ربى عز وجل .

وفى رواية أخرى أنها لما سمعته يقول ذلك عمدت إلى صبيانها تُخرج ما فى أفواههم وتنفض ما فى أكمامهم فقال النبى ﷺ : [**كم من عذق رداح (٢) ، فى الجنة لأبى الدحداح**] (٣) .

وروى البخارى من حديث أبى هريرة رضي الله عنه قال : بعث رسول الله ﷺ عشرة عيناً (٤) فأمّر عليهم عاصم بن ثابت حتى إذا كانوا بالهدة بين عُسفْان ومكة ذُكروا لحىٍّ من هذيل ، يقال لهم بنو لحيْان ، فنفروا إليهم بقريب من مائة رجل رامٍ ، فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم التمر فى منزل نزوله فقالوا : تمرُ يثرب ، فاتبعوا آثارهم . فلما أحس بهم عاصم وأصحابه لجأوا إلى

---

(١) سورة البقرة الآية « ٢٤٥ » .
(٢) ثقيل لكثرة ما فيه من الثمر .
(٣) رواه أحمد وأخرجه مسلم وغيره بلفظ « كم من عذق معلق لأبى الدحداح فى الجنة » .
(٤) عيناً :من المخبرين أو الرصد .

موضع ، فأحاط بهم القوم فقالوا لهم : انزلوا فأعطوا بأيديكم ، ولكن العهد والميثاق أن لا نقتل منكم أحداً . فقال عاصم : أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر ، اللهم أخبر عنا نبيك ، فرموهم بالنبل فقتلوا عاصماً في سبعة ، ونزل إليهم نفر على العهد والميثاق : منهم خبيب ، وزيد بن الدَّثنة ، ورجل آخر ، فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم ، فربطوهم بها . فقال الرجل الثالث : هذا أول الغدر فوالله لا أصبحكم إن لي بهؤلاء أسوة ، يريد القتلى . فجرّوه وعالجوه فأبى أن يصحبهم فقتلوه ، وانطلقوا بخبيب ، وزيد بن الدثنة ، حتى باعوهما بمكة بعد وقعة بدر فابتاع بنو الحارث بن عامر ابن نوفل خُبيباً ، وكان خُبيب هو الذى قتل الحارث بن عامر يوم بدر ، فلبث خبيب عندهم أسيراً حتى أجمعوا قتله ، فاستعار من بعض بنات الحارث موسى يستحد بها فأعارته ، فدرج بُنىّ لها وهى غافلة حتى أتاه فوجدته مُجلِسَه على فخذه والموس بيده ، قالت : ففزعت فزعة عرفها خُبيب فقال : أتخشين أن أقتله ؟ ما كنت لأفعل ذلك . قالت : والله ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب ، والله لقد وجدته يوماً يأكل قِطْفاً من عنب فى يده ، وإنه لموثق بالحديد وما بمكة من تمرة . وكانت تقول : إنه لرزق رزقه الله خبيباً . فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه فى الحل قال لهم خبيب : دعونى أصلى ركعتين ، فتركوه فركع ركعتين وقال : والله لولا أن تحسبوا أن ما بى جزع لزدت ، اللهم ، أحصهم عدداً ، واقتلهم بِدَداً [1] ولا تُبق منهم أحداً وقال :

---

(١) بِدَداً : أى متفرقين فى القتل واحداً بعد واحد .

ولستُ أبالي حين أقتل مسلماً ... على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شِلْوٍ[١] ممزع[٢]

ثم قام مسرعاً أبو سرْوَعة عقبة بن الحارث فقتله وكان خبيب هو سنَّ لكل مسلم قتل صبراً [٣] الصلاة ، وأبو سروعة أسلم وروى الحديث عن رسول الله ﷺ ، وأخرج له البخارى فى الصحيح ثلاثة أحاديث . وقال سعيد بن عامر : شهدت مصرع خبيب وقد بضعت قريش لحمه [٤] ، ثم حملوه على جِذْعه فقالوا : أتحب أن محمداً مكانك ؟ فقال : والله ما أحب أنى فى أهلى وولدىَ وأن محمداً شيكَ بشوكة .

وقد روى عن معاوية بن أبى سفيان أنه قال : كنت فيمن حضر قتل خبيب فلقد رأيت أبا سفيان حين دعا خبيب فقال : [اللهم أحصهم عدداً] ، يلقينى إلى الأرض فزعاً من دعوة خبيب ، وكانوا يقولون : إن الرجل إذا دُعى عليه فاضجع زالت عنه الدعوة .

وعن أنس أن عمه « أنس بن النضر » غاب عن بدر فقال : غبت عن أول قتال قاتله النبى ﷺ ، لئن أشهدنى الله مع النبى ﷺ ليرين الله ما أفعل ، فلقى يوم أُحد فهزم الناس فقال : اللهم إنى أعتذر إليك مما صنع هؤلاء -- يعنى المسلمين -- وأبرأ إليك مما جاء به المشركون ، فتقدم بسيفه فلقى سعد بن معاذ

---

(١) الشلو : العضو .
(٢) ممزع : مقطع ومفرّق .
(٣) صبراً : أى حبس أو أوثق حتى يقتل أو يموت .
(٤) لحمه : شقته وقطعته .

فقال : إلى أين يا سعد ؟ إنى أجد ريح الجنة دون أُحد فمضى فقُتل ، فما عرف حتى عرفته أخته بشامة أو ببنانه ، وبه بضع وثمانون : من بين طعنة ، وضربة ورمية بسهم [١] .

وكان عمرو بن الجموح رضي الله عنه أعرج ، فلما أراد رسول الله ﷺ الخروج إلى أُحد منعه بنوه وقالوا : قد عذرك الله . فأتى النبى ﷺ فقال : إن بَنىّ يريدون أن يحبسونى عن الخروج معك ، والله إنى لأرجو أن أطأ بعرجتى هذه فى الجنة . فقال رسول الله ﷺ : [**أما أنت فقد عذرك الله ولا جهاد عليك**] ، ثم قال لبنيه : [**لا عليكم أن لا تمنعوه لعل الله عز وجل يرزقه الشهادة**] فخلوا عنه – قالت امرأته هند بنت عمرو بن حرام : كأنى أنظر إليه مولياً وقد أخذ درقته وهو يقول : اللهم ، لا تردنى إلى أهل حزبى وهى منازل بنى سلمة – قال أبو طلحة : فنظرت إلى عمرو حين انكشف المسلمون ، ثم ثابوا وهو فى الرعيل الأول ، لكأنى أنظر إلى ظَلْع فى رجله يقول : أنا والله مشتاق إلى الجنة . ثم أنظر إلى ابنه خلاّد يعدو فى أثره حتى قتلا جميعاً » .

لما ندب رسول الله ﷺ الناس إلى غزوة بدر قال خيثمة لابنه سعد « أحد نقباء الأنصار الاثنى عشر » : إنه لا بد لأحدنا أن يقيم ، فآثرنى بالخروج ، وأقم مع نسائك . فأبى سعد وقال : لو كان غير الجنة آثرتك به ، إنى لأرجو الشهادة فى وجهى هذا ، فاستهما [٢] فخرج سهم سعد فخرج فقتل ببدر .

---

(١) **صحيح** : البخارى « ٢٠٤٨ » ومسلم « ١٩٠٣ » .
(٢) أى اقترعا .

ولما أصيب من قدر له الشهادة من المؤمنين يوم أُحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ، ترد أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها ، تأوى إلى قناديل من ذهب فى ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ، وحسن مقيلهم قالوا : ياليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا ، لئلا يزهدوا فى الجهاد ، وينكلوا عن الحرب فقال الله عز وجل : أنا أبلغهم عنكم ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ** ﴾ (١) ، كلها مواقف تبعث فى النفوس والقلوب حرارة الإيمان ، ودفء اليقين ، ومن هذه المواقف المعبرة والتى تبين ما الذى ينبغى أن يكون عليه القادة ما كان من النبى ﷺ بعد توزيعه لغنائم حنين على قومه من قريش وقبائل العرب ، فوجد الأنصار فى أنفسهم ، حتى كثرت منهم القالة ، وقال قائلهم : لقى – والله – رسوله الله قومه – ويأتى سعد بن عبادة رضي الله عنه فيدخل على رسول الله ﷺ فيصارحه بما فى نفوس الأنصار وبما قالوه ، **فسأله رسول الله ﷺ قائلاً** : [**فأين أنت من ذلك ياسعد**] ؟ قال : يارسول الله ، ما أنا إلا من قومى ، فقال الرسول ﷺ لسعد : [**اجمع لى قومك فى هذه الحظيرة**] فلما اجتمعوا أتاه سعد فأخبره فأتاهم النبى ﷺ فحمد الله ، وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : [**يا معشر الأنصار ، ما مقالة بلغتنى عنكم ؟ وجدَة وجدتموها فى أنفسكم ؟ ألم آتكم ضُلالاً ، فهداكم الله بى ؟ وعالة ، فأغناكم الله بى ؟ وأعداءً فألف الله بين قلوبكم بى ؟**] قالوا : الله ورسوله أمنٌّ . قال : [**ألا تجيبون يا معشر الأنصار ؟**] . قالوا : بماذا

---

(١) سورة آل عمران الآية « ١٦٩ » .

يجيبك يارسول الله ، ولله ولرسوله الفضل والمنّة . قال : [**أما والله ، لو شئتم لقلتم فلصدقتم ولصُدِّقتم : أتيتنا مكذباً فصدقناك ، ومخذولاً فنصرناك ، وطريداً فآويناك ، وعائلاً فآسيناك ، ثم قال : [أوجدتم عليَّ يا معشر الأنصار فى أنفسكم فى لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ، ووكلتكم إلى إسلامكم ؟ ، ألا ترضون يا معشر الأنصار : أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وترجعون أنتم برسول الله إلى رحالكم ؟ فو الذى نفس محمد بيده ، لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به ، ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار ، ثم أردف قائلاً : ولو سلك الناس شعباً وواديا ، وسلكت الأنصار شعباً وواديا ، لسلكت شعب الأنصار وواديها ، الأنصار شعار ، والناس دثار ، اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار**] فما كان منهم رضى الله عنهم إلا أن بكوا حتى خضلوا لحاهم وقالوا : « رضينا برسول الله : قسماً وحظاً » [١] .

---

(١) صحيح : وأصله فى الصحيحين ، وراجع الصحيحة « ١٧٦٨ » .

سيرة ملأت الدنيا عبيراً

عن خالد بن معدان قال : استعمل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بحمص سعيد بن عامر بن حذْيم . فلما قدم عمر حمص قال : يا أهل حمص ، كيف وجدتم عاملكم ؟ فشكوه إليه . وكان يقال لأهل حمص « الكويفة الصغرى » لشكايتهم العمال . قالوا : نشكو أربعاً : لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار . قال : أعظم بها . قال : وماذا ؟ قالوا : لا يجيب أحداً بالليل . قال : وعظيمة . قال : وماذا : قالوا : يوم فى الشهر لا يخرج فيه إلينا . قال : عظيمة . قال : وماذا ؟ قالوا يغنظ الغنظة بين الأيام أى : تأخذه موته .

قال : فجمع عمر بينهم وبينه وقال : اللهم ، لا تفيّل رأيى فيه اليوم ، ما تشكون منه ؟ قالوا : لا يخرج حتى يتعالى النهار . قال : والله إن كنت لأكره ذكره ، إنه ليس لأهلى خادم فأعجن عجينهم ، ثم أجلس حتى يتخمر ، ثم أخبز خبزى ، ثم أتوضأ ، ثم أخرج إليهم . فقال : ما تشكون منه ؟ قالوا : لا يجب أحداً بليل ، قال : ما يقولون ؟ قال : إن كنت لأكره ذكره ، إنى جعلت النهار لهم ، وجعلت الليل لله عز وجل . قال : ما تشكون منه ؟ قالوا : إن له يوماً فى الشهر لا يخرج إلينا فيه . قال : ما يقولون ؟ قال : ليس لى خادم يغسل ثيابى ولا لى ثياب أبدلها ، فأجلس حتى تجفّ ، ثم أدلكها ، ثم أخرج إليهم من آخر النهار . قال : ما تشكون منه ؟ قالوا : يغيظُ الغنطة بين الأيام . قال : ما يقولون ؟ قال : شهدت مصرع خُبيب الأنصارى بمكة ، وقد

بضعت قريش لحمه ، ثم حملوه على جذع فقالوا : أتحب محمداً مكانك ؟ فقال : والله ما أحب أنى فى أهلى وولدى ، وأن محمداً شِيكَ بشوكة .ثم نادى يا محمد ، فما ذكرت ذلك اليوم وتركى نُصرته فى تلك الحال وأنا مشرك ، لا أؤمن بالله العظيم إلا ظننت أن الله عز وجل لا يغفر لى بذلك الذنب أبداً ، فتصيبنى تلك الغنظة . فقال عمر : الحمد لله الذى لم يفيِّل فراستى . فبعث إليه بألف دينار وقال : استعن بها على حاجتك . فقالت امرأته : الحمد لله الذى أغنانا عن خدمتك . فقال لها : فهل لك فى خير من ذلك ؟ ندفعها إلى من يأتينا بها أحوج ما تكون إليها . قالت : نعم ، فدعا رجلاً من أهله يثق به فصَّررها صرراً ثم قال : انطلق بهذه إلى أرملة آل فلان ، وإلى مسكين آل فلان ، وإلى مبتلى آل فلان . فبقيت منها ذهيبة . فقال : أنفقى هذه ثم عاد إلى عمله فقالت : ألا تشترى لنا خادماً ما فعل ذلك المال ؟ قال : سيأتيك أحوج ما تكونين .

وعن موسى بن عقبة قال : لما ولى عياض بن غنم قدم عليه نفر من أهل بيته يطلبون صلته فلقيهم بالبشر وأنزلهم وأكرمهم فأقاموا أياماً ، ثم كلموه فى الصلة ، وأخبروه بما لقوا من المشقة فى السفر رجاء صلته . فأعطى كل رجل منهم عشرة دنانير وكانوا خمسة ، فردّوها وتسخطوا ونالوا منه فقال : أى بنى عم والله ما أنكر قرابتكم ، ولا حقكم ، ولا بُعد شقّتكم ، ولكن والله ، ما حصلت إلى ما وصلتكم به إلا ببيع خادمى وببيع ما لاغنى بى عنه فاعذرونى . قالوا : الله ما عذَرك الله ؛ فإنك والى نصف الشام ، وتعطى الرجل منا ما جهده أن يبلّغه إلى أهله ؟ قال : فتأمروننى أسرق مال الله ؟ فوالله لأن أُشق بالمنشار

أحب إلىّ من أن أخون فلساً أو أتعدى . قالوا : قد عذرناك فى ذات يدك ، فولنّا أعمالاً من أعمالك نؤدى ما يؤدى الناس إليك ، ونصيب من المنفعة ما يصيبون ، وأنت تعرف حالنا ، وإناليس نعدو ما جعلت لنا قال : والله إنى لأعرفكم بالفضل والخير ولكن يبلغ عمر أنى وليت نفراً من قومى فيلومنى . قالوا : فقد ولاك أبو عبيدة وأنت منه فى القرابة بحيث أنت ، فأنفذ ذلك عمر، فلو وليّتنا لأنفذه . قال : إنى لست عند عمر كأبى عبيدة فمضوا لائمين له .

وعن سهل بن يحيى محمد المرْوزى قال : أخبرنى أبى عن عبد العزيز ابن عمر بن عبد العزيز قال : لما دفن عمر بن عبد العزيز سليمان بن عبد الملك ، وخرج من قبره سمَع للأرض هدَّه أو رجَّة فقال : ما هذه ؟ فقيل : هذه مراكب الخلافة يا أمير المؤمنين ، قُرّبت إليك لتركبها . فقال : مالى ولها ؟ نحُّوها عنى ، قرّبوا إلىّ بغلتى .فقُربت إليه بغلته ، فركبها ، فجاءه صاحب الشُرَط يسير بين يديه بالحربة فقال : تنحَّ عنى ما لى ولك ؟ إنما أنا رجل من المسلمين . فسار وسار معه الناس حتى دخل المسجد فصعد المنبر واجتمع الناس إليه فقال : يا أيها الناس إنى قد ابتُليت بهذا الأمر من غيرى رأى كان منى فيه ، ولا طلبة له ، ولا مشورة من المسلمين ، وإنى قد خلعتُ ما فى أعناقكم من بيعتى ، فاختاروا لأنفسكم . فصاح المسلمون صيحة واحدة : قد اخترناك يا أمير المؤمنين ، ورضينا بك ، فتولى أمرنا باليُمن والبركة ، فلما رأى الأصوات قد هدأت ، ورضى به الناس جميعاً ، حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى ﷺ وقال : أوصيكم بتقوى الله ؛ فإن تقوى الله خلفٌ من كل شيء ، ليس من تقوى الله عز وجل خلفٌ ، فاعلموا لآخرتكم ؛ فإنه من عمل لآخرته كفاه الله تبارك وتعالى أمر دنياه ، وأصلحوا سرائركم يصلح الله الكريم علانيتكم ،

وأكثروا ذكر الموت ، وأحسنوا الاستعداد قبل أن ينزل بكم ؛ فإنه هاذم اللذات ، وإن مَن لا يذكر من آبائه فيما بينه وبين آدم عليه السلام أباً حياً لمعْرق فى الموت ، وإن هذه الأمة لم تختلف فى ربهم عز وجل ، ولا فى نبيها ، ولا فى كتابها ، إنما اختلفوا فى الدينار والدرهم ، وإنى والله ، لا أعطى أحداً باطلاً ولا أمنع أحداً حقاً ، ثم رفع صوته حتى أسمع الناس فقال : يا أيها الناس ، من أطاع الله فقد وجبت طاعته ، ومن عصى الله فلا طاعة له ، أطيعونى ما أطعت الله ، فإذا عصيت الله ، فلا طاعة لى عليكم ، ثم نزل ، فدخل ، فأمر بالستور ، فهتكت والثياب التى كانت تبسط للخلفاء فحُملت ، وأمر ببيعها ، وإدخال أثمانها فى بيت مال المسلمين ، ثم ذهب يتبوأ مقيلاً ، فأتاه ابنه عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ، ماذا تريد أن تصنع ؟ قال : أى بنىّ أقيل . قال : تقيل ولا ترد المظالم ؟ قال : أى بنى قد سهرت البارحة فى أمر عمك سليمان ، فإذا صليت الظهر رددتُ المظالم ، قال : يا أمير المؤمنين من لك أن تعيش إلى الظهر ؟ قال : ادنُ منى أى بنى . فدنا منه فالتزمه ، وقبل بين عينيه ، وقال : الحمد لله الذى أخرج من صلبى من يعيننى على دينى ، فخرج ولم يقِل ، وأمر مناديه أن ينادى : ألا من كانت له مظلمة فليرفعها . فقام إليه رجل ذمّى من أهل حمص أبيض الرأس واللحية فقال : يا أمير المؤمنين ، أسألك كتاب الله . قال : وما ذاك ؟ قال : العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبنى أرضاً والعباس جالس ، فقال له : يا عباس ، ما تقول ؟ قال : أقطعنيها أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك وكتب لى بها سجلاً . فقال عمر : ما تقول يا ذمى؟ قال: يا أمير المؤمنين ، أسألك كتاب الله عز وجل . فقال عمر : كتاب الله أحق أن يُتبع من كتاب الوليد بن عبد الملك . قم فاردد عليه يا عباس ضيعته . فرد عليه

فجعل لا يدع شيئاً مما كان فى يده وفى يد أهل بيته من المظالم إلا ردها : مظلمة ، مظلمة . فلما بلغ الخوارج سير عمر وما ردّ من المظالم اجتمعو فقالوا : ما ينبغى لنا أن نقاتل هذا الرجل . فبلغ ذلك عمر بن الوليد بن عبد الملك فكتب إليه إنك قد أزريتَ على من كان قبلك من الخلفاء ، وعبتَ عليهم ، وسرْتَ بغير سيرتهم : بغضاً لهم ، وشنْئاً لمن بعدهم من أولادهم ، قطعتَ ما أمر الله به أن يُوصل ؛ إذ عمدت إلى أموال قريش ، ومواريثهم فأدخلتها فى بيت المال : جوراً ، وعدواناً ولن تُترك على هذا ، فلما قرأ كتابه كتب إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمر بن الوليد ، السلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين . أما بعد ، فإنه بلغنى كتابك وسأجيبك بنحو منه : أما أول شأنك ابن الوليد كما زعم فأمك « بَنانةُ» أمَة السكون كانت تطوف فى سوق حمص ، وتدخل ، وتدور فى حوانيتها ، ثم الله أعلم بها ، اشتراها ذبيان من فىء المسلمين ، فأهداها لأبيك فحملت بك ، فبئس المحمول وبئس المولود ، ثم نشأت فكنت جباراً عنيداً تزعم أنى من الظالمين ، لما حرمتك وأهل بيتك فىء الله عز وجل الذى فيه حقُّ القرابة ، والمساكين والأرامل ، وإن أظلمَ منى وأترْكَ لعهد الله من استعملك صبياً سفيهاً على جند المسلمين ،تحكُم فيهم برأيك ، ولم تكن له فى ذلك نية إلا حُبّ الوالد لولده ، فويل لك وويل لأبيك ، ما أكر خصماءكما يوم القيامة وكيف ينجو أبوك من خُصمائه ؟ وإن أظلم منى ، وأترك لعهد الله من استعمل الحجاج بن يوسف يسفك الدماء الحرام ، ويأ]ذ مال الحرام ، وإن أظلم منى ، وأترك لعهد الله من استعمل قُرّة بن شريك أعرابياً جافياً على مصر ، أذن له فى

المعازف واللهو والشُرب . وإن أظلم منى ، وأتْرَك لعهد الله من جعل لعالية البربرية سهماً فى خمس العرب ، فرويداً يا ابن بنانة ، فلو التقى حلقتا البطان وُرِّد الفيءُ إلى أهله ، لتفرّغتُ لك ولأهل بيتك فوضعْتهم على المحجَّة البيضاء ، فطالما تركتم الحق وأخذتم فى بنيّات الطريق ، ومن وراء هذا ما أرجو أن أكون رأيته بيْع رقبتك ، وقسم ثمنك بين اليتامى ، والمساكين ، والأرامل ، فإ لكلّ فيك حقاً . والسلام علينا ، ولا ينالُ سلام الله الظالمين .

وعن عمرو بن مهاجر قال : قال لى عمر بن عبد العزيز : إذا رأيتنى قد ملتُ عن الحق فضع يدك فى تلبابى ، ثم هزنى ، ثم قال : يا عمر ما تصنع ؟.

وخطب عمر بن بعد العزيز يوماً فقال : أما بعد ؛ فإن الله عز وجل لم يخلقكم عبثاً ولم يدع شيئاً من أمركم سدى ، وإن لكم معاداً فخاب وخسر من خرج من رحمة الله ، وحُرم الجنة التى عرضها السموات والأرض ، واشترى قليلاً بكثير ، وفانياً بباق ، وخوفاً بأمن ، ألا ترون أنكم فى أسلاب الهالكين ، وسيخلُفها بعدكم الباقون ؟ كذلك حتى ترد إلى خير الوارثين ، فى كل يوم وليلة تشّيعون غادياً ورائحاً إلى الله عز وجل ، قد مضى نحبه ، وانقضى أجلهُ حتى تغيبوه فى صَدْع من الأرض فى بطن صدْع ، ثم تدعونه غير ممهَّد ولا موسَّد ، قد خلع الأسباب ، وفارق الأحباب ، وسكن التراب ، وواجه الحساب ، مرتهناً بعمله ، وفقيراً إلى ما قدم ، وغنياً عما ترك ؛ فاتقوا الله قبل نزول الموت، وأيمُ لله إنى لأقول لكم هذه المقالة ، وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب ما أعلم عندى ، وما يبلغنى عن أحد منكم ما يسعه ما عندى إلا وددتُ أنه يمكننى تغييره حتى يستوى عيشُنا وعيشه ، وايم الله لو أردت غير ذلك من الغضارة والعيش ، لكان اللسان منى به ذلولاً عالماً بأسبابه ، ولكن سبق من الله



عز وجل كتاب ناطق ، وسُنة عادلة دل فيها على طاعته ، ونهى فيها عن معصيته .

وكانت آخر خطبة خطبها .

وعن هشام قال : لما كانت الصَّرعة التى هلك فيها عمر دخل عليه مسلمة بن عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ، إنك أفقرت أفواه ولدك من هذا المال ، وتركتهم عيّلة لا شيء لهم ، فلو وصيّت بهم إلىّ وإلى نُظَرائى من أهل بيتك . قال : فقال : أسندونى ثم قال : أما قولك : إنى أفقرتُ أفواه ولدى من هذا المال ، فوالله إنى ما منعتهم حقاً هو لهم ، ولم أعطهم ما ليس لهم ، وأما قولك : لو أوصيتُ بهم ؛ فإن وصيّى وولّى فيهم الله الذى نزّل الكتاب ، وهو يتولى الصالحين . بنّى أحد الرجلين : إما رجل يتقى الله فسيجعل الله له مخرجاً ، وإما رجل مُكبّ على المعاصى فإنى لم أكن أقوّيه على معاصى الله . ثم بعث إليهم وهم بضعة عشر ذكراً قال : فنظر إليهم فذرفتْ عيناه ثم قال : بنفسى الفتيةُ الذين تركتهم عَيْلةً لا شيء لهم ، فإنى بحمد الله قد تركتهم بخير أى بنىّ إن أباكم مثّل بين أمرين : بين أن تستغنوا ويدخل أبوكم النار ، أو تفتقروا ويدخل أبوكم الجنة ، فكان أن تفتقروا ويدخل الجنة أحبَّ إليه من أن تستغنوا ويدخل النار ، قوموا عصمكم الله .



مشاهد من يوم بدر وأحد

لما ندب رسول الله ﷺ الناس إلى غزوة بدر قال خيثمه لابنه سعد : إنه لابد لأحد أن يقيم ، فآثرني بالخروج وأقم مع نسائك فأبى سعد وقال : لو كان غير الجنة آثرتك به ، إني لأرجو الشهادة في وجهي هذا فاستهما « اقترعا » فخرج سهم سعد ، فخرج فقتل ببدر .

وعن أنس قال : انطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين ببدر، فدنا المشركون فقال النبي ﷺ « **قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض** » قال عمير بن الحمام : نعم بَخٍ بَخٍ قال رسول الله ﷺ : [**ما حملك على قولك بخٍ بخٍ** ؟] قال : لا والله يا رسول الله ، إلا رجاء أن أكون من أهلها . قال : فأخرج ثمرات من قَرَنه (١) فجعل يأكل منهم ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل ثمراتي هذه إنها لحياة طويلة . قال : فرمى ما كان معه من التمر ، ثم قاتلهم حتى قُتل رضي الله عنه (٢) .

وعن جابر بن عبد الله قال : لما قُتل أبي يوم أُحد جعلت أكشف الثوب عن وجهه وأبكي ، وجعل أصحاب رسول الله ﷺ ينهوني ، والنبي ﷺ لا ينهاني ، قال : وجعلت عمتي فاطمة بنت عمرو تبكي عليه . فقال النبي ﷺ : [**تبكين أو لا تبكين مازالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه**] (٣) .

---

(١) قَرَنـــه : « جعبة من الجلد » .
(٢) **صحيح** : مسلم « ١٩٠١ » وغيره .
(٣) **صحيح** : أخرجه البخاري « ١٢٤٤ » في كتاب الجنائز وغيره ، ومسلم « ٢٤٧١ » وغيرها .

وعن جابر قال : قتل أبي يوم أُحد فبلغني ذلك فأقبلت فإذا هو بين يدى النبى ﷺ مسجى . فتناولت الثوب عن وجهه وأصحاب رسول الله ﷺ ينهونى كراهية أن أرى ما به من المُثْلة [١] ، ورسول الله ﷺ لا ينهاني ، فلما رفع قال رسول الله ﷺ : [**ما زالت الملائكة حاقةً بأجنحتها حتى رُفع**] . ثم لقينى بعد أيام فقال : [**أى بنى ألا أبشرك ؟ إن الله تعالى أحيا أباك فقال : تمنَّهْ ، فقال : يارب ، أتمنى يارب أن تعيد روحى ، وتردنى إلى الدنيا حتى أُقتل مرة أخرى . قال : إنى قضيت أنهم إليها لا يُرجَعون**] [٢] .

وكان عمرو بن الجموح أعرج لم يشهد بدراً ، فلما أراد رسول الله ﷺ الخروج إلى أُحد منعه بنوه وقالوا : قد عذرك الله ، فأتى النبى ﷺ فقال : إن بَنىّ يريدون أن يحبسونى عن الخروج معك ، والله ، إنى لأرجو أن أطأ بعرجتى هذه فى الجنة . فقال رسول الله ﷺ : [**أما أنت فقد عذرك الله ولا جهاد عليك**] ثم قال لبنيه : [**لا عليكم أن تمنعوه لعل الله عز وجل يرزقه الشهادة فخلوا عنه**] قالت امرأته هند بنت عمرو بن حرام : كأنى أنظر إليه موالياً وقد أخذت درقته وهو يقول : اللهم ، لا تردنى إلى أهل حزبى وهى منازل بنى سلمة . قال أبو طلحة : فنظرت إلى عمرو حين انكشف المسلمون ، ثم ثابوا وهو فى الرعيل الأول ، لكأنى أنظر إلى ظلْعٍ فى رجله يقول : أنا والله مشتاق إلى الجنة . ثم أنظر إلى ابنه خلاّد يعدو فى أثره حتى قُتلا جميعاً » .

وعن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة أنه بلغه أن عمرو بن

---

(١) المُثلـــة : « ما يصيب القتيل من تشويه » .
(٢) **صحيح** : أحمد « ١٤٤٦٧ » وغيره . وراجع صحيح الجامع « ٧٩٠٥ » .

الجموح ، وعبد الله بن حرام الأنصاريّين كان السيل قد خرّب قبرهما ، وكانا في قبر واحد ، وهما ممن استشهد يوم أُحد ، فحُفر عنهما ليغيرا من مكانهما ، فوجدا لم يتغيرا كأنما ماتا بالأمس ، وكان أحدهما قد جرح فوضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك ، فأميطت يده عن جرحه ثم أرسلت فعادت كما كانت . وكان بين أُحد ويوم حُفِرَ عنهما ست وأربعون سنة رضى الله عنهما [(١)] .

وعن أنس رضي الله عنه أن عمه أنس بن النضر غاب عن بدر فقال : غبت عن أول قتال قاتله النبى ﷺ ، لئن أشهدنى الله مع النبى ﷺ ليرين الله ما أفعل . فلقى يوم أُحد فهُزم الناس فقال ، اللهم ، إنى أعتذر إليك مما صنع هؤلاء ، يعنى المسلمين ، وأبرأ إليك مما جاء به المشركون ، فتقدم بسيفه ، فلقى سعد بن معاذ فقال : إلى أين ياسعد ؟ إنى أجد ريح الجنة دون أُحد . فمضى فقتل فما عرف حتى عرفته أخته بشامةٍ أو ببنانه ، وبه بضع وثمانون: من بين طعنة ، وضربة ورمية بسهم [(٢)] .

وقيل : إنه لما جال المسلمون يوم أُحد تلك الجولة ونادى إبليس : قتل محمد . مر أنس بن النضر يقاتل ، فرأى عمر ومعه رهط فقال : ما يقعدكم ؟ قالوا : قُتل رسول الله ﷺ . قال : فما تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه ، ثم جالد بسيفه حتى قتل .

---

(١) أخرجه مالك فى الموطأ « ١٠٢٣ » .
(٢) أخرجاه فى الصحيحين واللفظ للبخارى « ٤٠٤٨ » .

محبة صادقة

شهد زيد بن الدثنة رضي الله عنه أُحدا ، وأسره المشركون يوم الرّجيع مع خبيب بن عدى ، فباعوهما من قريش فقتلا بمكة . وكان الذى ابتاع زيداً صفوان بن أمية فقتله بأبيه ، فحضره نفر من قريش فيهم أبو سفيان فقال قائل : يازيد ، أنشدك بالله أتحب أنك الآن فى أهلك ، وأن محمداً عندنا مكانك ؟ فقال : والله ما أحب أن محمداً يُشاك فى مكانه شوكةً تؤذيه ، وأنا جالس فى أهلى ، فقال أبو سفيان : والله ما رأيت من قوم قط أشد حباً لصاحبهم من أصحاب محمد له .

وأسند ابن إسحاق عن عبد الله بن أبى بكر أن سعد بن معاذ رضي الله عنه قال : يانبى الله ، ألا نبنى لك عرشاً «كل ما يستظل به» تكون فيه ونعد عندك ركائبك، ثم نلقى عدونا فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك ، فلحقت بمن وراءنا من قومنا ، فقد تخلف عنك أقوام ما نحن بأشد حباً لك منهم ، لو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم يناصحونك ، ويجاهدون معك ، فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيراً ودعا له بخير ، ثم بُنى لرسول الله ﷺ عريش كان فيه .

وأخرج الطبرانى عن عائشة رضى الله عنها قالت : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال يارسول الله ، إنك لأحب إلىّ من نفسى ، وإنك لأحب إلىّ من ولدى وإنى لأكون فى البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتى فأنظر إليك ، وإذا ذكرت موتى وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين ، وإذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك فلم يرد عليه النبى ﷺ حتى نزل جبريل بهذه

الآية ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (٦٩) ﴾ [١] .

وأخرج الشيخان عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ متى الساعة ؟ قال : « **وما أعددت لها** » ؟ قال : لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله . قال : [**أنت مع من أحببت**] . قال أنس : فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ : [**أنت مع من أحببت**] . قال أنس : فأنا أحب النبي ﷺ ، وأبا بكر ، وعمر رضي الله عنهما ، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم [٢] .

وعن أنس رضي الله عنه **في قصة إسلام أبي قحافة** رضي الله عنه **قال** : [فلما مد يده يبايعه بكى أبو بكر رضي الله عنه فقال النبي ﷺ [**ما يبكيك**] ؟ قال : لأن تكون يد عمك « يقصد أبا طالب » مكان يده « يقصد أباه » ويسلم ، ويقر الله عينك أحب إليّ من أن يكون] [٣] .

ومن ذلك قول عمر رضي الله عنه للعباس عم رسول الله ﷺ حين أسر يوم بدر : « يا عباس ، أسلم فوالله ، لئن تسلم أحب إليّ من أن يسلم الخطاب ، وما ذلك إلا لما رأيت رسول الله ﷺ يعجبه إسلامك » [٤] .

وقد علم صحابة رسول الله ﷺ ومن تابعهم بإحسان أن كل الطرق مسدودة إلا طريق رسول الله ﷺ ، وأن المحبة الصادقة تستوجب الاتباع ، ولذلك

---

(١) سورة النساء الآية « ٦٩ » .
(٢) متفق عليه : البخاري حديث رقم « ٣٦٨٨ » وغيره ، ومسلم حديث رقم « ٢٦٣٩ » وغيره .
(٣) أخرجه الحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين .
(٤) كذا في البداية .

قال الحسن : ادعى قوم محبة الله ، فابتلاهم الله بهذه الآية : ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ﴾ (١) .

وأتى رجل إلى الإمام مالك رحمه الله يقول له :يا إمام ، إنى أريد أن أحرم فمن أين أُحرم ؟ فقال له : من حيث أحرم رسول الله ﷺ ، من ذى الحُلَيْفة ، قال الرجل : فإنى أريد أن أحرم من أبعد منه ، قال له الإمام : لا تفعل . قال الرجل : لِمَ ؟ قال الإمام : أخاف عليك الفتنة ، فقال الرجل : وأى فتنة فى ازدياد الخير . قال الإمام : ﴿ **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ (٢) .



---

(١) سورة آل عمران الآية « ٣١ » .
(٢) سورة النور الآية « ٦٣ » .

أمثلة نوادر في عالم النساء

ركب الإيمان واليقين لم يقتصر على الرجال دون النساء ، ومعانى الأسوة والقدوة تجمعت فى هؤلاء وأولئك ، ومن أعظم نساء العالمين ، خديجة بنت خويلد رضى الله عنها ، التى قال النبى ﷺ عنها : [**والله لقد آمنت بى إذ كذبنى الناس ، وآوتنى إذ رفضنى الناس ، ورزقت منها الولد ، وحرمتموه**] ، فهى أول من أسلم وبايع رسول الله ﷺ ، وهى سيدة نساء العالمين فى زمانها ، وفضل عائشة على سائر النساء كفضل الثريد على سائر الطعام ، ونساء رسول الله ﷺ فى الدنيا هن نساؤه فى الجنة ، وكل واحدة منهن لها مناقبها التى تستحق بها أن تكون مثلاً يحتذى ، فرضى الله عنهن جميعاً .

ومن هؤلاء الفضليات آسيا بنت مزاحم امرأة فرعون ، التى قالت ﴿ **رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴿١١﴾ ﴾ [(١)] .

ومريم ابنة عمران ، وفاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وهؤلاء ممن كَمُلَ من النساء ، ولقد كانت النساء على عهد رسول الله ﷺ صالحات قانتات حافظات للغيب ، كانت المرأة إذا خرج زوجها إلى عمله تقول له : « يا زوجى ، اتق الله ، ولا تأكل حراماً ؛ فإننا نستطيع أن نصبر على الجوع فى الدنيا ، ولا نستطيع أن نصبر على عذاب النار يوم القيامة ، وإذا عاد من مسجد رسول الله ﷺ قالت له : كم نزل اليوم من القرآن ، وكم حفظت من حديث رسول

---

(١) سورة التحريم الآية « ١١ » .

الله ﷺ ؟ وبعد أن يتناول زوجها طعامه ، ويريد النوم تقول له : « ألك حاجةٌ إليَّ ؟ » فإن كان له حاجة قضاها ، وإن لم تكن له حاجة قالت له : أتأذن لى أن أقوم الليلة ، فأصلى لله رب العالمين ؟! .

وكان رجل على عهد رسول الله ﷺ يتعجل الانصراف بعد الصلاة فسأله رسول الله ﷺ [**لم تتعجل بعد الصلاة وتنصرف ؟ أزهد فينا ؟**] فقال الرجل : لا يارسول الله ، والذى بعثك بالحق نبياً ، ولكن ثوبى هذا ليس عندى غيره ، وأنا أترك زوجتى فى البيت ، وتنتظرنى لتأخذ ثوبى ، وتصلى فيه ، ثم عاد إلى زوجته يقص عليها ما كان من سؤال رسول الله ﷺ له فقالت له : أتشكو الله إلى رسوله ؟ فقال لها : لا والله .

وامتدحت أم المؤمنين عائشة نساء الأنصار لسرعة استجابتهن لأمر ربهن .

فإنه لما أنزل سبحانه ﴿ **وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ** ﴾ (١) ، عمدن إلى مروطهن المرحلة ، فاعتجرن بها تنفيذاً لما أنزل الله من كتاب .

وقد انطلقت المرأة فى ميادين الجهاد ، والعلم ، والعبادة تسابق الريح فى طاعة ربها ، ومن جملة هؤلاء الخنساء التى أوصت أبناءها الأربعة يوم القادسية فقالت : « يا بنى إنكم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين والله الذى لا إله إلا هو ، إنكم لبنو رجل واحد ، كما أنكم بنو امرأة واحدة ، ما هجَّنتُ حسبكم ، وما غيرتُ نسبكم ، واعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية ، اصبروا ، ورابطوا ، واتقوا الله لعلكم تفلحون ، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها ، وجللت ناراً على أرواقها ، فيمموا وطيسها ، وجالدوا رسيسها ،

---

(١) سورة النور الآية « ٣١ » .

تظفروا بالغنم والكرامة ، فى دار الخلد والمقامة » ، فلما علمت بقتلهم قالت : « الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم ، وأرجو من الله أن يجمعنى بهم فى مستقر الرحمة » .

وحدث أنس بن مالك عن أمه أم سُليم بنت مَلْحان الأنصارية زوج أبى طلحة قال : مرض أخ لى من أبى طلحة يدعى « أبا عمير » فبينا أبو طلحة فى المسجد مات الصبى ، فهيأت أم سُليم أمره وقالت : لا تخبروا أبا طلحة بموت ابنه ، فرجع من المسجد ، وقد تطيبت له وتصنعت ،فقال : ما فعل ابنى ؟ قالت : هو أسكن مما كان ، وقدمت له عشاءه ، فتعشى هو وأصحابه الذين قدموا معه ، ثم قامت إلى ما تقوم له المرأة ، فأصاب من أهله ، فلما كان آخر الليل قالت : يا أبا طلحة ، ألم تر إلى آل فلان استعاروا عارية ، فتمتعوا بها ، فلما طلبت إليهم شق عليهم ؟ قال : ما أنصفوا ! قالت : فإن ابنك فلاناً كان عارية من الله فقبضه إليه ، فاسترجع وحمد الله وقال : والله لا أدعك تغلبيننى على الصبر ، حتى إذا أصبح غدا على رسول الله ﷺ فلما رآه قال : [**بارك الله لكما فى ليلتكما**] فاشتملت منذ تلك الليلة على عبد الله بن أبى طلحة ، ولم يكن فى الأنصار شاب أفضل منه وخرج منه رجلٌ كثير ، ولم يمت عبد الله حتى رزق عشر بنين كلهم حفظ القرآن ، وأبلى فى سبيل الله (١) .

ومن صور وفاء المرأة لزوجها بعد وفاته ما كان من أسماء بنت عُميس ، حيث كانت لجعفر بن أبى طالب ، ثم لأبى بكر من بعده ، ثم خلفهما علىّ رضي الله عنه فتفاخر مرة ولداها محمد بن جعفر ، ومحمد بن أبى بكر ، كل

---

(١) **صحيح** : البخارى « ١٣٠١ » وغيره .

يقول : « أنا أكرم منك ، وأبى خير من أبيك » فقال لها علىّ « اقضى بينهما يا أسماء قالت : مارأيت شاباً من العرب خيراً من جعفر ، ولا رأيت كهلاً خيراً من أبى بكر » ، فقال علىّ : « ما تركت لنا شيئاً ، ولو قلت غير الذى قلت لمقتك ، فقالت أسماء : إن ثلاثاً أنت أقلُهم لخيار » .

ومن صور حرصهن على طلب العلم :

ما روى عن أم الدرداء الفقيهة الزاهدة قولها : « لقد طلبت العبادة فى كل شئ فما أصبت لنفسى شيئاً أشفى من مجالسة العلماء ، ومذاكرتهم » .

ومن نماذج حُسن معاشرتها لزوجها ما روى أن شريحاً القاضى قابل الشعبى يوماً فسأله الشعبى عن حاله فى بيته ، قال له : من عشرين عاماً لم أر ما يغضبنى من أهلى ، قال له : وكيف ذلك ؟ قال شريح : من أول ليلة دخلت على امرأتى ، رأيت فيها حسناً فاتناً وجمالاً نادراً قلت فى نفسى فلأطهر وأصلى ركعتين شكراً لله فلما سلمت وجدت زوجتى تصلى بصلاتى وتسلم بسلامى فلما خلا البيت من الأصحاب والأصدقاء قمت إليها فمددت يدى نحوها فقالت : على رسلك يا أبا أمية كما أنت ثم قالت : الحمد لله أحمده وأستعينه وأصلى على محمد وآله ، إنى امرأة غريبة لا علم لى بأخلاقك ، فبين لى ما تحبه فآتيه ، وما تكره فأتركه ، وقالت : إنه كان فى قومك من تتزوجه من نسائكم ، وفى قومى من الرجال من هو كفء لى ، ولكن إذا قضى الله أمراً كان مفعولاً ، وقد ملكت فاصنع ما أمرك الله به ﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾ [1] ، أقول قولى هذا ، وأستغفر

---

(١) سورة البقرة الآية « ٢٢٩ » .

الله لى ولك . قال شريح : فأحوجتنى والله ياشعبى إلى الخطبة فى ذلك الموضع فقلت : الحمد لله أحمده وأستعينه وأصلى على النبى وآله وأسلم وبعد : فإنك قلت كلاماً إن ثبتّ عليه يكن ذلك حظك ، وإن تدعيه يكن حجة عليك ، أحب كذا وكذا ، وأكره كذا وكذا ، وما رأيت من حسنة فانشريها ، وما رأيتى من سيئة فاستريها . فقالت : كيف محبتك لزيارة أهلى ، قلت : أحب ألا يملنى أصهارى ، فقالت : فمن تحب من جيرانك أن يدخل دارك فأذن له ، ومن تكره فأكره ؟ قلت : بنو فلان قوم صالحون ، وبنو فلان قوم سوء ، قال شريح : فبت معها بأنعم ليلة ، وعشت معها حولاً لا أرى إلا ما أحب ، فلما كان رأس الحول جئت من مجلس القضاء ، فإذا بفلانة فى البيت ، قلت : من هى قالوا : ختنك « أى أم زوجتك » ، فالتفتت إلىّ وسألتنى كيف رأيت زوجتك ؟ ، قلت : خير زوجة ، قالت : يا أبا أمية إن المرأة لا تكون أسوأ حالاً منها فى حالتين : إذا ولدت غلاماً ، أو حظيت عند زوجها ، فوالله ما حاز الرجال فى بيوتهم شراً من المرأة المُدَلَّلَة فأدبْ ما شئت أن تؤدب ، وهذب ما شئت أن تهذب ، فمكثت معها عشرين عاماً لم أعقب عليها فى شىء إلا مرة كنت لها ظالماً .

ولو تتبعنا أخبار العابدات ، واستقصينا أحول الصالحات ، لوجدنا تذكرة ، وعظة لأولى الألباب .



أبناء على الدرب يسيرون

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يُدنى ابن عباس ، وهو حديث السن ويستفتيه ، ويأذن له مع كبار المهاجرين وأعلامهم ، ويشاوره معهم ، ويراه موضعاً للاستشارة وإذا سأل فقيهاً من الصحابة عن نوادر الأحكام سأله ، وقال له : غُصْ غوّاصُ . وحُكى أن أناساً ذكروا معاوية ، وعمرو بن العاص رضى الله عنهما عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال لهم : أين أنتم من عبد الله بن عباس ؟ فقالوا : هو والله إنه « أى كما تقول » ، ولكنهما أذكى ، وأطول تجربة . فقال عمر : إن ذلك لهما عليه ، ولئن بقى حتى يجرى فى عنانهما لُيبّرحن بهما تبريح الأشقر مفراً وشَيْحاً « والأشقر : الجواد الذى فيه حمرة صافية ، شيحاً : أى غيرة ودفاعاً » يقصد عمر : إنهما لن يدركا شأوه إذا ما وصل سنهما ، وأتيح له أن يؤدى عملهما .

وروى أن العباس رضي الله عنه قال لابنه عبد الله : يابنى ، أرى هذا الرجل - يعنى ابن الخطاب رضي الله عنه - قد أكرمك ، وأدناك ، وخصك دون أكابر أصحاب رسول الله ﷺ ، فاحفظ عنى أربعاً : لا يجربن عليك كذباً ، ولا تطو عنه نصيحة ، ولا تفشين له سراً ، ولا تغتابن عنده أحداً .

قال الشعبى وهو راوى الحديث : عن عبد الله بن عباس : كلٍ واحدة خير من ألف . فقال : إى والله ، ومن عشرة آلاف . وكان ابن عباس يسمى البحر لكثرة علومه ، ومن هؤلاء النجباء ابن الطيار « عبد الله بن جعفر » الذى قال عنه أبو سفيان عندما رآه : أما إنه لم يمت من خَلَفَ مثل هذا ، وقد ترقت حاله فى السخاء إلى أن يُسمى مُعلّم الكرم ، وعوتب فى السخاء ، فقال : إن

الله قد عودنى أن يتفضل ، وعودتُ عباده أن أفضل عليهم ، وأخاف أن أقطع عنهم العادة عنى . وقيل : إن الزمن اشتد عليه ، فقال فى يوم جمعة : اللهم ، إن كنت قد صرفت عنى ما كنت تجريه على يدىَّ من الإحسان إلى عبادك ، فاقبضنى إليك . فما دارت الجمعةُ الأخرى إلا وهو متوفى رحمة الله عليه .

ومر عمر رضي الله عنه بعبد الله بن الزبير وهو يلعب مع الصبيان ، ففروا حين رأوا عمر رضي الله عنه ، وثبت عبد الله ، فقال عمر : مالك لا تفر مع أصحابك ؟ فقال : لم أجرم فأخافك ، ولم يكن فى الطريق ضيقٌ فأوسع لك .

ودخلت الشفاء بنت هاشم يوماً – وهى امرأة من المهاجرات – على أسماء بنت أبى بكر الصديق فقالت لها : ماذا لقيتُ من عبد الله ألقيتهُ اليوم ؟ فقَلتُ أحقاً بايعك رسول الله ﷺ ؟ فقال : نعم ، فقلت : بالله لقد آثرك الله على صغر سنك . فقال : يا خالة ، إن صغيرنا إلى كبرٍ ، وإن كُبراكن إلى صغر ، وبعد فرسول الله أبصر .

وذكر البعض من أمر عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز عجباً ، وقالوا : كنا نرى أن عمر بن عبد العزيز إنما أدخله فى العبادة ما رأى من ابنه عبد الملك ، وغضب عمر بن عبد العزيز يوماً ، فاشتد غضبه ، وكان فيه حدة ، وعبد الملك حاضر ، فلما سكن غضبه قال : يا أمير المؤمنين أنت فى قدر نعمة الله عليك ، وموضعك الذى وضعك الله به ، وما ولاك من أمر عبادة يبلغ بك الغضب ما أرى ؟ قال : كيف قلت ؟ فأعاد عليه كلامه، وقال : أما تغضب يا عبد الملك ؟ فقال : ما تُغنى سعةُ جوفى إن لم أردّد فيه الغضب حتى لا يظهر منه شىء أكرهه .

ودخل عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز على عمر ، فقال : يا أمير

المؤمنين ، إن لى إليك حاجة فأدخلنى ، وعنده مسلمة بن عبد الملك ، فقال عمر : أسرٌ دون عمك؟ قال: نعم ، فقام مسلمة ، وخرج ، وجلس بين يديه ، فقال : رأيت بدعةً تُمتها ، أو سنةً فلم تُحيْها ؟ فقال له : يابنى ، أشيء حملك الرغبة إلىّ أم رأى رأيته من قبل نفسك ؟ قال : لا والله ، ولكن رأىٌ رأيتُه من قبل نفسى ، عرفت أنك مسئول ، فما أنت قائل ؟ فقال له أبوه : رحمك الله ، وجزاك من ولد خيراً ، فوالله ، إنى لأرجو أن تكون من الأعوان على الخير ، يابنى إن قومك قد شدّوا هذا الأمر : عقدة ، عقدة ، وعروةً ، عروة ، ومتى ما أريد مكابرتهم على انتزاع ما فى أيديهم لم آمن أن يفتقوا على فتقاً تكثر فيه الدماء ، والله لزوال الدنيا ، أهون علىّ من أن يهراق فى سببى محجةٌ من دم ، أو ما ترضى أن لا يأتى على أبيك يوم من أيام الدنيا إلا وهو يُميت فيه بدعة ، ويُحيى فيه سنة ؟ حتى يحكم الله بيننا بالحق ، وهو خير الحاكمين .

ودخل عبد الملك يوماً على أبيه عمر فقال : أين وقع لك رأيك فيما ذكر لك مزاحم من رد المظالم ؟ ، فقال : علىّ انفاذه فرفع عمر يده ، ثم قال : الحمد لله الذى جعل لى من ذريتى من يعيننى على أمر دينى ، نعم يابنى أصلى الظهر إن شاء الله ، ثم أصعد المنبر ، فأردها على رؤوس الناس ، فقال عبد الملك : يا أمير المؤمنين ، من لك بالظهر ؟ ومن لك إن بقيت أن تسلم لك نيتك ؟ فقال عمر : تفرّق الناس للقائله . فقال عبد الملك تأمر مناديك فينادى : الصلاة جامعة ، ثم يجتمع الناس ، فأمر مناديه فنادى .

وجلس عمر يوماً للناس ، فلما انتصف النهار ضجر ، وملّ ، فقال للناس : مكانكم حتى أنصرف إليكم ، ودخل ، ليستريح ساعة ، فجاء إليه ابنه عبد

الملك فسأل عنه ، فقالوا : دخل فاستأذن عليه ، فأذن له ، فلما دخل قال : يا أمير المؤمنين ، ما أدخلك؟ قال : أردت أن أستريح ساعة . قال : أو أمنت الموت أن يأتيك ورعيتُك على بابك ينتظرونك ، وأنت محتجب عنهم ؟ فقام عمر فخرج إلى الناس واستوى عمر قائماً .

وحين دفنه ابنه عبد الملك أحاط به الناس فقال : والله يابنى ، لقد كنت براً بأبيك ، والله ما زلت منذ وهبك الله لى مسروراً بك ، ولا والله ، ما كنتُ قط أشدّ سروراً ولا أرجى لحظى من الله فيك منذ وضعتك فى المنزل الذى صيرك الله إليه ، فرحمك الله ، وغفر لك ذنبك ، وجزاك بأحسن عملك ، ورحم كل شافع يشفع لك بخير من شاهد وغائب ، رضينا بقضاء الله وسلمنا لأمره ، الحمد لله رب العالمين . ثم انصرف .



الدرر المنثورة

قال محمد بن على بن الحسين لجابر الجعفى : ياجابر ، إنى لمحزون ، وإنى لمشتغل القلب . قال جابر : وما حزنك ، وما شغل قلبك ؟ قال : ياجابر ، إنه من دخل قلبه صافى خالص دين الله شغله عما سواه . ياجابر ، ما الدنيا ما عسى أن تكون ؟ هل هو إلا مركب ركبته ، أو ثوب لبسته ، أو امرأة أصبتها ؟ يا جابر : إن المؤمنين لم يطمئنوا إلى الدنيا لبقاء فيها ، ولم يأمنوا قدوم الآخرة عليهم ، ولم يصمهم عن ذكر الله ما سمعوا بآذانهم من الفتنة ، ولم يعمهم عن نور الله ما رأوا بأعينهم من الزينة ، ففازوا بثواب الأبرار ، إن أهل التقوى أيسرُ أهل الدنيا مؤونة ، وأكثرهم لك معونةً ، إن نسيت ذكروك ، وإن ذكرت أعانوك ، قوالين بحق الله ، قوّامين بأمر الله ، فأنزل الدنيا كمنزلٍ نزلت به ، وارتحلت منه ، أو كمالٍ أصبته فى منامك ، فاستيقظت ، وليس معك منه شىء ، واحفظ الله تعالى ما استرعاك من دينه وحكمته .

وقال لابنه يوماً : يابُنى ، إياك والكسل والضجر ، فإنهما مفتاح كل شر ، إنك إن كسلت لم تؤد حقاً ، وإن ضجرت لم تصبر على حق .

وكان إذا ضحك يقول : اللهم لا تمقتنى ، وكان يقول : كان لى أخ فى عينى عظيم ، وكان الذى عظّمه فى عينى صغر الدنيا فى عينه ، وكان يقول فى جوف الليل : أمرتنى فلم أأتمر ، وزجرتنى فلم أزدجر ، هذا عبدك بين يديك ، ولا أعتذر . من أقواله : ما من عبادة أفضل من عفة بطن أو فرْج ، وما من شىء أحب إلى الله عز وجل من أن يُسأل ، وما يدفع القضاء إلا الدعاء ، وإن أسرع الخير ثواباً البرُ ، وأسرع الشر عقبةً البغىُ ، وكفى بالمرء عيباً أن يبصر

من الناس ما يعمى عليه من نفسه ، وأن يأمر الناس بما لا يستطيع التحول عنه ، وأن يؤذى جليسه بما لا يعنيه .

وقال لأصحابه يوماً : يُدخل أحدكم يده كيسَ صاحبه ، فيأخذ ما يريد ؟ قال : قلنا : لا ، قال : فلستم إخواناً كما تزعمون . وكان يدخل إليه إخوانه ، فلا يخرجون من عنده حتى يطعمهم الطعام الطيب ، ويكسوهم الثياب الحسنة، ويهب لهم الدراهم ، ويقول : ما يؤمَّل فى الدنيا بعد المعارف والإخوان ؟ .

وافتقد بغلة له فقال : لأن ردها الله عز وجل لأحمدنّه محامدَ يرضاها . فما لبث أن أُتىَ بها بسرْجها ولجامها ، فركبها ، فلما استوى عليها وضم عليه ثيابه رفع رأسه إلى السماء ، وقال : الحمد لله . لم يزد عليها . فقيل له فى ذلك فقال : وهل تركت أو أبقيت شيئاً ؟ جعلتُ الحمد كلّه لله عز وجل .

وكان عامر بن عبد الله بن الزبير يتحيّن العُبّاد وهم سجود : أبا حازم ، وصفوان بن سليم ، وسليمان بن شحم ، وأشباهَهم ، فيأتيهم بالصّرة فيها الدنانير والدراهم فيضعها عند نعالهم بحيث يحسّون بها ، ولا يشعرون بمكانه . فيقال له : ما يمنعك أن ترسل بها إليهم ؟ فيقول : أكره أن يتمعّر « يتغير » وجه أحدهم إذا نظر إلى رسولى ، وإذا لقينى ، وكان إذا شهد جنازة وقف على القبر ، فقال : ألا أراك ضيقاً ؟ ألا أراك دقعاً « كئيباً » ؟ ألا أراك مظلماً ؟ إن سلمتُ لأتأهبن لك أهبتك . فأول شىء تراه عيناه من ماله يتقرب به إلى ربه ، وإن كان رقيقه ليتعرضون له عند انصرافه من الجنائز ليُعتقهم . وسمع المؤذن وهو يجود بنفسه ، ومنزله قريب من المسجد فقال : خذوا بيدى . فقيل له : إنك عليل ، فقال : أسمع داعى الله فلا أجيبه ؟! فأخذوا بيده ، فدخل فى صلاة المغرب ، فركع مع الإمام ركعة ، ثم مات .

وكان محمد بن كعب القُرظَى يقول : إذا أراد الله بعبدٍ خيراً جعل فيه ثلاث خصال : فقهاً فى الدين ، وزهادة فى الدنيا ، وبصراً بعيوبه . وقالت أمه له يوماً : يابنى ، لولا أنى أعرفك صغيراً طيباً ، وكبيرا طيباً ، لظننت أنك أحدثت ذنباً موبقاً لما أراك تصنع بنفسك فى الليل والنهار . قال : يا أماه ، وما يؤمننى أن يكون الله قد اطلع علىّ وأنا فى بعض ذنوبى ، فمقتنى ، فقال : اذهب لا أغفر لك ؟ مع أن عجائب القرآن ترد بى على أمور حتى إنه لينقضى الليل ، ولم أفرغ من حاجتى .

وكان ابن شهاب الزهرى يقول : إن هذا العلم إن أخذته بالمكابرة غلبك ، ولم تظفر منه بشىء ، ولكن خُذْه مع الأيام والليالى أخذاً رفيقاً تظفر به .

وعن عمرو بن دينار قال : ما رأيت أحداً أهون عليه الدينار والدراهم من ابن شهاب ، وما كانت عنده إلا مثل البعر ، ومر محمد بن المنكدر بقوله سبحانه : ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ [(١)] ، فبكى وقال : أخاف أن يبدو لى ما لم أكن أحتسب . ولما قيل له : أى العمل أحب إليك ؟ قال : إدخال السرور على المؤمن . قيل : فما بقى من لذتك ؟ قال : الإفضال على الإخوان . وقيل لأبى حازم : ما مالك ؟ قال : ثقتى بالله عز وجل ويأسى مما فى أيدى الناس . وكان يقول : ما مضى من الدنيا فحلم ، وما بقى فأمانىّ .

ومن أقواله : لا يُحسن عبد فيما بينه وبين الله إلا أحسن الله ما بينه وبين العباد ، ولا يعْور فيما بينه وبين الله عز وجل إلا أعورَ « بدت عورته » فيما بينه

---

(١) سورة الزمر الآية « ٤٧ » .

وبين العباد ، ولمصانعةُ وجه واحد أيسرُ من مصانعة الوجوه كلها ، إنك إذا صانعت هذا الوجه مالت الوجوه كلها إليك ، وإذا أفسدت ما بينك وبينه شنَفتك الوجوه « أبغضتك » كلها .

وقال : إذا رأيت الله عز وجل يتابع نعمه عليك وأنت تعصيه ؛ فاحذره . وقال : كل نعمة لا تقرب من الله عز وجل فهى بليّة ، وقال : ينبغى للمؤمن أن يكون أشد حفظاً للسانه منه لموضع قدميه .

وقال : إن وُقينا شرّ ما أُعطينا لم نبالا ما فاتنا . وقال : إن كان يغنيك من الدنيا ما يكفيك ؛ فأدنى عيشٍ من الدنيا يكفيك ، وإن كان لا يغنيك ما يكفيك فليس شيء يكفيك .

وزار سليمان بن عبد الملك المدينة فبعث إلى أبى حازم فجاءه ، فقال : يا أبا حازم ، ما لنا نكره الموت ؟ قال : لأنكم أخربتم آخرتكم ، وعمرتم دنياكم ، فأنتم تكرهون أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب . قال : صدقت ، فكيف القدوم على الله عز وجل ؟ قال : أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله ، وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه . فبكى سليمان ، وقال : وليت شعرى ، ما لنا عند الله يا أبا حازم ؟ قال : اعرض نفسك على كتاب الله عز وجل ، فإنك تعلم مالك عند الله . قال : يا أبا حازم ، وأنىَّ أصيب ذلك ؟ قال : عند قوله : ﴿ **إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤)** ﴾ [1] ، فقال سليمان : فأين رحمة الله ؟ قال قريب من المحسنين ، قال : ما تقول فيما نحن فيه ؟ قال : أعفنى من هذا .

---

(١) سورة الانفطار الآيات « ١٣ ، ١٤ » .

قال سليمان : نصيحة تُلقيها . قال أبو حازم : إنا أُناساً أخذوا هذا الأمر عنوةً من غير مشاورة من المسلمين ، ولا اجتماع من رأيهم ؛ فسفكوا فيه الدماء على طلب الدنيا ، ثم ارتحلوا عنها فليت شعرى ، ماقالوا ، وما قيل لهم ؟ فقال بعض جلسائه : بئس ما قلت ياشيخ . قال أبو حازم : كذبت إن الله تعالى أخذ على العلماء ليبيننه للناس ، ولا يكتمونه . قال سليمان : اصحْبنا يا أبا حازم تُصيب منا ، ونُصيب منك : قال : أعوذ بالله من ذلك قال : ولم ؟ قال : أخاف أن أركن إليكم شيئاً قليلاً ، فيذيقنى ضِعْفَ الحياة ، وضعف الممات . قال : فأشْر عليّ . قال : اتق الله أن يراك حيث نهاك ، وأن يفقدك حيث أمرك . قال : يا أبا حازم ، ادع لنا بخير . قال : اللهم ، إن كان سليمان وليّك فسيره للخير ، وإن كان عدوك فخذه إلى الخير بناصيته . فقال : يا غلام ، هات مائة دينـار . ثم قال : خذها يا أبا حازم . فقال : لا حاجة لى فيها ، إنى أخاف أن يكون لما سمعت من كلامى .

وكان رحمه الله يقول : ما فى الدنيا شىء يسرك إلا وقد ألزق به شىء يسوءك . وقال : إذا عزم العبد على ترك الآثام أتته الفتوح .

وكان يمر على الفاكهة ، فيقول : موعدُك الجنة . وقال : وجدت الدنيا شيئين : فشىء منها هو لى فلن أعجلّه قبل أجَله ، ولو طلبته بقوة السموات والأرض . وشىء منها هو لغيرى ، فلم أنله فيما مضى ، ولا أرجوه فيما بقى ، يُمنَع الذى لى من غيرى ، كما يُمنع الذى لغيرى منى ، ففى أى هذين أفنى عمرى ؟ ووجدت ما أُعطيت من الدنيا شيئين : فشىء يأتى أجله قبل أجلى فأغلب عليه ، وشىء يأتى أجلى قبل أجله ، فأموت وأخلفه لمن بعدى ، ففى أى هذين أعصى ربى عز وجل ؟ .

وكان يقول : عجباً لقوم يعملون لدارٍ يرحلون عنها كل يوم مرحلة ، ويدعون أن يعملوا لدار يرحلون إليها كل يوم مرحلة ، وحلف لجلسائه : لوددت أن أحدكم يُبقى على دينه كما يُبقى على نعله ، وقال : اضمنوا لى اثنين أضمن لكم الجنة : عملاً بما تكرهون إذا أحبه الله تعالى ، وترك ما تحبون إذا كرهه الله عز وجل .

وقال : ما أحببت أن يكون معك فى الآخرة فقدمه اليوم ، وما كرهت أن يكون معك فى الآخرة فاتركه اليوم .

وقال : رضى الناسُ من العمل بالعلم ، ومن الفعل بالقول .



مغـزى ومعنــى

قال جعفر بن محمد لسفيان الثورى ، ياسفيان : إذا أنعم الله عليك بنعمة ، فأحببت بقاءها ودوامها ، فأكثر من الحمد والشكر عليها ، فإن الله عز وجل قال فى كتابه : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [(١)] ، وإذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار فإن الله تعالى قال فى كتابه : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ ﴾ [(٢)] ، يعنى فى الدنيا ﴿ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا (١٢) ﴾ [(٣)] ، فى الآخرة ياسفيان ، إذا أضرّ بك أمر من سلطان أو غيره فأكثر من قول « لا حول ولاقوة إلا بالله » فإنها مفتاح الفرج ، وكنز من كنوز الجنة ، وقال له : لا يتم المعروف إلا بثلاثة : بتعجيله ، وتصغيره ، وستره .

وسئل : لِمَ حرم الله الربا ؟ قال : لئلا يتمانع الناسُ المعروف . وأوصى يوماً فقال : « بابنىّ ، اقبل وصيتى ، واحفظ مقالتى ، فإنك إن حفظتها تعش سعيداً ، وتمت حميداً ، يابنى ، إنه من قنع بما قسم الله له استغنى ، ومن مد عينه إلى ما فى يد غيره مات فقيراً ، ومن لم يرض بما قسم الله عز وجل له اتهم الله تعالى فى قضائه ، ومن استصغر زلة نفسه استعظم زلة غيره ، ومن استصغر زلة غيره استعظم زلة نفسه ، يا بنى ، من كشف حجاب غيره انكشفت عورات بيته ، ومن سل سيف البغى قتل به ، ومن احتفر لأخيه بئراً

---

(١) سورة إبراهيم عليه السلام الآية « ٧ » .

(٢) سورة نوح عليه السلام الآيات « ١٠ ، ١٢ » .

(٣) سورة نوح عليه السلام الآية « ١٢ » .

سقط فيها ، ومن داخل السفهاء حُقّر ، ومن خالط العلماء وُقرّ ، ومن دخل مداخل السوء اُتهم ، يابنى ، قل الحق لك وعليك ، وإياك والنميمة ؛ فإنها تزرع الشحناء فى قلب الرجال ، يابنى ، إذا طلبت الجود فعليك بمعادته .

وسأل المنصور جعفر بن محمد فقال له : يا أبا عبد الله ، لِم خلق الله عز وجل الذباب ؟ قال : لِيُذّل به الجبابرة ! .

وكان رجل من أهل السواد يلزم جعفر بن محمد ، ففقده فسأل عنه ، فقال له رجل : إنه نَبَطى « يريد أن يضع منه » فقال جعفر : أصل الرجل عقله ، وحِسَبُه دينه ، وكرمه تقواه ، والناس فى آدم مستوون .

ولما دخل جعفر بن محمد على أبى جعفر المنصور أوعده وقال : أى عدو الله اتخذك أهل العراق إماماً يجبون إليك زكاة أموالهم ، وتلحد فى سلطانى ، وتبغيه الغوائل ؟ قتلنى الله إن لم أقتلك . فقال : يا أمير المؤمنين ، وإن سليمان عليه السلام أعطى فشكر ، وإن أيوب اُبتلى فصبر ، وإن يوسف عليه السلام ظُلم فغفر ، وأنت من ذلك السِّنخ « الأصل » قال له أبو جعفر : إلىّ وغدى ، أبا عبد الله البرىء الساحة ، السليم الناحية ، القليل الغائلة ، جزاك الله من ذى رحم ، أفضل ما جزى ذوى الأرحام عن أرحامهم ، ثم تناول يده فأجلسه معه على فراشه ، ثم قال : علىَّ بالمنجفة « وعاء » فأتى بدُهن فيه غالية « أخلاط من الطيب » فغلفه بيده حتى خلتُ لحيته قاطرة « أى تقطر طيباً » ثم قال : فى حفظ الله ، وفى كلاءته . ثم قال : ياربيع ، ألحق أبا عبد الله جائزته ، وكسوته، انصرف أبا عبد الله فى حفظ الله ، وفى كنفه ، فانصرف ، ولحقه الربيع ، فقال له : إنى قد رأيت قبل ذلك مالم تره ، ورأيت بعد ذلك ما قد رأيت ، فما قلت يا أبا عبد الله حين دخلت ؟ قال : قلت : اللهم ، احرُسْنى

بعينك التي لا تنام ، واكُنفني بركْنك الذي لا يُرام ، واغفر لي بقدرتك عليّ لا أهلك وأنت رجائي. اللهم ، إنك أكبر وأجلّ ممن أخاف ، وأحذر ، اللهم ، بك أدفع في نحره ، وأستعيذ بك من شره .

وحج أبو جعفر المنصور فدعا ابن أبي ذئب فقال : نشدتُك بالله ألست أعمل بالحق ؟ أليس تراني أعدل ؟ فقال ابن أبي ذئب : أما إذا أنشدتني بالله ، فأقول : اللهم لا ما أراك تعدل ، وإنك لجائر ، وإنك لتستعمل الظَلَمة ، وتدع أهل الخير .

ودخل ابن أبي ذئب على والي المدينة فكلمه في شيء ، فقال له والي المدينة : إني لأراك مُرائياً ، فأخذ عوداً أو شيئاً من الأرض فقال : من أُرائي ؟ فوالله للناسُ عندي أهون من هذا .

وكان مالك بن أنس إذا أراد أن يُحدِّث توضأ ، وجلس على صدر فراشه ، وسرّح لحيته ، وتمكن في الجلوس بوقار وهيبة ، ثم حدّث ، فقيل له في ذلك ، فقال : أحب أن أعظم حديث النبي ﷺ ، ولا أحدث به إلا على طهارة متمكناً .

وكان يكره أن يحدث في الطريق وهو قائم أو مستعجل ، فقال : أحب أن يُفهم ما أحدث به عن رسول الله ﷺ .

وقيل : كان إذا أراد أن يحدّث بحديث ﷺ اغتسل ، وتبخّر ، وتطيّب ، وإذا رفع أحدٌ صوته عنده قال : اغضض من صوتك ، فإن الله عز وجل يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾[1] ، فمن رفع

---

(١) الحجرات الآية « ٢ » .

صوته عند حديث رسول الله ﷺ فكأنما رفع صوته فوق صوت رسول الله ﷺ .

وكان يقول : ليس العلم بكثرة الرواية ، وإنما هو نور يضعه الله فى القلب. وقيل له : ماتقول فى طلب العلم ؟ قال : حسن جميل ، ولكن انظر إلى الذى يلزمُك من حين تُصبح إلى حين تمسى فالزمه . وسأل رجل مالكاً عن مسألة فقال : لا أحسنها ، فقال الرجل : إنى ضربت إليك من كذا وكذا لأسألك عنها ، فقال له مالك : فإذا رجعت إلى مكانك وموضعك ؛ فأخبرهم أنى قلتُ لك : لا أحسنها .

وكان أبو عبد الرحمن العمرى يقول : إن من غفلتك عن نفسك إعراضك عن الله بأن ترى ما يُسخطه ، فتجاوزه ، ولا تأمر ولا تنهى خوفاً ممن لا يملك ضُراً ولا نفعاً ، وقال : من ترك الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر من مخافة المخلوقين نُزعت منه هيبةُ الله تعالى ، فلو أمر بعض ولده ، أو بعض مواليه لا ستخفّ به .

وقام العمرى للخليفة هارون الرشيد على الطريق فقال له : فعلت، وفعلت. فقال له : ماذا تريد ؟ قال : تعمل بكذا ، وتعمل بكذا . فقال له هارون : نعم يا عمّ ، نعم ياعمّ .

وحج هارون الرشيد فقال رجل للعمرى : يا أبا عبد الرحمن ، هو ذا أمير المؤمنين يسعى ، قد أخلى له المسعى . قال العمرى للرجل : لا جزاك الله عنى خيراً ، كلفتنى أمراً كنتُ عنه غنياً ، ثم تعلّق نعليه ، وقام ، وأقبل هارون الرشيد من المروة يريد الصفا ، فلما رقيه قال : ارْم بطرفك إلى البيت . قال : قد فعلت ، قال : كم هم ؟ قال : ومن يُحصيهم ؟ قال : فكم فى الناس مثلهم ؟ قال : لا يُحصيهم إلا الله . قال : اعلم أيها الرجل أن كل واحد منهم

يُسأل عن خاصة نفسه ، وأنت وحدك تُسأل عنهم كلهم ، فانظر كيف تكون ؟ قال : فبكى هارون ، وجلس ، وجعلوا يُعطونه منديلاً للدموع . قال العمرى : وأخرى أقولها . قال : قل ياعم . قال : والله إن الرجل ليسرف فى ماله ، فيستحق الحَجْر عليه ، فكيف بمن يسرف فى مال المسلمين ؟ ثم مضى وهارون يبكى .

وجاء رجل إلى العمرى فقال : عظنى . قال : فأخذ حصاة من الأرض ، فقال : زِنَة [1] هذه من الورع يدخل قلبك خيرٌ لك من صلاة أهل الأرض . قال : زدنى . قال : كما تحبُّ أن يكون الله عز وجل لك غداً فكن له اليوم .



(١) زِنَة : مثقال

هيا بنا نؤمن ساعة فأرواحنا في وحشة من جسومنا

كان سفيان بن عيينة يقول : الأيام ثلاثة : فأمس حكيم مؤدّب ترك حكمته ، وأبقاها عليك ، واليوم صديق مودّع كان عنك طويل الغيبة حتى أتاك ، ولم تأته ، وهو عنك سريع الظعن « أى الرحيل » ، وغداً لا تدرى أتكون من أهله أو لا تكون .

وقال : إذا وافقت السريرة العلانية فذلك العدل ، وإذا كانت السريرة أفضل من العلانية فذلك الفضل ، وإذا كانت العلانية أفضل من السريرة فذلك الجَوْر.

وكان سفيان بن عيينة بعد ما أسنّ يتمثل بهذا البيت .

يعمَّر واحدٌ فيغرّ قوماً   وينسى من يموت من الصغار

وكان يقول : إذا ترك العالم « لا أدرى » أصيبت مقاتله .

وقال رحمه الله : العلم إن لم ينفعك ضرك .

وقال : ليس يضر المدح من عرف نفسه . وقال : اسلكوا سبل الحق ، ولا تستوحشوا من قلة أهلها . وقال : إن من توقير الصلاة أن تأتى قبل الإقامة .

ومن أقواله : من رأى أنه خير من غيره فقد استكبر ، وذلك أن إبليس إنما منعه من السجود لآدم عليه السلام استكباره ، ومن كان معصيته فى الشهوة فارج له التوبة ، فإن آدم عصى مشتهياً فغفر له ، فإذا كانت معصيته فى كبر فاحش على صاحبه اللعنة ، فإن إبليس عصى مستكبراً فلعن .

وقال : إذا كان نهارى نهارَ سفيه ، وليلى ليلَ جاهلٍ ، فما أصنع بالعلم الذى كتبت ؟ .

وقال : لم يعرفوا حتى أحبوا أن لا يعرفوا ، وقال : من تزين للناس بشيء يعلم الله منه غير ذلك شانه الله .

وقال : ليس من حب الدنيا طلبك ما لابد منه .

قال سفيان بن عيينة : لما بلغتُ خمس عشرة سنة دعانى أبى فقال لى : ياسفيان ، قد انقطعت عنك شرائع الصبا ، فاحتفظ من الخير تكن من أهله ، ولا يغرنك من اغتر بالله ، فمدحك بما يعلم الله خلافه منك ، فإنه ما من أحد يقول فى أحد من الخير إذا رضى إلا وهو يقول فيه من الشر مثل ذلك إذا سخط ، فاستأنس بالوحدة من جلساء السوء ، لا تنقل أحسن ظنى بك إلى غير ذلك ، ولن يسعد بالعلماء إلا من أطاعهم .

قال سفيان : فجعلت وصية أبى قبلةً أميل معها ، ولا أميل عنها .

ومن أقوال الفضيل بن عياض : « أصلح ما أكون أفقرُ ما أكون ، وإنى لأعصى الله ، فأعرف ذلك فى خُلق حمارى وخادمى » .

وقال : إذا لم تقدر على قيام الليل ، وصيام النهار ، فاعلم أنك محروم مكبلٌ : كبّلتك خطيئتك . وأخذ يوماً بيد سفيان بن عيينة فقال له : إن كنت تظن أنه بقى على وجه الأرض شر منى ومنك ، فبئس ما تظن .

وبلغ فضيلاً أن جريراً يريد أن يأتيه قال : فأقفل الباب من خارج . قال : فجاء جرير فرأى الباب مقفلاً فرجع ، قال علىّ بن الحسن : فبلغنى ذلك فأتيته فقلت له : جرير . فقال : ما يصنع بى ؟ يظهر لى محاسن كلامه ، وأظهر له محاسن كلامى ، فلا يتزين لى ولا أتزين له خيرٌ له .

وكان يقول : لو قيل لك يا مرائى ، لغضبت ، ولشق عليك ، وتشكو

فتقول : قال لى : يامرائى عساه قال حقاً من حبك للدنيا تزينت للدنيا ، وتصنعت للدنيا ، ثم قال : اتق ألا تكون مرائياً ، وأنت لا تشعر ، تصنّعتَ ، وتهيأت حتى عرفك الناس ، فقالوا هو رجل صالح ، فأكرموك ، وقضوا لك الحوائج ووسّعوا لك فى المجالس ، وإنما عرفوك بالله، ولولا ذلك لهنت عليهم .

وقال : تزينّتَ لهم بالصوم ، فلم ترهم يرفعون بك رأساً ، وتزينت لهم بالقرآن فلم ترهم يرفعون بك رأساً ، تزينت لهم بشىء بعد شىء ، إنما هو لحب الدنيا .

وقال : ما يؤمنك أن تكون بارزت الله بعمل مقتك عليه ، فأغلق دونك أبواب المغفرة ، وأنت تضحك كيف ترى تكون حالك ؟ .

وقال : أدركت أقواماً يستحون من الله فى سواد الليل من طول العجعة ، إنما هو على الجنب ، فإذا تحرك قال : ليس هذا لك ، قومى خذى حظك من الآخرة .

وقال : لأن أطلب الدنيا بطبل ومزمار أحبّ إلىّ من أن أطلبها بالعبادة .

ودخل عليه هارون الرشيد يوماً وكان قد ارتقى إلى الغرفة ، فأطفأ المصباح ، ثم التجأ إلى زاوية من زوايا البيت ، فمسته كف هارون ، فقال الفضيل : يا لها من كف ما ألينها إن نجت غداً من عذاب الله عز وجل ، ثم قال : إن عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة دعا سالم بن عبد الله ، ومحمد بن كعب القرظى ، ورجاء بن حيوة ، فقال لهم « إنى قد اُبتليت بهذا البلاء ، فأشيروا علىّ » فعد الخلافة بلاء ، وعددتها أنت وأصحابك نعمة . فقال له سالم بن عبد الله : إن أردت النجاة غداً من عذاب الله فصمُ عن الدنيا ، وليكن إفطارك من الموت . وقال له محمد بن كعب القرظى : إن أردت النجاة من

عذاب الله فليكن كبير المسلمين عندك أباً ، وأوسطهم عندك أخاً، وأصغرهم عندك ولداً ؛ فوقر أباك ، وأكرم أخاك ، وتحنن على ولدك . وقال له رجاء بن حيوة : إن أردت النجاة غداً من عذاب الله عز وجل فأحب المسلمين ما تحب لنفسك ، واكره لهم ما تكرهُ لنفسك ، ثم مُت إذا شئت . وإنى أقول لك : إنى أخاف عليك أشد الخوف يوم تزل فيه الأقدام ، فهل معك – رحمك الله – من يشير عليك بمثل هذا ؟ فبكى هارون بكاءاً شديداً حتى غُشى عليه ، فقيل له : ارفق بأمير المؤمنين . فقال : يا ابن أم الربيع ، تقتله أنت وأصحابك وأرفق به أنا . ثم أفاق فقال له : زدنى رحمك الله . فقال : يا أمير المؤمنين ، بلغنى أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز شكا إليه ، فكتب إليه عمر : يا أخى ، أذكر طول سهر أهل النار فى النار مع خلود الأبد أن يُنصَرف بك من عند الله ، فيكون آخر العهد ، وانقطاع الرجاء . قال فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر بن عبد العزيز ، فقال : له ما أقدمك ؟ قال : خلعت قلبى بكتابك ، لا أعود إلى ولاية أبداً حتى ألقى الله عز وجل . قال : فبكى هارون بكاء شديد ، ثم قال له : زدنى رحمك الله . فقال : يا أمير المؤمنين ، إن العباس عم المصطفى ﷺ جاء إلى النبى ﷺ فقال : يارسول الله ، أمرنى على إمارة . فقال له النبى ﷺ [**إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة ؛ فإن استطعت أن لا تكون أميراً فافعل**] فبكى هارون بكاء شديداً ، وقال له زدنى رحمك الله فقال : ياحسن الوجه ، أنت الذى يسألك الله عز وجل عن هذا الخلق يوم القيامة ، فإن استطعت أن تقى هذا الوجه من النار فافعلْ ، وإياك أن تصبح وتُمسى وفى قلبك غش لأحد من رعيتك ؛ فإن النبى ﷺ قال : [**من أصبح لهم غاشاً لم يُرح رائحة الجنة**] فبكى هارون ، وقال : عليك دين ؟

قال : نعم دين لربى يحاسبنى عليه ، فالويل لى إن سألنى ، والويل لى إن ناقشنى ، والويل لى إن لم أُلْهم حجتى . قال : إنما أعنى دين العباد ، قال : إن ربى لم يأمرنى بهذا ، أمر ربى أن أوحدّه ، وأطيع أمره ، فقال عز وجل : ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ۝٥٨** ﴾ [1] ، فقال له هذه ألف دينار خذها ، فأنفقها على عيالك ، وتقوَّ بها على عبادتك . فقال : سبحان الله ! أنا أدلك على طريق النجاة ، وأنت تكافئنى بمثل هذا ؟ سلمك الله ووفقك ، ثم صمت الفضيل حتى خرجوا من عنده ، فقال هارون : أبا عباس ، إذا دللتنى على رجل فدلُنى على مثل هذا ، هذا سيد المسلمين ، فدخلت عليه امرأة من نسائه فقالت : يا هذا ، قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال ، فلو قبلت هذا المال ، فتفرجنا به ، فقال لها : مثَلى ومثلكم كمثَل قوم كان لهم بعير يأكلون من كسبه ، فلما كبر نحروه ، فأكلوا لحمه ، فلما سمع هارون هذا الكلام قال : ندخل فعسى أن يقبل المال ، فلما علم الفضيل خرج فجلس فى السطح على باب الغرفة ، فجاء هارون ، فجلس إلى جنبه ، فجعل يكلمه ، فلا يجيبه ، فبينما هو كذلك إذا خرجت جارية سوداء فقالت : يا هذا ، قد آذيت الشيخ منذ الليلة ، فانصرف رحمك الله ، فانصرفوا .



---

(١) سورة الذاريات الآيات « ٥٦ - ٥٨ » .

هيا بنا نتزود في سفرنا لربنا

حضر الشافعي ميتاً ، فلما غطوه نظر إليه ، وقال : اللهم ، بغناك عنه ، وفقره إليك ، اغفر له . وكان يقول: ما أوردت الحق والحجة على أحد فقبلهما مني إلا هبته ، واعتقدت مودته ، ولا كابر في الحق أحد ، ودافع الحجّة إلا سقط من عيني . وقال : ما ناظرت أحداً فأحببت أن يخطيء . وقال : ما ناظرت أحداً قط إلا أحببت أن يوّفق ، ويسدد ، ويعان ، ويكون عليه رعاية من الله ، وحفظ ، وما ناظرت أحداً إلا ولم أبال بين الله الحق على لساني ، أو لسانه .

وكان يقول :أشد الأعمال ثلاثة : الجود من قلة ، والورع في خلوة ، وكلمة الحق عند من يُرجى ويُخاف . وقال : لوددت أن الخلق يتعلمون مني، ولا ينسب إليّ منه شيء .

وكان يقول :طلب العلم أفضل من النافلة . وقال : طالب العلم يحتاج إلى ثلاث : إحداهما حُسن ذات اليد ، والثانية طول عمر ، والثالثة : يكون له ذكاء .

وقال :من طلب الرياسة فرت منه ، وإذا تصدر الحدث فاتهُ علم كثير .

وقال :يا يونس ، إذا بلغك عن صديق لك ما تكرهه ، فإياك أن تبادره بالعداوة ، وقطع الولاية ، فتكون ممن أزال يقينه بشك ، ولكن ألقه وقل له : بلغني عنك كذا وكذا ، واحذر أن تُسمى له المُبلغ ، فإن أنكر ذلك فقل له : أنت أصدق ، وأبر . لا تزيدن على ذلك شيئاً ، وإن اعترف بذلك ، فرأيت له

في ذلك وجهاً لعذره ، فاقبل منه ، وإن لم تر ذلك فقل له : ماذا أردت بما بلغني عنك ؟ فإن ذكر ماله وجه من العذر ، فاقبل منه ، وإن لم تر لذلك وجهاً لعذر ، وضاق عليك المسلك ، فحينئذ اثبتها عليه سيئة ، ثم أنت في ذلك بالخيار : إن شئت كافأته بمثله من غير زيادة ، وإن شئت عفوت عنه ، والعفو أقرب للتقوى ، وأبلغ في الكرم ؛ لقول الله تعالى : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠) ﴾[1] ، فإن نازعتك نفسك بالمكافأة ففكر فيما سبق له لديك من الإحسان ، فعدها ثم ابدر له إحساناً بهذه السيئة ، ولا تبخسن باقي إحسانه السالف بهذه السيئة ؛ فإن ذلك الظلم بعينه ، يا يونس إذا كان لك صديق فشد يدك به ؛ فإن اتخاذ الصديق صعب ، ومفارقته سهل .

وقال : يا يونس « وهو ابن عبد الأعلى » الانقباض عن الناس مكسبة للعدواة ، والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء ، فكن بين المنقبض والمنبسط وقال : استعينوا على الكلام بالصمت ، وعلى الاستنباط بالفكر . وقال : يا ربيع ، رضا الناس غاية لا تدرك ، فعليك بما يصلحك فالزمه ، فإنه لا سبيل إلى رضاهم ، واعلم أنه من تعلم القرآن جل في عيون الناس ، ومن تعلم الحديث قويت حجته ، ومن تعلم النحو هيب ، ومن تعلم العربية رق طبعه .

ومن تعلم الحساب جزل رأيه ، ومن تعلم الفقه نبل قدره ، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه ، وملاك ذلك كله التقوى .

وسأل رجل الشافعي عن سنه فقال له : ليس من المروءة أن يخبر الرجل بسنه ؛ لأنه إن كان صغيراً استحقروه ، وإن كان كبيراً استهرموه .

---

(١) سورة الشورى الآية « ٤٠ » .

وسأل رجل مالكاً عن سنه فقال : أقبل على شأنك ، وكان الشافعى رحمه الله قد جزأ الليل ثلاثة أجزاء : الثلث الأول يكتب ، والثلث الثانى يصلى ، والثالث ينام .

وأُدخل الشافعى يوماً إلى بعض حُجَر هارون الرشيد ليُستأذَن له ، ومعه سراج الخادم ، فأقعده عند أبى عبد الصمد مؤدب أولاد هارون الرشيد : فقال سراج للشافعى : يا أبا عبد الله ، هؤلاء أولاد أمير المؤمنين ، وهذا مؤدبهم ، فلو أوصيته بهم ، فأقبل عليه ، فقال : ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح أولاد أمير المؤمنين ، إصلاحك نفسك ؛ فإن أعينهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم ما تستحسنه ، والقبيح عندهم ما تكرهه ، علمهم كتاب الله ، ولا تُكرههم عليه ؛ فيملوه ، ولا تتركهم منه فيهجروه ، ثم روّهم من الشعر أعفه ، ومن الحديث أشرفه ، ولا تخرجهم من علم إلى غيره حتى يحكموه ؛ فإن ازدحام الكلام فى السمع مضلةٌ للفهم .

وقدم مرة من اليمن ، ومعه عشرون ألف دينار ، فضرب خيمته خارجاً من مكة ، فما قام حتى فرقها كلها .

وسأله رجل عن مسألة فقال :رُوى فيها كذا وكذا عن النبى ﷺ . فقال له السائل : يا أبا عبد الله ، تقول به ؟ فرأيت الشافعى رُعِدَ ، وانفض ، وقال : يا هذا ، أىّ أرض تُقلّنى ، وأىّ سماء تُظلّنى ، إذا رويت عن رسول الله ﷺ حديثاً ، فلم أقل به ؟ نعم على السمع والبصر .

وقال :إذا وجدتم فى كتابى خلاف سنة رسول الله ﷺ ؛ فقولوا بسنة رسول الله ، ودعوا ما قلت .

ودخل عليه البعض فى مرضه الذى مات فيه فقال له :كيف أصبحت ؟

فقال : أصبحت من الدنيا راحلاً ، ولإخواني مفارقاً ، ولكأس المنية شارباً ، ولسوء أعمالي ملاقياً ، وعلى الله تعالى وارداً ، فلا أدري رُوحي تصير إلى الجنة فأهنئها ، أو إلى النار فأعزيها ؟ ثم بكى ، وأنشأ يقول :

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي جعلتُ الرجا مني لعفوكَ سُلّماً
تعاظمني ذنبي فلما قرنتُه بعفوك ربي كان عفوك أعظما
ومازلت ذا عفو عن الذنب لم تزل تجود وتعفو منّةً وتكرُما

وكان أبو الحسن المزين يقول : الذنب بعد الذنب عقوبةُ الذنب ، والحسنة بعد الحسنة ثواب الحسنة .

وقال : من استغنى بالله أحوج الله الخلق إليه ، وقال : المعجب بعلمه مستدرج ، والمستحسن لشيء من أفعاله ممكورٌ به .

وأتى طاوس رجلاً في السحر ، فقالوا : هو نائم . فقال : ما كنت أرى أن أحداً ينام في السحر .

وعن سفيان قال : جاء ابنٌ لسليمان بن عبد الملك ، فجلس إلى جنب طاوس فلم يلتفت إليه . فقيل له : جلس إليك ابن أمير المؤمنين فلم تلتفت إليه ؟ قال : أردت أن يعلم أن لله عباداً يزهدون فيما في يديه .

وقال عمرو : ما رأيت أحداً أشد تنزهاً مما في أيدي الناس من طاوس . وقال طاوس : يا عطاء لا تُنزلن حاجتك بمن أغلق دونك أبوابه ، وجعل عليها حجابه ، ولكن أنزلها بمن بابهُ مفتوح لك إلى يوم القيامة ، أمرك أن تدعوه ، وضمن لك أن يستجيب لك .

ودخل طاوس على أخ له مريض يعوده فقال : يا أبا عبد الرحمن ، ادع

الله لى . فقال : ادع لنفسك ؛ فإنه يجيب المضطر إذا دعاه .

وكان وهب بن منبه يقول :الإيمان عُريان ، ولباسه التقوى ، وزينته الحياء ، وماله الفقه .

وقال فى موعظة له :« يا ابن آدم ، إنه لا أقوى من خالق ، ولا أضعف من مخلوق ، ولا أقدر ممن طلبته فى يده ، ولا أضعف ممن هو فى يده طالبه ، يا ابن آدم ، إنه قد ذهب منك ما لا يرجع إليك ، وأقام معك ما سيذهب : يا ابن آدم ، أقصر عن تناول ما لا تنال ، وعن طلب ما لا تدرك ، وعن ابتغاء ما لا يوجد ، واقطع الرجاء منك عما فقدت من الأشياء ، واعلم أنه رُبَّ مطلوبٍ هو شرٌ لطالبه ، يا ابن آدم ، إنما الصبر عند المصيبة ، وأعظم من المصيبة سوء الخلف منها ، يا ابن آدم ، فأىّ الدهر ترتجى ؟ أيوماً يجىء فى غرةّ يوم ، أو يوماً تستأخر فيه عن أوان مجيئه ؟ فانظر إلى الدهر ثلاثة أيامٍ : يوماً مضى لا ترتجيه ، ويوماً لابد منه ، ويوماً يجىء لا تأمنه ، فأمس شاهدٌ مقبول ، وأمين مؤدّ ، وحكيم وارد ، قد فجعك بنفسه ، وخلفّ فى يديك حكمته ، واليوم صديق مودّع كان طويل الغيبة ، وهو سريع الظّعن ، أتاك ولم تأته ، وقد مضى قبله شاهد عدل ، فإن كان ما فيه لك فاشفعه بمثله . يا ابن آدم ، قد مضت لنا أصول نحن فروعها ، فما بقاء الفرع بعد أصله . يا ابن آدم ، إنما أهل هذه الدار سفرٌ لا يحلون عقدة الرحال إلا فى غيرها ، وإنما يتبلغون بالعوارىّ ، فما أحسن الشكر للنعم ، والتسليم للمعُبر ، فاعلم يا ابن آدم أنه لا رزية أعظم من رزية فى عقل ممن ضيع اليقين . أيها الناس ، إنما البقاء بعد الفناء ، وقد خلقنا ولم نكن ، سنبلى ثم نعود ، ألا وإنما العوارى اليوم ، والهبات غداً ، ألا وإنه قد تقارب منا سلب فاحش ، أو إعطاء جزيل فاستصلحوا ما تُقدمون بما تظّعنون

عنه ، أيها الناس ، إنما أنتم فى هذه الدار غرضٌ فيكم المنايا تنتقل « ترمى » ، وإن الذى أنتم فيه من دنياكم نهب للمصائب ، لا تتناولون فيها نعمةً إلا بفراق أخرى ، ولا يستقبل معمر منكم يوماً من عمره إلا بهدم آخر من أجله ، ولا تجدد زيادة فى أجله إلا بنفاذ ما قبله من رزقه ، ولا يحيا له أثر إلا مات له أثر ، فنسأل الله أن يبارك لنا ولكم فيما مضى من هذه العظة .

وكان وهب بن منبه يقول : مر رجل عابد على رجل عابد فقال : ما لك ؟ قال : أعجب من فلان أن كان قد بلغ من عبادته فمالت به الدنيا . فقال : لا تعجب ممن تميل به ، ولكن اعجب ممن استقام . وأقبل وهب على عطاء الخراسانى فقال : ويحك يا عطاء ! ألم أخبر أنك تحمل علمك إلى أبواب الملوك ، وأبناء الدنيا ؟ ويحك يا عطاء ! تأتى من يُغلق عنك بابه ، ويُظهر لك فقره ، ويوارى عنك غناه ، وتدع من يفتح لك بابه ، ويظهر لك غناءه . ويقول : ادعونى استجب لكم ، ويحك يا عطاء ! ارض بالدّون من الدنيا مع الحكمة ، ولا ترض بالدون من الحكمة من الدنيا . ويحك ياعطاء ! إن كان يغنيك ما يكفيك ، فإن أدنى ما فى الدنيا يكفيك ، وإن كان لا يغنيك ما يكفيك ، فليس فى الدنيا شيء يكفيك . ويحك يا عطاء ! إنما بطنك بحر من البحور ، ووادٍ من الأودية ، فليس يملؤه إلا التراب .

وأتاه رجل فقال : إنى مررت بفلان وهو يشتمك ، فغضب ، وقال : ما وجد الشيطان رسولاً غيرك ؟ فما برحت من عنده حتى جاءه ، ذلك الرجل الشاتم فسلّم على وهب ، فردّ عليه ومّد يده ، وصافحه ، وأجلسه إلى جنبه ، وقال : إذا مدحك الرجل بما ليس فيك فلا تأمنه أن يذمك ، بما ليس فيك .

وقال : الإيمان قائد ، والعمل سائق ، والنفس بينهما حرون فإذا قاد القائد ، ولم يسق السائق لم يُغن ذلك شيئاً ، وإذا ساق السائق ، ولم يقد القائد لم يغن ذلك شيئاً ، وإذا قاد القائد وساق السائق اتبعته النفس : طوعاً ، وكرهاً ، وطاب العمل .



كلمات لها رصيد

قال طاوس : بينا أنا بمكة بعث إلىّ الحجاج ، فأجلسنى إلى جنبه ، واتكأنى على وسادة إذ سمع ملبياً يلبى حول البيت رافعاً صوته بالتلبية . فقال : علىّ بالرجل فأُتي به فقال : ممن الرجل ؟ فقال : من المسلمين . قال : ليس عن الإسلام سألتُ . قال : فعمّ سألت ؟ قال : سألتك عن البلد . قال : من أهل اليمن قال : كيف تركت محمد بن يوسف ؟ يريد أخاه . قال : تركته عظيماً جسيماً . قال : ليس عن هذا سألتك . قال : فعمّ سألت ؟ قال : سألتك عن سيرته . فقال : تركته ظلوماً غشوماً ، مطيعاً للمخلوق ، عاصياً للخالق . فقال له الحجاج : ما حملك أن تتكلم بهذا الكلام ، وأنت تعلم مكانه منى. قال الرجل : أتراه بمكانه منك أعزّ منى بمكانى من الله عز وجل ، وأنا وافد بيته ، ومصّدق نبيّه ، وقاضى دينه ؟ قال : فسكت الحجاج فما أحار جواباً . وقام الرجل من غير أن يؤذن له ، فانصرف . قال طاوس : وقمت فى أثره ، وقلت : الرجل حكيم . فأتى البيت فتعلق بأستاره ثم قال : اللهم بك أعوذ ، وبك ألوذ ، اللهم ، اجعل لى فى اللّهف إلى جودك ، والرضا بضمانك ، مندوحة عن منع الباخلين ، وغنى عما فى أيدى المستأثرين ، اللهم فرجك القريب ومعروفك القديم وعادتك الحسنة ، ثم ذهب فى الناس فرأيته عشية عرفة ، وهو يقول : اللهم إن كنت لم تقبل حجىّ ، وتعبى ، ونصبى ، فلا تحرمنى الأجر على مصيبتى بتركك القبول منى ، ثم ذهب فى الناس فرأيته غداة جمع يقول : واسوأتاه والله منك وإن عفوت . يردد ذلك .

وكان معروف الكرخى يقول: يا نفس ، كم تبكين ؟ أخلصى ،

وتخلّصى . وسُئل عن الطائعين لله بأى شيء قدروا على الطاعة لله عز وجل ؟ قال : بخروج الدنيا من قلوبهم ، ولو كانت فى قلوبهم ما صّحت لهم سجدة .

وقال رجل لمعروف : أوصنى . قال : توكل على الله حتى يكون جليسك، وأنيسك ، وموضع شكواك ، وأكثر ذكر الموت حتى لا يكون لك جليس غيره ، واعلم أن الشفاء لما نزل بك كتمانه ، وأن الناس لا ينفعونك ، ولا يضرونك ، ولا يعطونك ، ولا يمنعونك . وقعد معروف على دجلة ببغداد إذ مرّ به أحداث فى زورق يضربون الملاهى ، ويشربون . فقال له أصحابه : أما ترى أن هؤلاء فى هذا الماء يعصون الله ؟ ادع عليهم ، فرفع يده إلى السماء وقال : إلهى ، وسيّدى ، أسألك بأن تُفرحهم فى الجنة كما فرحتهم فى الدنيا . فقال له أصحابه : إنما قلنا لك : ادع الله عليهم ، ولم نقل لك : ادع الله لهم . فقال : إذا فرحهم فى الآخرة تاب عليهم فى الدنيا ، ولم يضرّكم بشىء .

وكان بشر يقول : ما اتقى الله من أحب الشهرة . ووقف على أصحاب الفاكهة ، فجعل ينظر ، فقيل له : يا أبا نصر ، لعلك تشتهى من هذا شيئاً ؟ قال : لا ، ولكن نظرت فى هذا : إذا كان يُطعم هذا من يعصيه ، فكيف من يطيعه ؟ وكان يقول وقد أراد الدخول إلى المقبرة : الموتى داخل السور أكثر منهم خارج السور . وقال : إن هذا الدار نملة تجمع الحبّ فى الصيف ، لتأكله فى الشتاء ، فبينما هى فى يوم من الأيام أخذت بفمها حبة إذ جاءها عصفور فأخذها والحبة ؛ فلا ما جمعت أكلت ، ولا ما أملّت نالت .

وكان الإمام أحمد بن حنبل : إمام أهل السُّنة وكأن الله قد جمع له علم الأولين والآخرين من كل صنف يقول ما شاء ، ويمسك ما شاء . كما قال إبراهيم الحربى .

ويحفظ ألف ألف حديث كما قال أبو زرعة . وقال عبد الرزاق : ما رأيت أفقه ولا أورع من أحمد بن حنبل .

وقال أبو داود : لم يكن أحمد بن حنبل يخوض فى شىء مما يخوض فيه الناس من أمر الدنيا ، فإذا ذكر العلم تكلم .

وقال عبد الملك الميمونى : ما أعلم إنى رأيت أحداً أنظف ثوباً ، ولا أشد تعاهداً لنفسه فى شاربه ، وشعر رأسه ، وشعر بدَنه ، ولا أنقى ثوباً ، وأشدّه بياضاً من أحمد بن حنبل .

وعن أبى بكر المروزى قال : سمعت أبا عبد الله يقول : إنما هو طعام دون طعام ، ولباس دون لباس ، وإنها أيام قلائل . وقال : سمعت أبا عبد الله يقول : أسُّر أيامى إلىَّ يوم أصبح وليس عندى شىء . وكان رحمه الله إذا مشى فى الطريق يكره أن يتبعه أحد .

وقال عبد الله بن أحمد : كان أبى أصبر الناس على الوحدة ، لم يَره أحد إلا فى مسجد ، أو حضور جنازة ، أو عيادة مريض ، وكان يكره المشى فى الأسواق ودعا يوماً فقال : « اللهم ، من كان على هوى أو على رأى وهو يظن أنه على الحق ، وليس هو الحق ، فَرده إلى الحق حتى لا يُضّل من هذه الأمة أحد ، اللهم ، لا تشغل قلوبنا بما تكفلت لنا به . ولا تجعلنا فى رزقك خَوَلاً «تبعاً » لغيرك ، ولا تمنعنا خير ما عندك بشّر ما عندنا ، ولا تَرنا حيث نهيتنا ، ولا تفقدنا من حيث أمرتنا ، أعزَّنا ولا تزلّنا ، أعزَّنا بالطاعة، ولا تزلنا بالمعصية » .

وكان الإمام أحمد يقول لابنه : يابنى لقد أعطيت المجهود من نفسى .

وجاءه رجل فى محنته فقال : يا إمام ، أأنت وحدك على حق ، وهؤلاء

على باطل ؟ فقال له : ويحك ! أتعرف الحق بالرجال ؟ ، اعرف الحق تعرف أهله ، واعرف الباطل تعرف من أتاه .

وأتاه تلميذه أبو سعيد يوماً وكان الإمام يُجلد فقال له : يا إمام ، قلها فإن لك عيالاً ، فقال له : انظر من الشرفة . فنظر ، فإذا خلق كثير ، كلهم يريد أن يكتب ما سيقوله الإمام ، فرجع له تلميذه يصف له المشهد ، فقال له ، والله ما يكون لى أن أنجو بنفسى وأضل هؤلاء . وقد أحل من حضر ضربه وكل من شايع فيه والمعتصم .

وقال : لولا أن ابن أبى داود داعية لأحللتُه ، وحرزَ البغض من حضر جنازته من الرجال ثمان مائة ألفٍ ، ومن النساء ستين ألف امرأة .

وكان السرىّ يقول : قليل فى سنّة خير من كثير فى بدعة ، كيف يقل عمل مع تقوى ؟ أقوى القوة غلبتك نفسك ، ومن عجز عن أدب نفسه كان عن أدب غيره أعجز ، ومن أطاع من فوقه أطاعه من دونه ، ومن خاف الله خافه كل شيء . وقال : إن اغتممت بما ينقُص من مالك فابكِ على ما ينقص من عُمرك ، ومن قلة الصدق كثرة الخُلطاء ، ومن علامة الاستدراج العمى عن عيوب النفس . وقال : أجلد الناس من ملك غضبه ، ومن تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله ، ولن يكمل رجل حتى يؤثر دينه على شهوته ، ولن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه .



هيا بنا فقد صدأت منا القلوب

كان أبو عبد البراثى يقول : كرمك أطمعنا سيّدى فى عفوك ، وجودك أطمعنا فى فضلك ، وذنوبنا قد تُؤيسنا من ذلك ، وتأبى قلوبنا لمعرفتها بك أن تقطع رجاءها منك ، فتفضل أيها الكريم ، وجُد بعفوك يا رحيم .

وقال : حملتنا المطامع على أسوأ الصنائع : نذلّ لمن لا يقدر لنا على ضرر، ولا على نفع ، ونخضع لمن لا يملك لنا رزقاً ، ولا حياة ، ولا موتاً ، ولانشوراً، فكيف أزعم أنى أعرف ربى حق معرفته وأنا أصنع ذلك ؟ هيهات ، هيهات .

وكان أبو جعفر المحولى يقول : حرامٌ على قلب محب الدنيا أن يسكنه الورع الخفىّ ، وحرام على نفس عليها رياسة الناس أن تذوق حلاوة الآخرة ، وحرامٌ على كل عالم لم يعمل بعلمه أن يتخذه المتقون إماماً .

وكان يقول : إليك أشكو بدناً غُذى بنعمتك ، ثم توّثب على معاصيك .
وكان إبراهيم الحربى يقول : الغريب فى زماننا رجل صالح عاش بين قوم صالحين ، إن أمر بالمعروف آزروه ، وإن نهى عن المنكر أعانوه ، وإن احتاج إلى شىء من الدنيا أعانوه ، ثم ماتوا وتركوه .

وقال محمد بن صالح : لا نعلم أن بغداد أخرجت مثل إبراهيم الحربى فى : الأدب ، والحديث ، والفقه ، والزهد . وعن ثعلب قال : ما فقدت إبراهيم الحربى من مجلس نحو ، أو لغة نحو خمسين سنة . وقال إبراهيم لرجل يوماً : هؤلاء أولادك ؟ قال : نعم. قال : احذر لا يرونك حيث نهاك الله ؛ فتسقط من أعينهم . وكان الجنيد يقول : معاشر الفقراء ، إنما عُرفتم بالله ، وتُكرمون

له ، فإذا خلوتم به فانظروا كيف تكونون معه ؟ وقال : علامة إعراض الله عن العبد أن يشغله بما لا يعنيه .

ومن أقواله رحمه الله : الطريق إلى الله مسدود على خلق الله عز وجل إلا على المقتفين آثار رسول الله ﷺ ، والتابعين لسنته ،كما قال الله عز وجل : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [١] ، وقال : لقد مشى رجل باليقين على الماء ، ومات بالعطش أفضل منهم يقيناً ، وقال : احذر أن تكون ثناءً منشوراً ، وعيباً مستوراً .

وقال : المروءة احتمالُ زلل الإخوان .

وقال : ليس يتسع عليّ ما يرد عليّ من العالم ؛ لأنى قد أصّلت أصلاً ، وهو أن الدار غمّ ، وهمّ ، وبلاء ، وفتنة ، وأن العالم كله شر ، ومن حُكمه أن يتلقّانى بكل ما أكره ، فإن تلقانى بما أحب فهو أفضل ، وإلا فالأصل الأول .

وقال : كان يعارضنى فى بعض أوقاتى أن أجعل نفسى كيوسف ، وأكون أنا كيعقوب ؛ فأحزن على ما فقدت من نفسى كما حزن يعقوب على فقد يوسف ، فمكثت مدةً أعمل على حسب ذلك .

وقال أبو محمد الحريرى : كنت واقفاً على رأس الجنيد فى وقت وفاته ، وكان يوم جمعة ، وهو يقرأ القرآن فقلت : يا أبا القاسم ، ارفق بنفسك . فقال : يا أبا محمد ، ما رأيت أحداً أحوج إليه منى فى هذا الوقت ، وهو ذا تّطوى صحيفتى . وكان كثير الصلاة ، ثم رأوه فى وقت موته وهو يدرس ، وتقدم إليه الوسادة ، فيسجد عليها ، فقيل له : ألا روّحت عن نفسك ؟ فقال :

---

(١) سورة الأحزاب الآية « ٢١ » .

طريق وصلت به إلى الله لأ أقطعه .

وأوصى إبراهيم بن سعد فقال : يا أخى ، إذا نزل بك أمر من أمر الله فاستعمل الرضا ؛ فإن الله مطلّع عليك يعلم ما فى ضميرك ، فإن رضيت فلك الثواب الجزيل ، وأنت فى رضاك وسخطك لست تقدر أن تزداد فى الرزق المقسوم ، والأمر المكتوب ، فإن لم تجد إلى الرضا سبيلاً فاستعمل الصبر ، فإنه رأس الإيمان ، فإن لم تجد فعليك بالتجمل ولا تشكُ من ليس بأهل أن يُشكى، وهو من أهل الشكر والثناء لقديم ما أولى ، فإذا اضطررت ، وقلّ صبرك ؛ فالجأ إليه بهمك ، واشكُ إليه بثّك ، واحذر أن تستبطئه ، وتسىء به ظناً ، فإن كل شىء بسبب ، ولكل سبب أجل ، ولكل أجل كتاب ، ولكل همّ من الله فرج ، ومن علم أنه بعين الله استحيا أن يراه يرجو سواه ، ومن أيقن بنظر الله إليه أسقط اختيار نفسه ، ومن علم أن الله الضارُ النافع أسقط مخاوف المخلوقين ؛ فراقب الله فى قُربه ، واطلب الأمور من معادنها ، واحذر أن تعتمد على مخلوق ، أو تفشى إليه سرّاً أو تشكو إليه شيئاً ، فإن غنيهم فقير ، وفقيرهم ذليل فى فقره ، وعالمهم جاهل فى علمه ، وجاهلهم فاجرٌ فى فعله ، إلا القليل ممن عصم الله ، فاتقوا الفاجر من العلماء ، والجاهل من العباد ؛ فإنهما فتنة لكل مفتون .

حدث أبو جعفر الفرغانى قال : مكث أبو الحسين النورى عشرين سنة يأخذ من بيته رغيفين ، ويخرج ليمضى إلى السوق ؛ فيصدق بالرغيفين ، ويدخل المسجد ، فلا يزال يركع حتى يجىء وقت سوقه ، فإذا جاء الوقت مضى إلى السوق ، فُيظن أنه قد تغدى فى بيته ، ومن فى بيته عندهم أنه قد أخذ معه غداءه وهو صائم .

وقال عمر بن عثمان المكى : المروءة التغافل عن زلل الأخوان .

وقال : العلم قائد ، والخوف سائق ، والنفس حرون بين ذلك : خداعة ، روّاعة ؛ فاحذرها ، وراعها بسياسة العلم ، وسقّها بتهديد الخوف يتم لك ما تريد .

وكان يقول : واغمّاه من عهد لم يُقَم له بوفاء ، ومن خلوة لم تُصحب بحياء ، ومن أيام تفنى ويبقى ما كان فيها أبداً .

وقال : لقد وبّخ الله التاركين للصبر على دينهم بما أخبرنا عن الكفار أنهم قالوا : ﴿ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ ﴾ [1] ، فهذا توبيخٌ من ترك الصبر من المؤمنين على دينه .

وكان رويم بن أحمد يقول : الإخلاص ارتفاع رؤيتك عن فعلك ، والفتوة أن تعذر إخوانك فى زللهم ، ولا تعاملهم بما يحوجك إلى الاعتذار إليهم .

وقال : إذا وهب الله لك مقالاً وفعالاً ، فأخذ منك المقال ، وترك عليك الفعال ، فلا تبال فإنها نعمة ، وإن أخذ منك الفعال ، وترك عليك المقال ، فنح على نفسك ، فإنها مصيبة ، وإن أخذ منك المقال والفعال ؛ فاعلم أنها نقمة .

وكان أبو العباس بن عطاء يقول : من ألزم نفسه بآداب السنة عَمر الله قلبه بنور المعرفة ، ولا مقام أشرف من متابعة الحبيب فى أوامره ، وأفعاله ، وأخلاقه ، والتأدب بآدابه .

وقال : علامات الولى أربعة : صيانة سره فيما بينه وبين الله ، وحفظ جوارحه فيما بينه وبين أمر الله ، واحتمال الأذى فيما بينه وبين خلق الله ،

---

(١) سورة ص الآية « ٦ » .

ومداراته للخلق على تفاوت عقولهم .

وقال بنان الحمّال : البرئ جرئ ، والخائن خائف ، ومن أساء استوحش .

وسئل البعض : أى شىء أعجب ؟ قال : قلب عرف ربه ، ثم عصاه .

وقال : مكر بك فى إحسانه فتناسيت ، وأمهلك فى عينك فتماديت ، وأسقطك من عينه فما دريت ، ولا باليت . وقال : ليت شعرى ما اسمى عندك غداً يا علام الغيوب ؟ وما أنت صانعٌ فى ذنوبى ياغفار الذنوب ؟ وبم تختم عملى يامقلب القلوب ؟ . وقال : إن أردت أن تنظر إلى الدنيا بحذافيرها ؛ فانظر إلى مزبلة ؛ فهى الدنيا ، وإذا أردت أن تنظر إلى نفسك فخذ كفاً من تراب ، فإنك من خلقت ، وفيه تعود ، ومنه تخرج ، وإذا أردت أن تنظر ما أنت ؟ فانظر ماذا يخرج منك فى دخولك الخلاء ، فمن كان حاله كذلك ؛ فلا يجوز أن يتطاول ، أو يتكبر على من هو مثله .

وسأل ابن سمعون رجلاً : ما اسمك ؟ فقال : حسن . قال : قد أعطاك الله الاسم فسله أن يعطيك المعنى . وقال : رأيت المعاصى نذالة ، فتركتها مروءةً ؛ فاستحالت ديانة . وقال : كل من لم ينظر بالعلم فيما لله عليه ؛ فالعلم حجة عليك ، ووبال .

وقال : الصادقون الحّذاق هم الذين نظروا إلى ما بذلوا فى جنب ما وجدوا ؛ فصغر ذلك عندهم ، فاعتذروا . قال : قلّلوا اهتمامكم لكم ، ووفروا اهتمامكم بكم ، وتوسدوا أساداً من الشكر ، والبسوا لباساً من الذكر ، والتحفوا لحافاً من الخوف ، تفوزوا بمدحة الرب ، الله أن تستهينوا بشىء يوجب الذم دون أن تستهينوا بما يوجب العقوبة .

وقال : تظّلمُ إلى ربك منك ، واستنصره عليك ينصرك . وقال : احزنوا على ما فاتكم ، وأسفوا على تقصيركم ، وأحرزوا بضائعكم من التلف ؛ لا تخرج القّطاعُ عليها .

وقال : كل داء عُرف دواؤه فهو صغير ، والذى لم يُعرف له دواءٌ كبير .

وقال : احذروا الصغائر ؛ فإن النُقَط الصغار آثار فى الثوب النقى .

وقال : من الوقاحة تمنيّك مع توانيك ، استوف من نفسك الحقوق ، ثم وفها الحظوظ حسب ما يكفيها ، ولا ما يُطغيها ، قفها بين الجنة والنار تأبك الجنة بكل معنى ، وتقبلك النار بجملتك .



هيا بنا فقد اقتربت الساعة وأزفت الآزفة

كان شعيب بن حرب يقول :إن دخلت القبر ومعك الإسلام فأبشر . وقال: من أراد الدنيا فليتهيأ للذل ، ولا تجلس إلا مع أحد رجلين : رجل جلست إليه يعلمك خيراً فتقبل منه ، أو رجل تعلمه خيراً فيقبل منك ، والثالث : اهرب منه . وقال : من طلب الرياسة ناطحته الكباش ، ومن رضى أن يكون ذنباً أبى الله إلا أن يجعله رأساً .

وقال : لا تحقرن فلْساً تطيع الله فى كسبه ، ليس الفلس يُراد ، إنما الطاعة تُراد ، عسى أن تشترى به بقلاً فلا يستقر فى جوفك حتى يُغفر لك .

ونزل عليه أخ له يقال له : عبدة ، فلما نادوا بالنفير خرج عبدة ، فتبعه شعيب ، فلما أراد مفارقته ، قال له شعيب : اجعلنى فى حّلٍ . قال : من أى شىء ؟ قال : من أجل الأخوة ، فإنى لم أقم بأخوتك .

وتوضأ منصور بن زاذان يوماً ، فلما فرغ دمعت عيناه ، فقيل له : رحمك الله ما شأنك ؟ فقال : وأىّ شىء أعظم من شأنى ؟ إنى أريد أن أقوم بين يدىْ مَن لا تأخذه سنة ولا نوم ، فلعله أن يُعرض عنى .

وكان لو قيل له : إنك ميت اليوم أو غداً ماكان عنده مزيد لشدة اجتهاده فى طاعة ربه .

وذكر أبو إسحاق الحربى قال : كان هشيم رجلاً ،كان أبوه صاحب صحناة « السمك المملح » وكواميخ « مخللات » يقال له بشير وطلب ابنه

هشيم الحديث فاشتهاه ، وكان أبوه يمنعه ، فيكتب الحديث حتى جالس أبا شيبة القاضى ، وكان يناظر أبا شيبة فى الفقه ، فمرض هشيم ، فقال أبو شيبة : ما فعل ذلك الفتى الذى كان يجيء إلينا ؟ قالوا : عليك . فقال : قوموا بنا حتى نعوده . فقام أهل المجلس جميعاً يعودونه حتى صاروا إلى منزل بشير ، فدخلوا إلى هشيم ، فجاء رجل إلى بشير ويده فى الصحناة فقال: الحقْ ابنك قد جاء القاضى يعوده ، فجاء بشير والقاضى فى داره فلما خرج قال لابنه : يابنى ، قد كنت أمنعك من طلب الحديث فأما اليوم فلا صار القاضى من يجيء إلى بابى ، متى أملتُ هذا .

وقيل لهشيم ، كم كنت تحفظ يا أبا معاوية ؟ قال : كنت أحفظ فى مجلس مائة ، ولو سئلت عنها بعد شهر لأجبت ، وكان كثير التسبيح بين الحديث .

وكان سويد بن غفلة يقول : لو استطعت أن أكون مؤذن الحىّ لفعلت ، وقال : إن الملائكة تمشى أمام الجنازة ، وتقول : ما قدم ؟ ويقول الناس : ما ترك ؟ .

وجزع الأسود بن يزيد عند موته ، وجعل يبكى ، فقيل له : ما هذا الجزع؟ فقال : لا أجزع ؟ ومن أحق بذلك منى ؟ والله لو أتيت بالمغفرة من الله عز وجل لأهمنّى الحياء منه بما قد صنعت ، إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيعفو عنه ؛ ولا يزال مستحياً منه .

وعن مسروق قال : بحسب المؤمن من الجهل أن يُعجب بعمله ، وبحسْب المؤمن من العلم أن يخشى الله . وقال : إذا بلغ أحدكم أربعين سنة فليأخذ حذْره من الله عز وجل .

وقيل له يوماً : لو أنك قصرت عن بعض ما تصنع – أى من العبادة – فقال: والله ، لو أتانى آتٍ فأخبرنى أن الله لا يعذبنى لاجتهدتُ فى العبادة . وقيل : وكيف ذلك ؟ قال : حتى تعذرنى نفسى إن دخلت جهنم لا ألومها ، أما بلغك فى قوله عز وجل ﴿ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ ﴾ [1] ، إنما لاموا أنفسهم حين صاروا إلى جهنم ، واعتقبتهم الزبانية « أى حبستهم » وحيل بينهم وبين ما يشتهون ، وانقطعت عنهم الأمانى ، ورُفعت عنهم الرحمة ، وأقبل كل امرئ منهم يلوم نفسه .

وقال : إن المرء لحقيق أن يكون له مجالس يخلو فيها ، ويتذكر ذنوبه ، ويستغفر منها .

وقالت امرأته : ما كان يوجد إلا وساقاه قد انتفختا من طول الصلاة ، فلما احتضر بكى ، فقيل له : ما هذا الجزع ؟ قال : مالى لا أجزع ، وإنما هى ساعة ، ولا أدرى أين يُسلك بى ؟ بين يدىّ طريقان : لا أدرى إلى الجنة ؟ أم إلى النار ؟ وكان إذا ما قيل الرفق « أى بنفسك » يقول : إنما أطلب الرفق لنفس فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة .

وقيل لعلقمة : أفلا تدخل على السلطان فتنتفع ؟ قال : إنى لا أصيب من دنياهم شيئاً إلا أصابوا من دينى مثله . وقال : لا تنعونى كنعى أهل الجاهلية ، ولا تؤذوا بى أحداً ، وأغلقوا الباب ، ولا تتبعنى امرأة ، ولا تتبعونى بنار ، وإن استطعتم أن يكون آخر كلامى لا إله إلا الله .

وعن ابن سيرين قال : سمعت شريحاً يحلف بالله : ما ترك عبد شيئاً لله

---

(١) سورة القيامة الآية « ٢ » .

فوجد فقده . وقال شريح : سيعلم الظالمون حظ من نقصوا ، إن الظالم ينتظر العقاب ، والمظلوم ينتظر النصر .

وعن عامر: إن ابناً لشريح قال لأبيه : بينى وبين قوم خصومة ؛ فانظر فإن كان الحق لى خاصمتُهم ، وإن لم يكن لى الحق لم أخاصمهم . فقص قصته عليه فقال له : انطلق فخاصمهم فانطلق إليهم فخاصمهم إليه ؛ فقضى على ابنه ، فقال له : لما رجع إليه أهله : والله ، لو لم أتقدم إليك لم أُلمكَ ، فضحتنى . فقال : والله يابنى ، لأنت أحبّ إلى من ملء الأرض مثلهم ، ولكن الله هو أعز علىّ منك ، أن أخبرك أن القضاء عليك ، فتصالحهم فتذهب ببعض حقهم .

وعن الشعبى قال : شهدت شُريح وجاءته امرأة تخاصم رجلاً فأرسلت عينيها وبكت ، فقلت : يا أبا أمية ما أظنها إلا مظلومة . فقال : ياشعبى ، إن إخوة يوسف جاؤوا أباهم عشاءً يبكون . ورأى جيرناً له يجولون ويلعبون ، فقال : ما لكم ؟ قالوا : فزعنا اليوم . فقال : ما بهذا أمر الفارغ ، يقصد قوله تعالى :﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ۝٨ ﴾ [(١)] .

ولحق رجل بأويس القرنى ، فسمعه يقول : اللهم ، إنى أعتذر إليك اليوم من كل كبدٍ جائعة ، فإنه ليس فى بيتى من الطعام إلا ما فى بطنى ، وليس فى بيتى شيء من الرّياش إلا ما على ظهرى . قال : وعلى ظهره خرْقة قد تردّى بها ، قال : فأتاه رجل فقال له كيف أصبحت ؟ كيف أمسيت ؟ فقال : أصبحت أحمد الله ، وأمسيت أحمد لله ، وما تسأل عن حال رجل إذا هو

---

(١) سورة الشرح الآيات « ٧ ، ٨ » .

أصبح ظن ألا يُمسى ، وإذا أمسى ظن أنه لا يُصبح ؟ إن الموت وذكره لم يدع لمؤمن فرحاً ، وإن حق الله فى مال المسلم ، لم يدع له من ماله فضةً ولا ذهباً ، وإن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لم يدع للمؤمن صديقاً ، نأمرهم بالمعروف فيشتمون أعراضنا ، ويجدون على ذلك أعواناً من الفاسقين ، حتى والله لقد رمونى بالعظائم ، وايم الله ، لا أدع أن أقوم لله فيهم بحقه . ثم أخذ الطريق .

وكان أويس ، إذا أمسى تصدّق بما فى بيته من الفضل من الطعام والثياب، ثم يقول : اللهم ، من مات جوعاً فلا تؤاخذنى به ، ومن مات عُرياناً فلا تؤاخذنى به . وقال هرم بن حيان لأويس القرنى : أوصنى . قال : توسّد الموت إذا نمت ، واجعله نصب عينيك ، وإذا قمت فادع الله أن يُصلح لك قلبك ونيّتك ، فلن تعالج شيئاً أشدّ عليك منهما ، وقال : ولا تنظر فى صِغَر الخطيئة ، ولكن انظر إلى عظمة من عصيت .



هيا بنا فنفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل

كان الربيع بن خثيم يقول: كل مالا يُبتغى به وجه الله عز وجل يضمحلّ ، وكان عمله كله سراً إن كان ليجيء الرجل وقد نشر المصحف ، فيغطيه بثوبه ، وأصابه حجر في رأسه فشجّه ، فجعل يمسح الدم عن وجهه ، ويقول : اللهم ، اغفر له ؛ فإنه لم يتعمّدني . وسُرق له فرس أُعطى به عشرين ألفاً ، فقالوا : ادْع الله عليه ، فقال : اللهم ، إن كان غنياً فاغفر له ، وإن كان فقيراً فأغنه .

وكان الربيع رحمه الله إذا كان الليل ، ووجد غفلةَ الناس خرج إلى المقابر فيقول : يا أهل المقابر ، كنا وكنتم ، فإذا أصبح فكأنه نُشر من قبر ، وكان إذا سجد كأنه ثوب مطروح ، فتجيء العصافير فتقع عليه ، وقال له رجل قُتل ابن فاطمة ، فاسترجع ثم تلا هذه الآية : ﴿ **قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ** (٤٦) ﴾ (١) ، قال : ما تقول ؟ . قال : ما أقول ؟! إلى الله إيابهم ، وعليه حسابهم .

وكان يهادى بين رجلين « أي يتمايل معتمداً عليهما الضعفة » إلى مسجد قومه .

وكان أصحاب عبد الله يقولون له : يا أبا يزيد ، لقد رخّص الله لك لو صليت في بيتك . فيقول : إنه كما تقولون ، ولكني سمعته ينادى : حيّ على الفلاح » فمن سمع منكم ؛ فليجيبه ولو زحفاً ، ولو حبواً . وكان يقول

---

(١) سورة الزمر الآية « ٤٦ » .

لأصحابه : تدرون ما الداء والدواء والشفاء ؟ . قالوا : لا . قال : الداء الذنوب ، والدواء الاستغفار ، والشفاءُ أن تتوب فلا تعود .

وكانت ابنة الربيع بن خثيم تأتيه فتقول : يا أبتاه ائذن لى ألعبُ . فيقول : يا بنيةُ ، قولى خيراً . فتلقتها أمها : قولى : أتحدّث . فيقول : إنى لم أسمع الله رضى لأحد اللعب . وكان السائل إذا أتاه قال : أطعموه مُسكّراً ؛ فإنى أحبّ السُكّر . وقال : لو فارق قلبى ذكر الموت ساعةً فَسَدَ علىَّ .

وكان إذا قيل له : كيف أصبحت يا أبا زيد ؟ قال : أصبحنا مذنبين، نأكل أرزاقنا ، وننتظر آجالنا .

وقال لرجل : لا تلفظ إلا بخير ؛ فإن العبد مسئول عن لفظه ، وتُحصَى ذلك عليه كله أحصاه الله ونسوه . وكان يقول فى دعائه : أشكو إليك حاجة لا يحسن بُثها إلا إليك ، وبينما هو جالس على باب داره إذ جاءه حجر فصك وجهه ، فقال : لقد وعظت يا ربيع . فقال ودخل الدار ، وأغلق الباب ، وما رُئى فى ذلك المجلس حتى مات . وقال : إذا تكلمت فاذكر سمع الله إليك ، وإذا هممت فاذكر علمه بك ، وإذا نظرت فاذكر نظره إليك ، وإذا تفكرت فاذكر اطلاعه عليك ، فإنه يقول : ﴿ **إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً** (٣٦) ﴾ [١] ، وكان يبكى حتى تبتل لحيته من دموعه ، ثم يقول : أدركنا أقواماً كنا فى جنوبهم لصوصاً .

وعوتب عمرو بن عتبة يوماً فقال : يا أبتاه إنما أنا رجل أعمل فى فكاك رقبتى . فبكى عتبة ثم قال : يا بنى ، إنى أحبك حُبين : حباً لله ، وحُب الوالد

(١) سورة الإسراء الآية « ٣٦ » .

ولدَه . فقال عمرو : يا أبت ، إنك قد كنت أتيتنى بمالٍ سبعين ألفاً ، فإن كنت سائلى عنه فهو هذا فخذه ، أو فدعنى فأمضيه . قال : يابنى ، فأمضه ، فأمضاه حتى ما بقى منه درهم .

وقال عمرو بن عتبة بن فرقد : سألت الله ثلاثاً ؛ فأعطانى اثنتين ، وأنا أنتظر الثالثة ، سألته أن يزهدنى فى الدنيا فما أبالى ما أقبل وما أدبر ، وسألته أن يقوّينى على الصلاة فرزقنى منها ، وسألته الشهادة فأنا أرجوها . واشترى فرساً بأربعة آلاف درهم فعنّفوه ؛ يستغلونه ، فقال : ما خطوة يخطوها ، يقدمها إلى الغزو إلا وهى أحب إلىّ من أربعة آلاف .

وقال مولى لعمرو بن عتبة : رآنى عمرو بن عتبة وأنا مع رجل وهو يقع فى آخر ، فقال لى : ويلك ! ولم يقلها لى قبلَها ولا بعدها : نزّه سمعك عن استماع الخنا ، كما تنزّه لسانك عن القول به ، فإن المستمع شريك القائل ، وإنما نظر إلى شر ما فى وعائه فأفرغها فى وعائك ، ولو رُدت كلمة سفيه فى فيه لسعد بها رادهُا كما شقى بها قائلها .

وحدث مولى عمرو بن عتبة قال : استيقظنا يوماً حاراً فى ساعة حارةٍ ، فطلبنا عمرو بن عتبة ، فوجدناه فى جبل وهو ساجد ، وغمامة تُظّله ، وكنا نخرج إلى العدو فلا نتحارس لكثرة صلاته ، ورأيته ليلةً يصلى ، فسمعنا زئير الأسد ، فهربنا وهو قائم يصلى لم ينصرف ، فقلنا له : أما خِفْتَ الأسد ؟ . فقال : إنى لأستحْيى من الله أن أخاف شيئاً سواه .

وكان يخرج علىٍ فرسه ليلاً فيقف على القبور فيقول : يا أهل القبور ، طُويت الصحف ، ورفِعت الأعمال ، ثم يبكى ، ثم يصف بين قدميه حتى يصبح فيرجع ، فيشهد صلاة الصبح .

وكان كردوس يقول : إن الجنة لا تُنال إلا بعمل ، اخلطوا الرغبة بالرهبة ، دوموا على صالح الأعمال ، القلوا الله بقلوب سليمة ، وأعمال صادقة .

وكان يكثر من أن يقول : من خاف أدلج « أى سار بالليل » .

وكان الحارث بن قيس يقول : إذا كنت فى أمر الآخرة فتمكّث ، وإذا كنت فى أمر الدنيا فتوخّ « أى ابغ لنفسك الخير والنفع » ، وإذا هممت بخير فلا تؤخره ، وإذا أتاك الشيطان وأنت تصلى فقال : إنك تُرائى فزِدْها طُولاً .

ووعظ الشعبى أبا يزيد يوماً ، فقال : يا أبا يزيد ، قم معى حتى أفيدك فمشيت معه ، وقلت : أى شيء يفيدنى ؟ قال : إذا سئلت عما لا تعلم فقل : الله أعلم به ، فإنه علم حسن .

وكان رحمه الله يقول : العلم أكثر من عدد القَطْر « المطر » فخذ من كل شيء أحسنه .

وكان سعيد بن جبير إذا قام إلى الصلاة كأنه وتد ، وقرأ ﴿ **وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ** ﴾ (١) ، فرددها فى الصلاة بضعاً وعشرين مرة ، وكان يختم القرآن فى كل ليلتين .

وكان يخرج فى كل سنة مرتين : مرة للحج ومرة للعمرة .

وكان لسعيد بن جبير ديكٌ كان يقوم الليل بصياحه ، فلم يصحْ ليلة من الليالى حتى أصبح فلم يصلِ سعيد تلك الليلة ، فشق عليه فقال : ماله قطع الله صوته ؟ قال : فما سُمع له صوتٌ بعدها . فقالت أمه : يابنى لا تدع

---

(١) سورة البقرة الآية « ٢٨١ » .

على شيء بعدها .

وكان يقول : إن الخشية أن تخشى الله حتى تَحول خشيتهُ بينك وبين معصيتك ، فتلك الخشية ، والذكر طاعة الله ؛ فمن أطاع الله فقد ذكره . ومن لم يُطعه فليس بذاكر ، وإن أكثر التسبيح وتلاوة القرآن .

وعن حماد : أن سعيد بن جبير قرأ القرآن فى ركعة فى الكعبة ، وقرأ فى الركعة الثانية بقُل هو الله أحد .

وقيل لسعيد : من أعبدُ الناس ؟ قال : رجل اجترح من الذنوب ، فكلما ذكر ذنوبه احتقر عمله .



قصة سعيد بن جبير مع الحجاج بن يوسف الثقفى ومقتل سعيد

عن أبى حصين قال : أتيت سعيد بن جبير بمكة فقلت : إن هذا الرجل قادم يعنى خالد بن عبد الله ، ولا آمنه عليك ، فأطعنى واخرج . فقال : والله ، لقد فررت حتى استحييت من الله . قلت : والله ، إنى لأراك كما سمتّك أمّك سعيداً . قال : فقدم مكة ، فأرسل إليه ، فأخذه ، فأخبرنى يزيد بن عبد الله قال : أتينا سعيد بن جبير حين جيء به ، فإذا هو طيب النفس ، وبُنيّة له فى حُجْره ، فنظرت إلى القيد ، فبكت ، فشيعناه إلى باب الجسر ، فقال له الحرس : أعطنا كُفلاء ، فإنا نخاف أن تُغرق نفسك . قال يزيد : فكنت فيمن كُفّل به . وعن داود بن أبى هند قال : لما أخذ الحجاجُ سعيد بن جبير : ما أرانى إلا مقتولاً ، وسأخبركم أنى كنت أنا وصاحبان لى دعونا حين وجدنا حلاوة الدعاء ، ثم سألنا الشهادة فكلا صاحبىّ رُزقها ، وأنا أنتظرها ، فكأنه رأى أن الإجابة عند حلاوة الدعاء .

وعن عمر بن سعيد قال : دعا سعيد بن جبير ابنه حين دُعِىَ ليقُتل ؛ فجعل ابنه يبكى ، فقال : ما يبكيك ؟ ما بقاء أبيك بعد سبع وخمسين سنة .

وعن الحسن قال : لما أُتِى الحجاج بسعيد بن جبير قال : أنت الشقىّ ابن كُسَير ؟ قال : بل أنا سعيد بن جبير . قال : بل أنت الشقىّ بن كسير قال : كانت أمى أعرف باسمى منك . قال : ما تقول فى محمد؟ قال : تعنى النبى ﷺ . قال : نعم . قال : سيد ولد آدم ، المصطفى ، خير من بقى ، وخير من

مضى ، قال : فما تقول فى أبى بكر الصديق ؟ قال الصديق خليفة رسول الله ﷺ ، مضى حميداً ، وعاش سعيداً ، ومضى على منهاج نبيه ﷺ لم يغيّر ، ولم يبدل . قال : فما تقول فى عمر ؟ قال : عمر الفاروق خيرةُ الله ، وخيرة رسوله مضى حميداً على منهاج صاحبيه ، لم يغيّر ولم يبدّل . قال : فما تقول فى عثمان ؟ قال : المقتول ظلماً ، المجهز جيش العُسرة ، الحافر بئر رومة ، المشترى بيته فى الجنة ، صهْر رسول الله ﷺ على ابنتيه زوّجه النبى ﷺ بوحىْ من السماء . قال : فما تقول فى علىّ ؟ قال : ابن عم رسول الله ﷺ ، وأول من أسلم [١] ، وزوج فاطمة ، وأبو الحسن والحسين . قال فما تقول فىّ ؟ قال : أنت أعلم بنفسك . قال : بُثَّ بعملك « أى قل ما تعلم » . قال : إذاً نسوءكَ ولا نسرّك . قال : بُثّ بعلمك . قال : اعفنى . قال : لا عفا الله عنى إن أعفيتك . قال : إنى لأعلم أنك مخالف لكتاب الله ، ترى من نفسك أموراً تريد بها الهيبة ، وهى التى تُقحمك الهلاك ، وستُرد غداً فتعلم . قال : أما والله ، لأقتلنّك قتلةً لم أقتلها أحداً قبلك ، ولا أقتلها أحداً بعدك . قال : إذاً تُفسد علىّ دنياى ، وأفسد عليك آخرتك . قال : ياغلام ، السيف والنّطعْ [٢] ، فلما ولىّ ضحك . قال : قد بلغنى أنك تضحك . قال : قد كان ذلك . قال : فما أضحكك عند القتل ؟ قال : من جُرأتك على الله عز وجل ومن حلم الله عنك . قال : يا غلام اقتله . فاستقبل القبلة فقال : ﴿ **وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** (٧٩) ﴾ [٣] ، فصرف

---

(١) أى من الصبيان وإلا فأول من أسلم من الرجال فهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

(٢) جلد سميك يوضع عليه من يراد ذبحه حتى لا يتسخ القصر من الدم !! .

(٣) سورة الأنعام الآية « ٧٩ » .

وجهه عن القبلة فقال : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ [١] ، قال : اضرب به الأرض . قال : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾ [٢] ، قال : اذبح عدوّ الله فما أنزعه لآيات القرآن منذ اليوم .

قال ابن ذكوان : إن الحجاج بن يوسف بعث إلى سعيد بن جُبير فأصابه الرسول بمكة ، فما سار به ثلاثة أيام رآه يصوم نهاره ، ويقوم ليله ، فقال الرسول : والله ، إنى لأعلم أنى أذهب بك إلى من يقتلك فاذهب إلى أى طريق شئت . فقال له سعيد : إنه سيبلغ الحجاج أنك قد أخذتنى فإن خلّيت عنى خِفتَ أن يقتلك ، ولكن اذهبْ بى إليه . قال : فذهب به ، فلما دخل عليه قال له : الحجاج : ما اسمك ؟ قال سعيد بن جبير . فقال : بل شقىّ ابن كسير . فقال : أمىّ سمتنى . قال : شقيتَ . قال : الغيب يعلمه غيرك . قال له الحجاج : أما والله ، لأبدلنك من دنياك ناراً تلظى . قال سعيد : لو علمتُ أن ذلك إليك ما اتخذت إلهاً غيرك . ثم قال له الحجاج : ما تقول فى رسول الله ﷺ ؟ قال : نبىّ مصطفى ، خير الباقين وخير الماضين . قال : فما تقول فى أبى بكر الصديق ؟ قال : ثانى اثنين إذ هما فى الغار ، أعزّ الله به الدين وجمع به بعد الفرقة ، قال : فما هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؟ قال : فاروق وخيرة الله من خلقه ، أحبّ الله أن يُعزّ الدين بأحد الرجلين ، فكان أحقُّهما بالخيرة والفضيلة . قال : فما تقول فى عثمان بن عفان ؟ قال : مجهز جيش العُسرة ، والمشترى بيتاً فى الجنة ، والمقتول ظلماً . قال : فما تقول فى علىّ ؟ قال : أولهم إسلاماً ، وأكثرهم هجرة ، تزوج بنت رسول الله ﷺ التى هى أحب بناته إليه . قال : فما تقول فى معاوية ؟ قال : كاتب رسول الله ﷺ . قال :

---

(١) سورة البقرة الآية « ١١٥ » .
(٢) سورة طه الآية « ٥٥ » .

فما تقول فى الخلفاء منذ كان رسول الله ﷺ إلى الآن ؟ قال : سيجزون بأعمالهم ، فمسرور ومثبور « هالك » ولستُ عليهم بوكيل . قال : فما تقول فى عبد الملك بنِ مروان ؟ ، قال : إن يكن محسناً فعند الله ثواب إحسانه ، وإن يكن مسيئاً فلن يُعجز الله . قال : فما تقولى فىّ ؟ قال : أنت بنفسك أعلم ، قال : بُثّ فىّ علمك ، قال : إذاً أسوءك ولا أسُرك . قال : بُثّ . قال : نعم ، ظهر منك جورٌ فى حدّ الله ، وجرأة على معاصيه بقتلك أولياء الله . قال : والله ، لأقطّعنك قطعاً ، وأفَرقن أعضاءك : عضواً ، عضواً . قال : إذا تُفسد علىّ دنياى ، وأفسد عليك آخرتك والقصاص أمامك . قال : الويل لك من الله . قال : لمن زُحزْح عن الجنة وأُدخل النار . قال : اذهبوا به فاضربوا عنقه . قال سعيد : إنى أشهدك أنى أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أتسحفظك بها حتى ألقاك يوم القيامة . فُذبح من قفاه . قال : فبلغ ذلك الحسن بن أبى الحسن البصرى فقال : اللهم ، ياقاصم الجبابرة اقصم الحجاج . فما بقى إلا ثلاثاً حتى وقع فى جوفه الدود فمات .

وعن يحيى بن سعيد ، عن كاتب الحجاج يقال له :يعلى . قال : كنت أكتب للحجاج وأنا يومئذ غلام حديث السن ، فدخلت عليه يوماً بعد ما قتل سعيد بن جبير ، وهو فى قبة لها أربعة أبواب ، فدخلت مما يلى ظهره ، فسمعته يقول : ما لى ولسعيد بن جبير ؟ فخرجت رويداً ، وعلمت أنه إن علم بى قتلنى ، فلم ينشب « لم يلبث » الحجاج بعد ذلك إلا يسيراً ، وفى رواية أخرى : عاش بعده خمسة عشر يوماً ، وفى رواية : ثلاثة أيام ، وكان يقول : ما لى ولسعيد بن جبير ؟ كلما أردت النوم أخذ برجلى .

وعن عمرو بن ميمون ، عن أبيه قال :لقد مات سعيد بن جبير وما على الأرض أحد إلا وهو يحتاج إلى علمه .

ينابيع الحكمة

كان إبراهيم النخعي رحمه الله يقول : تكلمت ولو وجدت بداً ما تكلمت، فإن زماناً أكون فيه فقيه الكوفة لزمانُ سوء . وقال : كنا إذا حضرنا جنازة أو سمعنا بميت عُرف فينا أياماً ؛ لأنا قد عرفنا أنه قد نزل به أمر صيّره إلى الجنة أو النار قال : وإنكم في جنائزكم تحدّثون بأحاديث دنياكم .

وكان إذا سئل في مسألة عرفت الكراهية في وجهه ، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ، ويتوقى الشهرة .

وعن الأعمش قال : كنت عند إبراهيم وهو يقرأ في المصحف ، واستأذن عليه رجل فغطى المصحف وقال : لا يرى هذا أنني أقرأ فيه كل ساعة .

وقال : كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه نظروا إلى صلاته ، وإلى هديه ، وإلى سمته . وعن مغيرة قال : كان رجل على حال حسنة فأحدث حدثاً ، أو فأذنب ذنباً ، فرفضه أصحابه ، ونبذوه ، فبلغ إبراهيم فقال : مَهْ تداركوه ، وعظوه، ولا تدعوه .

وقال إبراهيم التيمي : ما عرضتُ عملي على قولي إلا خشيت أن أكون مكذباً .

وقال : كم بينكم وبين القوم ؟ أقبلت عليهم الدنيا فهربوا ، وأدبرت عنكم فاتبعتموها ، وكان لا يخوض في شيء من أمر الدنيا قط ، ويقول : إن الرجل ليظلمني فأرحمه . وقال : ينبغي لمن لا يحزن أن يخاف أن يكون من أهل النار لأن أهل النار قالوا : ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ** ﴾ [1] ، وينبغي

---

(١) سورة فاطر الآية « ٣٤ » .

لمن لا يشفق أن يخاف أن لا يكون من أهل الجنة لأنهم قالوا : ﴿ **إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ** ﴾ [(١)] ، فقال : مثلتُ نفسي في الجنة آكل من ثمارها ، وأشرب من أنهارها ، وأعانق أبكارها ، ثم مثّلتُ نفسي في النار آكل من زقومها ، وأشرب من صديدها ، وأعالج سلاسلها وأغلالها ، فقلت لنفسي : أيّ شيء تريدين ؟ قالت : أريد أن أُردّ إلى الدنيا ، فأعمل صالحاً . قال : قلت : فأنت في الأمنية ؛ فاعملي .

وقال : أعظم الذنب عند الله عز وجل أن يحدّث العبد بما ستر الله عليه .

وكان سبب حبس إبراهيم التيمى أن الحجاج طلب إبراهيم النخعى ، فجاء الذى طلبه فقال : أريد إبراهيم . فقال إبراهيم التيمى : أنا إبراهيم ، فأخذه وهو يعلم أنه إبراهيم النخعى ، فلم يستحل أن يدله عليه ، فجاء به الحجاج ، فأمر بحبسه فى الدّيماس « مكان تحت الأرض » ولم يكن لهم ظلٌّ من الشمس ، ولا كِنٌّ من البرد ، وكان كل اثنين فى سلسلة ، فتغير إبراهيم ، فجاءته أمه فى الحبس ، فلم تعرفه حتى كلمها فمات فى السجن .

وكان خيثمة بن عبد الرحمن يصنع الخبيص [(٢)] ، والطعام الطيب ، ثم يدعو إبراهيم النخعي والأعمش وغيره فيقول : كلوا ما أشتهيه ما أصنعه إلا من أجلكم . وقال : كان يعجبهم أن يموت الرجل عند خير عمله : إما حج ، وإما عمرة ، وإما غزاة ، وإما صيام رمضان .

وقال : إذا طلبت شيئاً فوجدته ، فاسأل الله الجنة فلعله يكون يومك الذى

---

(١) سورة الطور الآية « ٢٦ » .

(٢) الخبيص : « الحلواء » .

يستجاب فيه ، وعندما مرض وثقل ، جاءته امرأته ، فجلست بين يديه ، فبكت، فقال لها : ما يبكيك ؟ . الموت لا بد منه . فقالت له المرأة : الرجال بعدك عليّ حرام فقال لها خيثمة: ما كلّ هذا أردت منك ؛ إنما كنت أخاف رجلاً واحداً وهو أخي محمد بن عبد الرحمن ، وهو رجل فاسق يتناول الشراب ؛ فكرهت أن يشرب في بيتي الشراب بعد إذ القرآن يُتلى فيه كل ثلاث .

وعن ليث قال : كنت أمشي مع طلحة بن مصرف ، فقال : لو علمت أنك أسنّ مني بليلة ما تقدّمتك .

وخطب زبيد إلى طلحة ابنته فقال : إنها قبيحة . قال طلحة : قد رضيت . قال زبيد : إن بعقبها أثراً . قال طلحة : قد رضيت .

وقال البعض : ما رأيت أحداً أملك للسانه من طلحة بن مصرف .

وكان زبيد إذا كانت الليلة مطيرة أخذ شعلة من النار؛ فطاف على عجائز الحيّ فقال : أوَكَفَ عليكم بيت ؟ أتريدون ناراً ؟ فإذا أصبح طاف على عجائز الحي ، فقال : ألكم في السوق حاجة ؟ أتريدون شيئاً ؟ .

وقال : يسرني أن يكون لي في كل شيء نيّة ، حتى في الأكل ، والنوم .

وجاءه رجل ضرير يريد أن يسأله ، فقال زبيد : إن كنت تريد أن تسأل عن شيء ؛ فإن معي غيري . وكان يجلس معه بعض أصحابه .

وكان عون بن عبد الله بن عتبة رحمه الله يقول : ذاكراً الله في غفلة الناس ، كمثل الفئة المنهزمة يحميها الرجل ، لولا ذلك الرجل هُزمت الفئة ، ولولا من يذكر الله في غفلة الناس ، هلك الناس .

وقال : صحبت الأغنياء فلم يكن أحداً أطول غماً مني أن رأيت أحداً

أحسن ثياباً منى وأطيب ريحاً منى ، فصحبت الفقراء فاسترحت .

قال : ما أحسب أحداً تفرغ لعيب الناس إلا من غفلة غفلها عن نفسه .

وقال عون : جالسوا التوابين ؛ فإنهم أرقّ الناس قلوباً . وقال : الدنيا والآخرة فى قلب ابن آدم ككفتى الميزان ترجح إحداهما بالأخرى ، وما تحابّ رجلان فى الله إلا كان أفضلهما أشدهما حباً لصاحبه .

وقال : إن من كان قبلنا كانوا يجعلون للدنيا ما فضل عن آخرتهم ، وإنكم تجعلون لآخرتكم ما فضل من دنياكم . وقال : إن الله ليكره عبده على البلاء كما يُكره أهلُ المريض مريضهم ، وأهل الصبى صبيهم ، على الدواء ، ويقولون: اشرب هذا ؛ فإن لك فى عاقبته خيراً .

وكان رحمه الله يبكى ، ويقول وقد ذكر خطيئته : ويح نفسى ! بأى شيء لم أعصى ربى ؟ ويحى ! إنما عصيته بنعمته عندى ، ويحى من خطيئة ذهب شهوتها ، وبقيت تبعتها عندى ، ويحى ! كيف أنسى الموت ، ولا ينسانى ؟ ويحى إن حُجبت يوم القيامة عن ربى ، ويحى ! كيف أغفل ولا يُغفل عنى ؟ أم كيف تُهنْئينى بمعيشتى واليوم الثقيل ورائى ؟ أم كيف لا تطول حسرتى ولا أدرى ما يُفعل بى ؟ أم كيف يشتد حبى لدارٍ ليست بدارى ؟ ، أم كيف أجمع بها وفى غيرها قرارى ؟ أم كيف تعظم فيها رغبتى والقليل فيها يكفينى ؟ أم كيف أُوثرها وقد أضرت بمن آثرها قبلى ؟ أم كيف لا أبادر بعملى قبل أن يُغلق باب توبتى ؟ أم كيف يشتد إعجابى بما يزايلنى وينقطع عنى ؟ أم كيف لا يكثر بكائى ولا أدرى ما يراد بى ؟ أم كيف تقر عينى مع ذكر ما سلف منى ؟ أم كيف تطيب نفسى مع ذكر ما هو أمامى ؟ ويحى ! هل ضرّت غفلتى أحداً سواى ؟ أم هل يعمل لى غيرى إن ضيعت حظى ؟

ويحى ! كأنه قد تصرم أجلى ، ثم عاد ربى خلقى كما بدأنى ، ثم أوقفنى وسألنى ، ثم شهدت الأمر الذى أذهلنى ، وشغلت بنفسى من غيرى ، وسارت الجبال وليس لى مثل خطيئتى ، وجمع الشمس والقمر وليس عليهما مثل حسابى ، وانكدرت النجوم وليست تُطلب بما عندى ، وحشرت الوحوش ولم تعمل مثل عملى ، وشاب الوليد وهو أقل ذنباً منى ، ويحى ! ما أشد حالى وأعظم خطرى ؛ فاغفر لى ، واجعل طاعتك همتى ، ولا تعرض عنى يوم تعرض ، ولا تفضحنى بسرائرى ، ولا تخذلنى بكثرة فضائحى ، بأى عين أنظر إليك وقد علمت سرائرى ؟ وكيف أُعتذر إليك إذا ختمت على لسانى ونطقت به جوارحى بكل الذى كان منى ؟ إلهى أنا الذى ذكرت ذنوبى ، لم تقر عينى ، أنا تائب إليك فاقبل ذلك منى ، ولا تجعلنى لنار جهنم وقوداً بعد توحيدى وإيمانى برحمتك .

ومن أقواله رحمه الله : ما أحدٌ يُنزل الموت حق منزلته إلا عدّ غداً ليس من أجله ، كم من مستقبل يوماً لا يستكمله ، وراجٍ غداً لا يبلغه ، لو تنظرون إلى الأجل ومسيره ؛ لأبغضتم الأمل وغروره .

وقال : كان أهل الخير يكتب بعضهم إلى بعض بهؤلاء الكلمات الثلاث ويلقى بهم بعضهم بعضاً : من عمل لآخرته كفاه الله عز وجل دنياه ، ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح ما بينه وبين الناس ، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته .

وقال : قلب التائب بمنزلة الزجاجة يؤثر فيها جميع ما أصابها ، فالموعظة إلى قلوبهم سرعة ، وهم إلى الرقة أقرب ، فداووا القلوب بالتوبة ، فلربَّ تائبٍ دعته توبته إلى الجنة حتى أوفدته عليها ، وجالسوا التوابين ، فإن رحمة الله إلى التوابين أقرب .



هيا بنا نؤمن ساعة
فقد آن للقلب أن يخشع

روى أبو بكر بن عياش قال : سمعت أبا إسحاق السبيعى يقول : ذهبت الصلاة منى ، وضعفتُ ، ورقّ عظمى ، إنى اليوم أقوم فى الصلاة فما أقرأ إلا البقرة وآل عمران .

وكان عمرو بن مرة يقول : من طلب الآخرة أضر بالدينا ، ومن طلب الدنيا أضر بالآخرة ؛ فأضروا بالفانى للباقى .

وقال : نظرت إلىّ امرأة ، فأعجبتنى ؛ فكف بصرى ؛ فأرجو أن يكون ذلك كفارة .

وأنفق حبيب بن أبى ثابت على القرّاء « الفقهاء » مائة ألف ، وكان إذا سجد أطال سجوده ، فلو رأيته قلت ميت .

دخل سفيان الثورى على مجمع التيمى ، فإذا فى إزار سفيان خرقٌ فأخذ مجمع أربعة دراهم وأعطاها سفيان ، فقال : اشتر به إزاراً . فقال سفيان : لا أحتاج إليها . قال مجمع : صدقت ، أنت لا تحتاج ، ولكنى أحتاج . فأخذها، فاشترى بها إزاراً ، فكان سفيان يقول : كسانى مجمع جزاه الله خيراً .

وقرأ رجل ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ** ﴾ [1] .

فقال الربيع بن أبى راشد : حال ذكر الموت بين كثير مما أريد من التجارة ،

---

(١) سورة الحج الآية « ٥ » .

فلو فارق ذكر الموت قلبى ساعةً لخشيت أن يفسد علىّ قلبى ، ولولا أن أخالف من كان قبلى لكانت الجبانة مسكنى إلى أن أموت .

وذكر أبو بكر بن عياش قال : ربما كنت مع منصور « ابن المعتمر» فى منزله جالساً فتصيح به أمه ، وكانت فظة غليظة فتقول : يا منصور ، يريدك ابن هبيرة على القضاء فتأبى عليه وهو واضعٌ لحيته على صدره ما يرفع طرفه إليها .

وكان منصور بن المعتمر يصلى فى سطحه فلما مات قال غلام لأمه : يا أماه ، الجذْع الذى كان فى سطح آل فلان ليس أراه . قالت : يابنى ، ليس ذاك بجذع ، ذاك منصور قد مات . وكان منكّس الطرف ، منخفض الصوت ، رطْب العينين ، وكان الليلُ عنده مطية من المطايا متى شئت أصبته قد ارتحله ، وكان إذا صلى الصبح أظهر النشاط لأصحابه ؛ فيحدثهم ، ويكثر إليهم ، ولعله إنما يأت قائماً على أطرافه ، كل ذلك ليخفى عليهم العمل .

وقال ضرار بن مرة : إن إبليس إذا استمكن من ابن آدم ثلاثاً أصاب منه حاجته : إذا نسى ذنوبه ، واستكثر عمله ، وأعجب برأيه .

وحكى سفيان بن عيينه قال : نزل محمد بن المنكدر على محمد بن سوقة بالكوفة ، فحمله على حمار ، فسألوه ، فقالوا : يا عبد الله ، أىّ العمل أحب إليك ؟ قال : إدخال السرور على المؤمن . قالوا :فما بقى مما يستلذ ؟ قال : الإفضال على الإخوان .

وطلب ابن أخيه محمد بن سوقة منه شيئاً فبكى ، فقال له : والله ، يا عمّ لو علمت أن مسألتى تبلغ منك هذا ما سألتك . قال : ما بكيت لسؤالك ، إنما بكيت لأنى لم أبتدئك قبل سؤالك .

وقال : أمران لو لم نعذَّب إلا بهما لكنا مستحقين بهما لعذاب الله : أحدنا يُزاد الشيء من الدنيا فيفرح فرحاً ما علم الله أنه فرحه بشيء زاد قط في دينه ، وينقُصُ الشيء من الدنيا فيحزن عليه حزناً ما علم أنه حزِنه على شيء نقصه قط في دينه .

وعن عيسى بن يونس قال : ما رأينا في زماننا مثل الأعمش ، وما رأيت الأغنياء والسلاطين في مجلس أحدٍ أحقر منهم في مجلس الأعمش ، وهو محتاج إلى درهم .

وقال وكيع : كان الأعمش قريباً من سبعين سنة لم يَفُتْه التكبيرة الأولى ، واختلفت إليه قريباً من سبعين ؛ فما رأيته يقضي ركعة .

وكان يحيى القطّان إذا ذكر الأعمش قال : كان من النّساك ، وكان محافظاً على الصلاة في الجماعة ، وعلى الصفّ الأول . قال يحيى : وهو علامة الإسلام . وقال الأعمش : إني لأحب أن أعافى في إخواني ؛ لإنهم إن بُلوا بُليت معهم إما بالمواساة وفيها مؤونة ، وإما بالخذلان وفيه عار .

وقدم كُرز بن وبرة الكوفة ، فانجفل إليه القراء ، فما سمعوا منه إلا كلمتين . قال : صلّوا على نبيكم ﷺ فإن صلاتكم تُعرض عليه .

وقال : اللهم ، اختم لي بخير ، وكان لا يُفتر ، يصلي في المحمل ، فإذا أنزل من المحمل افتتح الصلاة ، وبكى يوماً فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : إن بابي لمغلق ، وإن ستري لمسْبَل ، ومنعت جزئي أن أقرأه البارحة ، وماهو إلا من ذنب أذنبته .

وعن عبد الملك بن أبجر قال : ما من الناس إلا مبتلىً بعافيةٍ لينظر كيف شُكره ، أو مبتلى ببلية لينظر كيف صبره .

وكان داود الطائي يقول : ما أخرج الله عبداً من ذل المعاصي إلى عز التقوى إلا أغناه بلا مال ، وأعزه بلا عشيرة ، وآنسه بلا بشر ، وكان بدء توبته أنه دخل المقبرة فسمع امرأة عند قبر وهي تقول :

مقيم إلى أن يبعث الله خلقه لقاؤك لا يُرْجى وأنت قريبُ
تزيد بلىً في كل يومٍ وليلة وتُسْلى كما تبلى وأنت حبيبُ

وقال له رجل : أوصني فقال : اتق الله ، وإن كان لك والدان فبرهما .

ثم قال : ويحك ! صُم الدنيا ، واجعل الفطر يوم موتك ، واجتنب الناس غير تارك لجماعتهم .

وقال : ارض باليسير من الدنيا مع سلامة الدين كما رضي أهل الدنيا مع فساد الدين .

وكان يحمل غذاءه معه ، ويتصدق به في الطريق ، ويرجع إلى أهله يفطر عشاءً لا يعلمون أنه صائم .

وخرج يوماً في جنازة بالكوفة فتكلم ، فقال : من خاف الوعيد قصُر عليه البعيد ، ومن طال أمله ضعف عمله ، وكل ما هو آت قريب ، واعلم يا أخي أن كل ما يشغلك عن ربك فهو عليك مشئوم ، واعلم أن أهل القبور إنما يفرحون بما يقدّمون ، ويندمون على ما يُخلفون ، وأهل الدنيا يقتتلون ، ويتنافسون فيما عليه أهل القبور يندمون .

واحتجم دواد الطائي ، فدفع ديناراً إلى الحجام فقيل له : هذا إسراف . فقال : لا عبادة لمن لا مروءة له ، وكان الثوري إذا ذكره قال : أبصر الطائي أمره .

وقال له رجل يوماً : يا أبا سليمان ، قد عرفت الرحم التى بيننا فأوصنى . قال : فدمعت عيناه ، ثم قال : يا أخى ، إنما الليل والنهار مراحل ينزلها الناس : مرحلة مرحلة ؛ حتى ينتهى بهم ذلك إلى آخر سفرهم ، فإن استطعت أن تقدم فى كل مرحلة زاداً لما بين يديها فافعل ، فإن انقطاع السفر عن قريب ، والأمر أعجل من ذلك ، فتزود لسفرك ؛ واقضْ ما أنت قاض من أمرك ، فإنك بالأمر قد يفتك ، إنى لأقول لك هذا ما أعلم أحداً أشد تضييعاً منى لذلك ، ثم قام ، وترك الرجل . وقال : يا ابن آدم ، فرحت ببلوغ أملك ، وإنما بلغته بانقضاء مدة أجلك ، ثم سّوفت بعملك كأن منفعته لغيرك .

وقيل له : يا أبا سليمان ، لقد رضيت من الدنيا باليسير . قال : أفلا أدلك على من رضى بأقل من ذلك ؟ من رضى بالدنيا كلها عوضاً عن الآخرة . وقال رجل لداود الطائى : أوصنى . فقال : عسكر الموتى ينتظرونك . قال : انظر لا يراك الله حيث نهاك ، وأن لا يفقدك من حيث أمرك ، واستحيه فى قربه منك ، وقدرته عليك .

وقيل له : ما ترى فى الرمى ؟ فإنى أحب أن أتعلمه . فقال : إنى الرمى لحسن ، ولكن إنما هى أيامك ، فانظر بما تقطعها .

وكان مما قاله ابن السماك ، حين مات داود الطائى : يا أيها الناس ، إن أهل الدنيا تعجلوا غموم القلب ، وهموم النفس ، وتعب الأبدان مع شدة الحساب ، فالرغبة متعبة لأهلها فى الدنيا والآخرة ، والزهادة راحة لأهلها فى الدنيا والآخرة ، وإن داود الطائى نظر بقلبه إلى ما بين يديه فأغشى بصرُ قلبه بصرَ العيون فكأنه لم يبصر ما إليه تنظرون ، وكأنكم لا تبصرون ما إليه

ينظر ، فإنكم منه تعجبون ، وهو منكم يتعجب ، فلما نظر إليكم راغبين مغرورين قد ذهب على الدنيا عقولكم ، وماتت من حبها قلوبكم ، وعشقتها أنفسكم ، وامتدت إليها أبصاركم ، استوحش الزاهد منكم ؛ لأنه كان حياً وسط موتى . إلى أن قال : فما أصغر ما بذلت ، وما أحقر ما تركت ، وما أيسر ما فعلت فى جنب ما أملت .



كلمات مؤثرة

كان سفيان الثورى يقول : لو لم أعلم لكان أقل لحزنى . وقال له رجل : أرى الناس يقولون سفيان الثورى ، وأنت تنام الليل ، فقال له : اسكت ، ملاك هذا الأمر التقوى . وكان يقول : إنى لأضع يدى على رأسى من الليل إذا سمعت صيحةً ، فأقول : قد جاءنا العذاب .

وقال : ما من موطن أشد علىّ من سكرة الموت أخاف أن يشدّد علىّ فأسأل التخفيف ؛ فلا أجاب ؛ فأفتتن .

وقال : فُجّار القّراء اتخذوا القرآن إلى الدنيا سلّماً . قالوا : ندخل على الأمراء نفرّج عن المكروب ، ونتكلم فى محبوس . واشتد به الأمر يوماً فجعل يبكى ، فقال له رجل : يا أبا عبد الله ، أراك كثير الذنوب . فرفع شيئاً من الأرض فقال : والله لذنوبى أهون عندى من ذا ، إنى أخاف أن أُسلب الإيمان قبل أن أموت .

وعن أبى بكر بن عياش قال : قال لى رجل مرة ، وأنا شاب : خلص رقبتك ما استطعت فى الدنيا من رقّ الآخرة ، فإن أسير الآخرة غير مفكوك أبداً.

قال أبو بكر : فما نسيتها أبداً ، وبكى ابنه حين حضرته الوفاة ، فقال : ما يبكيك ؟ أترى الله يضيع لأبيك أربعين سنة ، يختم القرآن كل ليلة ؟ .

وأغلظ رجل لوكيع بن الجراح فدخل وكيع بيتاً فعفر وجهه فى التراب ، ثم خرج إلى الرجل فقال : زِد وكيعاً بذنبه فلولاه ما سُلّطت عليه .

وقال الإمام أحمد : ما رأيت رجلاً مثل وكيع فى : العلم ، والحفظ ،

والحلم مع خشوع وورع .

وكان البعض يقول : إنى لأعصى الله ؛ فأعرف ذلك فى خلق دابتى ، وخادمى ، وامرأتى .

ودخل أبو مسلم الخولانى على معاوية رضي الله عنه فقال : السلام عليك أيها الأجير . فقال له من حوله : قل : أيها الأمير . فأعادها : السلام عليك أيها الأجير . فقال معاوية لصحبه : « دعوه ، فإن أبا مسلم يعرف ما يقول . ثم قال أبو مسلم لمعاوية رضي الله عنه : « إنما مثلك مثل أجير اؤتمن على ماشية ليحسن رعيها ، ويوفر ألبانها ، وينمى الصغيرة ، ويسمن العجناء ، فإن هو فعل استحق أجره وزيادة ، وإن هو لم يفعل نزل به عقاب مستخلفه ، ولم ينل أجراً ، يامعاوية ، إنك إن عدلت مع أهل الأرض جميعاً ، ثم جُرت على رجل واحد ، مالَ جُورك بعدلك ، يا معاوية ، لا تحسبن الخلافة جمع المال وإغداقه ؛ إنما الخلافة : العمل بالحق ، والقول بالمعدَلة ، وأخذ الناس فى ذات الله ، يامعاوية ، إن الناس لا يُبالون بكدر الأنهار ما صفا النبع وطاب ، وإن مكان الخليفة من الناس ، مكان النبع الذى يرجون صفاءه .

وكان ابن السماك يقول : يا ابن آدم ، إنما تغدو فى كسب الأرباح ، فاجعل نفسك فيما تكسبه ، فإنك لم تكسب مثلها .

ودخل على هارون الرشيد فقال : يا أمير المؤمنين ، إن لك بين يدى الله تعالى مقاماً ، وإن لك من مقامك منصرفاً ، فانظر إلى أين منصرفك : إلى الجنة ، أم إلى النار ؟ فبكى هارون وقال : من امتطى الصبر قوى على العبادة ، ومن أجمع اليأس استغنى عن الناس ، ومن أهمته نفسه لم يُول مرّمتها غيره «أى لم يتول إصلاحها أحد غيره » ومن أحب الخير وفّق له ، ومن كره الشر

جُنبّه ، ومن رضى الدنيا من الآخرة حظاً فقد أخطأ نفسه .

وكتب إلى أخ له : « أما بعد ، أوصيك بتقوى الله الذى هو نجيك فى سريرتك ورقيبك فى علانيتك ، فاجعله من بالك على حالك ، وخَفْهُ بقدر قربه منك ، وقدرته عليك ، واعلم أنك بعينه ليس تخرج من سلطانه إلى سلطان غيره ؛ فليعظم منه حذرك وليكثر منه وجلَك ، واعلم أن الذنب من العاقل أعظم منه من الأحمق ، ومن العالم أعظم من الجاهل ، وقد أصبحنا أدلاء بزعمنا ، والدليل لا ينام فى البحر .

وقد كان عيسى عليه السلام يقول : حتى متى تصفون الطريق للدالجين وأنتم مقيمون فى محلة المتخيرين ؟ تصفّون البعوض من شراكم ، وتسترطون «تتبلعون » الجمال بأحمالها ، أى أخى ، كم من مذكر بالله ناسٍ لله ، وكم من مخّوف بالله جرىءٌ على الله ، وكم من داعٍ إلى الله فارٌ من الله ، وكم تالٍ لكتاب الله منسلخٌ من آيات الله والسلام » .

وقال : سبعك بين لحييك ، تأكل به كل من مرّ عليك ، قد آذيت أهل الدور فى الدور حتى تعاطيت أهل القبور ، فما ترثى لهم ، وقد جرى البلى عليهم ، وأنت ها هنا تنبشهم ، إنما نرى أن بنبشهم أخذُ الخِرقَ عنهم ، إذا ذكرت مساويهم فقد نبشتهم إنه ينبغى لك أن يدلك على ترك القول فى أخيك ثلاث خلال : أما واحدة فلعلك أن تذكره بأمر هو فيك ، فما ظنك بربك إذا ذكرت أخاك بأمر هو فيك ؟ ولعلك تذكره بأمر ، فيك أعظم منه ، فذلك أشد استحكاماً لمقته إياك ، ولعلك تذكره بأمر قد عافاك الله منه ، فهذا جزاؤه إذا عافاك . أما سمعت : ارحم أخاك ، واحمد الذى عافاك ؟ .

وقال : من أذاقته الدنيا حلاوتها ؛ لميله إليها جرّعته الآخرة مرارتها ؛

لتجافيه عنها ، وقال : إن استطعت أن تكون كرجل ذاق الموت ، وعاش ما بعده ، فسأل الرّجعة ، فأسعف بطلبه ، وأُعطَى حاجته ؛ فهو متأهب مبادر ، فافعل فإن المغبون من لم يقدم من ماله شيئاً ومن نفسه لنفسه .

ولما حضرته الوفاة قال : اللهم ، إني وإن كنت أعصيك لقد كنت أحب فيك من يطيعك .

وكان البعض يقول : سوّلت لى نفسى وغلبتنى شقوتى ، وغرّنى سترك المرخىّ علىّ ، عصيتُك بجهلى ، وخالفتك بجهدى ، فالآن من عذابك من يستنقذنى ؟ وبحبل مَن اتصل إن قطعت حبلك عنى ؟ واسوأتاه على ما مضى من أيامى فى معصية ربى ، ياويلى ! كم أتوب ، وكم أعود ، قد حان لى أن أستحى من ربى عز وجل .

ودخل ابن المبارك والفضيل على رجل متعبد ، فسلم ابن المبارك عليه ، ثم قال : يا أخى ، بلغنا أنه ما ترك عبدٌ شيئاً لله إلا عوضه الله ما هو أكثر منه ، فما عوضك ؟ قال : الرضا بما أنا فيه .

فقال ابن المبارك : حسبك . وقاما على ذلك .

وقال وكيع : قالت أم سفيان الثورى لسفيان : يابنى ، اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلى .

وقالت له : يابنى ، إذا كتبت عشرة أحرف ، فانظر هل ترى زيادة فى نفسك ، وحلمك ، ووقارك ، فإن لم يزدك فاعلم أنه لا يضرك ، ولا ينفعك .

وحدث فضيل بن عبد الوهاب قال : سمعتُ أختى يوماً تقول : الآخرة أقرب من الدنيا ، وذلك أن الرجل يهمّ بطلب الدنيا فلعله أن ينشىء لذلك

سفراً يكون فيه تعبُ بدنه ، وإنفاق ماله ، ثم لعله أن لا ينال بغيته ، والرجل يطلب الآخرة فمنتهى طلبته فى حُسن نيته حيث ما كان من غير أن ينشىء سفراً ، أو ينفق مالاً أو يتعب بدناً ، ما هو إلا أن يُجمع على طاعة الله ، فإذا هو قد أدرك ما عند الله . قال : وسمعتها تقول : ما بيننا وبين أن نرى السرور ، أو ننادى بالويل والثبور إلا خروج هذه الأرواح من الأبدان ، فانظروا أىّ عبيدٍ تكونون حينئذ .

ويذكر أن قوماً أمروا بامرأةً ذات جمال بارع أن تتعرض للربيع بن خُثيم فلعلها تفتنه ، وجعلوا لها إن فعلت ذلك ألف درهم ، فلبست أحسن ما قدرت عليه من الثياب ، وتطيبت ما قدرت عليه ، ثم تعرضت له حين خرج من مسجده ، فنظر إليها ، فراعه أمرها ، فأقبلت عليه وهى سافرة ، فقال لها الربيع : كيف بك لو قد نزلت الحمى بجسمك فغيّرت ما أرى من لونك وبهجتك ؟ أم كيف بك لو قد نزل بك ملك الموت ؛ فقطع منك حبل الوتين ؟ أم كيف بك لو قد ساءلك مُنكر ونكير ؟ فكان ذلك بداية تشميرها وسعيها فى طاعة ربها حتى بلغت فى العبادة مبلغاً .



القطوف الدانية

قال معاوية بن هشام لخالد بن صفوان : بم بلغ فيكم الأحنف بن قيس ما بلغ ؟ قال : إن شيئت حدثتك ألفاً ، وإن شئت حذفت لك الحديث حذفاً . قال : احذفه لى حذفاً ، قال : فإن شئت فثلاثاً ، وإن شئت فاثنتين ، وإن شئت فواحدة . قال : ما الثلاث ؟ قال : كان لا يشره ، ولا يحسد ، ولا يمنع حقاً . قال : فما الثنتان ؟ قال : كان موفقاً للخير ، معصوماً من الشر . قال : فما الواحدة ؟ قال : كان أشد الناس على نفسه سلطاناً .

وقال الأحنف : ما ذكرت أحداً بسوء بعد أن يقوم من عندى . وقال : لا مروءة لكذوب ، ولا راحة لحسود ، ولا حيلة لبخيل ، ولا سؤدد لسيء الخلق ، ولا إخاء لملول .

وكان عامر بن عبد الله يقول : إنى لأستحى من الله عز وجل أن أخاف سواه . فقيل له : إن الجنة لتُدرك بدون ما تصنع ، وإن النار لتُتقى بدون ما تصنع . فقال : والله لأجتهدنّ ثم والله لأجتهدن ؛ فإن نجوت فبرحمة الله ، وإن دخلتُ النار فبعد جهدى .

ولما احتضر بكى فقيل له : أتجزع من الموت ، وتبكى ؟ فقال : ما لى لا أبكى ، ومن أحق بذلك منى ؟ والله ، ما أبكى جزعاً من الموت ، ولا حرصاً على دنياكم ، ولكنى أبكى على ظمأ الهواجر ، وقيام ليل الشتاء .

وفى مرة حبس الأسد القافلة من بين أيديهم على طريقهم ، فلما جاء عامر نزل عن دابته فقالوا : أبا عبد الله ، إنا نخاف عليك من الأسد . فقال : إنما هو كلب من كلاب الله عز وجل ، إن شاء أن يسلّطه سلّطه ، وإن شاء أن

يكفّه كفّه ، فمشى إليه حتى أخذ بيديه أذنْى الأسد ، فنحاه عن الطريق ، وجازت القافلة ، وقال : إنى لأستحى من ربى تبارك وتعالى أن يرى فى قلبى أنى أخاف من غيره .

وكان يقول : ما رأيت مثل الجنة ؛ نام طالبها ، وما رأيت مثل النار ؛ نام هاربها .

وقال : أحببت الله عز وجل حباً سهّل علىّ كل مصيبة ، ورّضانى كل قضية ، فما أبالى مع حبى إياه ما أصبحت عليه وما أمسيت .

وكان سبب نفيه وترحيله ، أنه مر برجل من أعوان السلطان وهو يجر ذمياً والذمّى يستغيث ، فأقبل على الذمىّ ، فقال : أديت جزيتك ؟ قال : نعم فأقبل عليه ، فقال : ما تريد منه ؟ قال : أذهب به يكسح « يكنس » دار الأمير . قال : فأقبل على الذمى فقال تطيب نفسك له بهذا ؟ قال : يشغلنى عن صنعتى . قال : دعه . قال : لا أدعه . قال له : دعه . قال : لا أدعه . قال : فوضع كساءه ، فقال : لا يُحفز ذمة محمد ﷺ وأنا حيى . قال : ثم خلصه منه ، فكان ذلك سبب ترحيله .

وقال : أربع آيات فى كتاب الله تعالى إذا ذكرتهن لا أبالى على ما أصبحت ، أو أمسيت ﴿ **مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ** ﴾ (١) ، ﴿ **وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ** ﴾ (٢) ، ﴿ **سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا** (٧) ﴾ (٣) ، ﴿ **وَمَا مِن دَابَّةٍ**

---

(١) سورة فاطر الآية « ٢ » .
(٢) سورة الأنعام الآية « ١٧ » .
(٣) سورة الطلاق الآية « ٧ » .

﴿ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ (١) ، وقال : من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء .

وكان يشترط على رفقائه أن يُنفق عليهم بقدر طاقته .

وكان إذا أصبح قال : اللهم غدا الناسُ إلى أسواقهم ، وأصبح لكل امرئ منهم حاجة ، وحاجتي إليك يارب أن تغفر لي ، وجلس إليه رجل وهو يصلي ، فتجوز في صلاته « خففها » ، ثم أقبل عليه ، فقال : أرحني بحاجتك فإني أبادر ؟ قلت : وما تبادر ؟ قال : ملك الموت - رحمك الله - وقام الرجل عنه، وقام هو إلى صلاته .

وقال أبو العالية : كنت أرحل إلى الرجل مسيرة أيام ، فأول ما أتفقده من أمره صلاته ، فإن وجدته يقيمها ويتمها أقمت وسمعت منه ، وإن وجدته يضيعها رجعت ، ولم أسمع منه ، وقلت : هو لغير الصلاة أضيع .

وقال : قال لي أصحاب محمد ﷺ : لا تعمل لغير الله ؛ فيكلكَ الله عز وجل إلى من عملت له .

وقال : كنا نعد من أعظم الذنوب أن يتعلم الرجل القرآن ، ثم ينام عنه حتى ينساه .

وعن فضيل بن زيد الرقاشي ، وكان غزا مع عمر سبع عزوات قال : لا يلهينك الناس عن ذات نفسك ، فإن الأمر يخلص إليك دونهم ، ولا تقطع النهار بكيت وكيْتَ ؛ فإنه محفوظ عليك ما قلت ، ولم أر شيئاً أحسن طلباً ، ولا أسرع إدراكاً من حسنة حديثة لذنب قديم .

---

(١) سورة هود الآية « ٦ » .

قال هَرِم بن حيان : ما آثر الدينا على الآخرة حكيم ، ولا عصى الله كريم.

وقال : صاحب الكلام على إحدى المنزلتين : إن قصَّر فيه حُصِرَ ، وإن أغرق فيه أثِم . وقال : لو قيل لى : إنك من أهل النار لم أترك العمل ؛ لئلا تلومنى نفسى فتقول : لِمَ فعلت ، لِمَ ضيّعت ؟ وفى رواية أخرى : تقول لى : ألا صنعت ؟ ألا فعلت ؟ وعن الحسن قال : خرج هرم بن حيان وعبد الله بن عامر يؤمّان « يقصدان » الحجاز ، فجعلت أعناق رواحلهما تتخالجان «تتجاذبان » الشجر فقال هَرِم لابن عام أتحب أنك شجرة من هذه الشجر ؟ فقال ابن عامر : لا والله ، لما أرجو من ربى عز وجل فقال هرم : لكنى والله لوددت أنى شجرة من هذه الشجر ، أكلتنى هذه الراحلة ، ثم قذفتنى بعراً ولم أكابد الحساب ، يا ابن عامر ، إنى أخاف الداهية الكبرى : إما إلى الجنة ، وإما إلى النار .

قال الحسن : كان هَرِم أفقه الرجلين ، وأعلمهما بالله عز وجل وكان صلة بن أشيم يمر عليه شباب يلهون ، ويلعبون ، فيقول لهم : أخبرونى عن قوم أرادوا سفراً ، فحادوا النهار عن الطريق ، وباتوا بالليل متى يقطعون سفرهم ؟ .

وحدث ثابت أن صلة وأصحابه مرّ بهم فتى يجرّ ثوبه « من الخيلاء والكبر» فهمّ أصحاب صلة أن يأخذوه بألسنتهم أخذاً شديداً ، فقال صلة : دعونى أكفكم أمره ، فقال : يا ابن أخى ، إن لى إليك حاجة . قال : وما حاجتك ؟ قال : أن ترفع إزارك . قال : نعم ونُعَمى عين . فرفع إزاره ، فقال صلة لأصحابه : هذا كان أمثل مما أردتم ، لو شتمتموه لشتمكم .

وقال لمعاذة : ليكن شعارك الموت ؛ فإنك لا تبالين على يُسر أصبحت من

الدنيا ، أم على عُسر .

وقال رجل لصلة : ادعُ الله عز وجل لى . قال : رغدك الله عزَّ وجلَّ فيما يبقى ، وزهَّدك فيما يفنى ، ووهب لك اليقين الذى لا يُسكن إلا إليه ، ولا يعّول فى الدين إلا عليه . وكان مطرِّف بن عبد الله يقول : يا إخوتاه ، اجتهدوا فى العمل فإن يكن الأمر كما نرجو من وحمة الله وعفوه كانت لنا درجات فى الجنة ، وإن يكن الأمر شديداً كما نخاف ونحاذر لم نقل : ﴿ **رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ** ﴾[1] ، نقول : قد عملنا فلم ينفعنا ذلك .

ووقف بعرفة ، فقال : اللهم ، لا ترد الجميع من أجلى . وقيل : كان إذا دخل بيته سبحّت معه آنية بيته .

وسار يوماً بالليل ؛ فأضاء له سوطه .

وكان يقول : إن هذا الموت قد أفسد على أهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيماً لا موت فيه .

وقال : لو علمت متى أجلى ، لخشيت على ذهاب عقلى ، ولكن الله منّ على عباده بالغفلة عن الموت ، ولولا الغفلة ما تهنأوا بالعيش ، ولا قامت بينهم الأسواق . ودعا ربه فقال : اللهم ارض عنا ، فإن لم ترض عنا ، فاعفُ عنا ، فإن المولى قد يعفو عن عبده وهو عنه غير راضٍ .

وقال : إن أقبح ما طُلب به الدنيا عمل الآخرة .

وكان بين مطرف وبين رجل من قومه شيء ، فكذب على مطرف ،

---

(١) سورة فاطر الآية « ٣٧ » .

فقال له مطرف : إن كنت كاذباً فعجّل الله حتفك ؛ فمات الرجل مكانه . فاستعدى أهلـه زياداً على مطـرف ، فقال لهم زيـاد : هل ضربه ؟ هل مسه بيده ؟ . فقالوا : لا . فقال : دعوة رجل صالح وافقت قدراً ، فلم يجعل لهم شيئاً .

وقال مطرف لبعض إخوانه : يا فلان ، إذا كانت لك حاجة ؛ فلا تكلمنى فيها ، ولكن اكتبها فى رقعة ، ثم ادفعها إلىّ ؛ فإنى أكره أن أرى فى وجهك ذلّ السؤال .



هيا بنا نؤمن ساعة فقد يختم لنا بها

عن الحسن قال : لقيت أقواماً كانوا فيما أحل الله لهم أزهد منكم فيما حرم الله عليكم ، ولقد لقيت أقواماً كانوا من حسناتهم أشفق ألا تُقبل منهم ، ومن سيئاتكم ، ولقد صحبت أقواماً كان أحدهم يأكل على الأرض ، وينام على الأرض ، منهم صفوان بن محرز المازنى ، وكان يقول : إذا أويت إلى أهلى ، وأصبت رغيفاً أكلته . فجزى الله الدنيا عن أهلها شراً ، والله ما زاد على رغيف حتى فارق الدنيا ، يظل صائماً ، ويفطر على رغيف ، ويشرب عليه الماء ، حتى يتروى ، ثم يقوم ، فيصلى حتى يصبح ، فإذا صلى الفجر أخذ المصحف ، فوضعه فى حُجْره يقرأ حتى يترجل النهار ، ثم يقوم ؛ فيصلى حتى ينتصف النهار ، فإذا انتصف النهار رمى بنفسه على الأرض ، فنام إلى الظهر ، فكانت تلك نومته حتى فارق الدنيا ، فإذا صلى الظهر قام ، فصلى إلى العصر ، فإذا صلى العصر وضع المصحف فى حجره ؛ فلا يزال يقرأ حتى تصفّر الشمس .

وكان خليد العصرى يقول : يا إخوتاه ؛ هل منكم من أحد لا يحب أن يلقى حبيبه ؛ ألا فأحبوا ربكم وسيروا إليه سيراً كريماً .

وقال : المؤمن لا تلقاه إلا فى ثلاث خلال : مسجد يعمره ، أو بيت يستره ، أو حاجة من أمر دنياه لا بأس بها .

وقال : كلنا قد أيقن بالموت ، وما نرى له مستعداً ، وكلنا قد أيقن بالجنة ، وما نرى لها عاملاً ، وكلنا قد أيقن بالنار ، وما نرى لها خائفاً ، فعلى

ما تعرّجون ، وما عسيتم تنظرون ؟ الموت ؟ فهو أول وارد عليكم من الله بخير ، أو بشرّ ، فيا إخوتاه ، سيروا إلى ربكم سيراً جميلاً .

وكان الحسن البصرى يقول : نضحك ولعل الله قد أطّلع على بعض أعمالنا فقال : لا أقبل منكم شيئاً . وبكى يوماً فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : أخاف أن يطرحنى غداً فى النار ، ولا يبالى .

وقال : لقد أدركت أقواماً ما أنا عندهم إلا لص . وقال له شاب : أعيانى قيام الليل ، فقال : قيدتك خطاياك .

وقال : لو أن بالقلوب حياة ، لو أن بالقلوب صلاحاً لأبكتكم من ليلة صبيحتها يوم القيامة ، إن ليلةً تمّخضُ عن صبيحة يوم القيامة ما سمع الخلائق بيوم قط أكثر من عورة بادية ، ولا عين باكية من يوم القيامة .

وقال : إن المؤمن قوّام على نفسه يحاسب نفسه لله عز وجل ، وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم فى الدنيا ، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة ، إن المؤمن يفجؤه الشيء يعجبه ، فيقول : والله ، إنى لأشتهيك ، وإنك لمن حاجتى ، ولكن والله ، ما من صلة إليك ، هيهات هيهات ، حيل بين وبينك ، ويفرط منه الشيء ، فيرجع إلى نفسه فيقول : ما أردت إلى هذا ، مالى ولهذا ؟ والله ، لا أعود لهذا أبداً إن شاء الله . إن المؤمنين قوم أوثقهم القرآن ، وحال بينهم وبين هلكتهم ، إن المؤمن أسير فى الدنيا ، يسعى فى فكاك رقبته ، لا يأمن شيئاً حتى يلقى الله عز وجل ، يعلم أنه مأخوذ عليه فى سمعه وبصره ، ولسانه وجوارحه .

وقال : يا ابن آدم ، إنك ناظر إلى عملك ، يوزن خيره ، وشره ؛ فلا تحقّرن

من الخير شيئاً ، وإن هو صغر ، فإنك إذا رأيته سرّك مكانه ، ولا تحقرن من الشر شيئاً ؛ فإنك إذا رأيته ساءك مكانه ، رحم الله رجلاً كسب طيباً ، وأنفق قصداً ، وقدم فضلاً ليوم فقره ، وفاقته ، هيهات ، هيهات ، ذهبت الدنيا بحال ، وبقيت الأعمال قلائد فى أعناقكم ، وأنتم تسوقون الناس ، والساعة تسوقكم ، وقد أُسرع بخياركم ، فماذا تنتظرون ؟ المعاينة فكأن قَدْ « فكأنها قد حضرت » إنه لا كتاب بعد كتابكم ، ولا نبى بعد نبيكم ، يا ابن آدم ، بعْ دنياك بآخرتك تربحْها جميعاً ، ولا تبيعن آخرتك بدنياك ، فتخسرهما جميعاً .

وكان أبو الشعثاء جابر بن زيد لا يماكس « لا يساوم ، ولا يطلب إنقاص الثمن » فى كل شىء يتقرب به إلى الله عز وجل .

وقال : لأن أتصدق بدرهم على يتيم ، أو مسكين أحبّ إلىّ من حجة بعد حجة الإسلام .

وقال : أبو قُلابة : أىّ رجل أعظم أجراً من رجل ينفق على عيالٍ له صغار يُعفّهم الله به ، ويُغنيهم .

وعن صالح بن رستم قال : قال أبو قلابة : إذا أحدث الله عز وجل لك علماً ، فأحدث له عبادة ، ولا يكن همّك ما يحدث به الناس .

قال : وقال لى : الزم سوقك ؛ فإن الغنى من العافية .

وقال : إذا بلغك عن أخيك شىء تكرهه ، فالتمس له العذر جُهدك ، فإن لم تجد له عذر ؛ فقل فى نفسك ؛ لعل لأخى عذراً لا أعلمه .

وكان رجل بالبصرة من بنى سعد ، وكان قائداً من قواد عبيد الله بن زياد ، فسقط عن السطح ، فانكسرت رجلاه ، فدخل عليه أبو قلابة يعوده ، فقال له : أرجو أن تكون لك خيرة ، فقال له : يا أبا قلابة ، وأى خير فى كسر

رجلىّ جميعاً ؟ فقال : ما ستر الله عليك أكثر ، فلما كان بعد ثلاث ورد عليه كتاب ابن زياد أن يخرج فيقاتل الحسين ، فقال للرسول ، قد أصابنى ما ترى فما كان إلا سبعاً حتى وافى الخبر بقتل الحسين ، فقال الرجل : رحم الله أبا قلابة ؛ لقد صدق ، إنه كان خيرة لى .

ذكر لمسلم بن يسار قلّة التفاته فى الصلاة ، فقال : وما يدريكم أين قلبى ؟ ولقد انهدمت ناحية من المسجد ، ففزع أهل السوق لهدّته ، وإنه لفى المسجد فى صلاة فما التفت .

وكان محمد بن سيرين إذا حدث كأنه يتقى شيئاً ، كأنه يحذر شيئاً ، وحدث رجلاً فقال : ما رأيت الرجل الأسود ، ثم قال : استغفر الله ما أرنى إلا قد اغتبتُ الرجل .

وكانوا إذا ذكروا عند محمد رجلاً بسيئة ذكره محمد بأحسن ما يعلم .

وقال مورق العجلى : ما رأيت رجلاً أفقه فى ورعه ، ولا أورع فى فقهه من محمد بن سيرين .

وكان يمر فى السوق ، فيكبر الناس ، وكان قد أُعطِى هدياً وسمتاً ، وخشوعاً ، فكان الناس إذا رأوه ذكروا الله .

وقال : إذا أراد الله عز وجل بعبداً خيراً جعل له واعظاً من قلبه ، يأمره وينهاه ، وكان إذا سئل عن شيء من الفقه – الحلال والحرام – تغيّر لونه ، وتبدّل حتى كأنه ليس بالذى كان ، ولم يعرض له أمران فى دينه إلا أخذ بأوثقهما ، ولقد ترك ربح أربعين ألفاً فى شيء دخله ، وكان يصوم يوماً ، ويفطر يوماً .

وعن موسى بن المغيرة قال : رأيت محمد بن سيرين يدخل السوق نصف النهار : يكبّر ، ويسبّح ، ويذكر الله عز وجل ، فقال له رجل : يا أبا بكر، في هذه الساعة ؟ قال : إنها ساعة غفلة . وكان إذا دخل على أمه لم يكلمها بلسانه كله تخشعاً لها . ودخل رجل على ابن سيرين وهو عند أمه فقال : ما شأن محمد ؟ يشتكى شيئاً ؟ فقالوا : لا ، ولكن هكذا يكون إذا كان عند أمه .

وقال : ظلمٌ لأخيك أن تذكر منه أسوأ ما تعلم وتكتمُ خيره .

وبعث ابن هبيرة إلى ابن سيرين ، والحسن ، والشعبى ، فدخلوا عليه فقالوا لابن سرين: يا أبا بكر ، ماذا رأيت منذ قربت من بابنا ؟ قال: رأيت ظلماً فاشياً . فغمزه ابن أخيه بمنكبه ، فالتفت إليه ابن سيرين ، فقال : إنك لست تُسأل إنما أسأل أنا. وكان محمد يرى أنها شهادة يُسأل عنها فكره أن يكتمها ، وأعطاه ابن هبيرة ثلاثة آلاف فرفضها ، فقيل له : ما منعك أن تقبل من ابن هبيرة ؟ فقال: إنما أعطانى على خير كان يظنه بى، ولئن كنت كما ظن بى، فما ينبغى لى أن أقبل ، وإن لم أكن كما ظن فبالحرىّ ألا يجوز لى أن أقبل .

وعن عبيد الله بن السرىّ قال : قال ابن سيرين : وإنى لأعرف الذنب الذى حُمل به على الدين ماهو ؟ ، قلت لرجل منذ أربعين سنة : يا مفلس . فحدثت به أبا سليمان الدّارانى فقال : قلّت ذنوبهم ؛ فعرفوا من أين يؤتون ، وكثرت ذنوبى وذنوبك ، فليس ندرى من أين نأتى ، وكان عامة كلامه « سبحان الله العظيم » ، « سبحان الله وبحمده » ، وكان له سبعة أوراد يقرؤها بالليل ، فإذا فاته منها شىء قرأه من النهار ، وسُئل عن الرؤيا فقال : اتق الله عز وجل فى اليقظة ، ولا يضرك ما رأيت فى المنام .

وعن حبيب بن الشهيد قال : كنت أنا وأيوب السختيانى عند عمرو بن

دينار ، فحلف ما رأى أحداً أفضل من طاوس ، فقال أيوب : لو رأى ابن سيرين لم يحلف .

وكان بكر بن عبد الله المُزَنِيّ مجاب الدعوة ، وكان يقول : لا يكون العبد تقياً حتى يكون تقيّ الطمع ، تقيّ الغضب ، وقال : إذا رأيتم الرجل موكلاً بعيوب الناس ناسياً لعيبه ؛ فاعلموا أنه قد مُكر به .

ووقف هو ومطرف بن عبد الله بعرفة ، فقال مطرف : اللهم ، لا تردهم اليوم من أجلى . وقال بكر : ما أشرفه من مقام ، وأرجاه لأجله لولا أنى فيهم وقال : إذا رأيت من هو أكبر منك . فقال : هذا سبقنى بالإيمان والعمل الصالح فهو خير منى، وإذا رأيت من هو أصغر منك ، فقل : سبقته إلى الذنوب والمعاصى ؛ فهو خير منى . وإذا رأيت إخوانك يكرمونك ، ويعظمونك ، فقل : هذا فضلٌ أخذوا به . وإذا رأيت منهم تقصيراً فقل : هذا ذنبٌ أحدثتهُ .

وقال مورق العجلى : ما تكلمتُ بشىء فى الغضب فندمتُ عليه فى الرضا .

وقال : ما وجدت للمؤمن مثلاً إلا مثل رجلٍ فى البحر على خشبة ، فهو يدعو : يارب يارب ، لعل الله عز وجل أن ينجّيه .

وقال : امرٌ أنا فى طلبه منذ عشرين سنة لم أقدر عليه ، ولست بتارك طلبه أبداً . قالوا : وما هو يا أبا المعتمر ؟ قال : الصمت عما لا يعنينى .

وعن جميل بن مرة قال : مستنا حاجة شديدة ، وكان مورق العجلى يأتينا بالصرة ، فيقول : أمسكوا هذه لى عندكم . ثم يمضى غير بعيد ، فيقول : إن احتجتم إليها فأنفقوها .

هيـا بنـا فلا بـد أن نتناصـح والمؤمـن مـرآة أخيــه

بن العلاء بن زياد قال : إنما نحن قوم وضعنا أنفسنا فى النار ، فإن شاء الله أن يخرجنا منها أخرجنا .

وحدث أن رجلاً كان يُرائى بعمله ، فجعل يشمّر ثيابه ، ويرفع صوته إذا قرأ ، فجعل لا يأتى على أحد إلا سبّه ولعنه ، ثم رزقه الله تعالى يقيناً بعد ذلك فخفض من صوته ، وجعل صلاته فيما بينه وبين ربه عز وجل ، فجعل لا يأتى بعد ذلك على أحد إلا دعا له بخير .

وقال العلاء : ليُنزلْ أحدكم نفسه أنه قد حضره الموت ، فاستقال ربه عز وجل ، فأقاله ، فليعمل بطاعة الله عز وجل .

وقال معاوية بن قرة : أدركت سبعين رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ لو خرجوا فيكم اليوم ما عرفوا شيئاً مما أنتم عليه إلا الأذان .

وقال : كنا عند الحسن ، فتذاكرنا : أى العمل أفضل ؟ فكلهم اتفقوا على قيام الليل ، فقلت أنا : ترك المحارم . فانتبه لها الحسن فقال : تم الأمر ، تم الأمر . ولقى رجلاً جاء من عمله ، فقال له : ما صنعت ؟ فقال الرجل : اشتريت لأهلى كذا وكذا . قال : وأصبت من حلال ؟ فقال : نعم . فقال له معاوية : لأن أغدو فيما غدوت به أحبّ إلىّ من أن أقوم الليل ، وأصوم النهار .

وقال قتادة بن دعامة السدوسى : من يتق الله يكن الله معه ، ومن يكن الله عز وجل معه ، فمعه الفئة التى لا تُغلب ، والحارس الذى لا ينام ، والهادى

الذى لا يضل .

وقال : بابٌ من العلم يحفظه الرجل يطلب به صلاح نفسه وصلاح الناس أفضل من عبادة حولٍ كامل .

وقال ثابت البناني : كابدت الصلاة عشرين ، وتنعمت بها عشرين سنة .

وأخبر عن رجل أنه قال يوماً لإخوانه : إنى لأعلم متى يذكرنى ربى عز وجل ؟ قال : ففزعوا من ذلك . فقالوا : تعلم حين يذكرك ربك؟ قال : نعم . قالوا : متى ؟ قال : إذا ذكرتهُ ذكرنى . قال : وإنى لأعلم حين يستجيب لى ربى عز وجل . قال : فعجبوا من قوله ، قالوا : تعلم حين يستجيب لك ربك ؟ قال : نعم . قالوا : وكيف تعلم ذلك ؟. قال : إذا وجل قلبى ، واقشعرّ جلدى ، وفاضت عينى ، وفُتح لى فى الدعاء ، فثمّ أعلم أن قد استجيب لى .

وكان ثابت البنانى يقرأ القرآن فى كل يوم وليلة ، ويصوم الدهر .

وقال إياس بن معاوية : كل رجل لا يعرف عيبه ، فهو أحمق ، قالوا : يا أبا واثله ، ما عليك ؟ قال : كثرة الكلام .

وعن بديل العقيلى قال : من أراد بعلمه وجه الله عز وجل أقبل الله عليه بوجهه ، وأقبل بقلوب العباد إليه ، ومن عمل لغير الله عز وجل صرف الله عنه وجهه ، وصرف قلوب العباد عنه .

وركب أبو ريحانة البحر ، وكان يخيط فيه بإبرة معه ، فسقطت إبرته فى البحر ، فقال : عزمت عليك يارب إلا رددت علىّ إبرتى فظهرت حتى أخذها .

وكان محمد بن واسع مع قتيبه بن مسلم فى جيش ، وكان صاحب خراسان ، وكان الترك خرجت إليهم ، فبعث إلى المسجد ينظر فيه ؟ فقيل له :

ليس فيه إلا محمد بن واسع رافعاً إصبعه « يدعو » فقال قتيبة : إصبعه تلك أحب إليّ من ثلاثين ألف عنان « فرس » . وقال جعفر : كنت إذا وجدت من قلبي قسوة نظرت إلي وجه محمد بن واسع نظرة ، وكنت إذا رأيت وجه محمد بن واسع حسبت أنه وجهه وجه ثكلى .

وكان ابن واسع يقول :لو كان يوجد للذنوب ريح ما قدرتم أن تدنوا مني ، من نتن ريحيى . وكان يقول : واصحاباه ، ذهب أصحابي ، فقلت : يرحمك الله ، أليس قد نشأ شباب يصومون النهار ، ويقومون بالليل ، ويجاهدون في سبيل الله عز وجل ؟ قال : بلى ، ولكن أخّ وتُفْل أفسدهم العجب . وكان يقول : إذا أقبل العبد بقلبه إلى الله عز وجل أقبل الله عز وجل إليه بقلوب المؤمنين .

ودخلوا يوماً على محمد بن واسع يعودونه في مرضه ، فجاء يحيى البكاء يستأذن فقالوا :يحيى البكاء . فقال : إن شر أيامكم يوم نسبتم إلى البكاء .

وقال الفضيل بن عياض :قال مالك بن دينار : إني لأغبطُ الرجل يكون عيشه كفافاً ، فيقنع به . فقال محمد بن واسع : أغبط والله عندى من ذلك أن يصبح جائعاً ، ويمسى جائعاً ، وهو عن الله عز وجل راضٍ .

ورأى محمد بن واسع ابناً له ، وهو يخطر بيده ، فقال :ويحك ! قال : تدرى من أنت ؟ : أمُك اشتريتها بمائتى درهم ، وأبوك فلا أكثر الله فى المسلمين مثْلَه ، تمشى هذه المشية ؟! .

وكان محمد بن واسع يصوم الدهر ، ويُخفى ذلك ، وقال :ما آسى من الدنيا إلا على ثلاث : صاحب إذا اعوججتُ قوّمنى ، وصلاة فى جماعة

يُحمل عنى سهْوهُا ، وأفوز بفضلها ، وقوت من الدنيا ليس لأحدٍ فيه منّة ، ولا لله عز وجل فيه تبعة . ودخل سوق مرْوَ يعرض حماراً له على البيع ، فقال له رجل : أترضاه لى ؟ قال : لو رضيته لك لم أبعْه . ولما ثقل كثر الناس عليه يعودونه ، فقال لبعضهم : ما يُغنى هؤلاء عنى إذا أُخذ بناصيتى . وقدمى غداً ، وأُلقيت فى النار ؟ ثم تلا هذه الآية ﴿ **يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ** (٤١) ﴾ [١] .

ودخلوا عليه وهو يموت ، فقال : يا إخواتى ، يا إخوتاه ، هبونى وإياكم سألنا الله الرجعة ، فأعطاكُموها ، ومنعنيها ، فلا تخسروا أنفسكم .

وكان مالك بن دينار رحمه الله يقول : ما تنعم المتنعمون بمثل ذكر الله تعالى . وقال يوماً : يا حملة القرآن ، ماذا زرع القرآن فى قلوبكم ؟ فإن القرآن ربيع المؤمن ، كما أن الغيث ربيع الأرض . وقد ينزل الغيث من السماء إلى الأرض ؛ فيصيب الحش ؛ فيكون فيه الحبة ؛ فلا يمنعها نتن موضعها أن تهتز ، وتخضر ، وتحسن ، فيا حملة القرآن ماذا زرع القرآن فى قلوبكم ؟ أين أصحاب سورة ، أين أصحاب سورتين ؟ ماذا عملتم فيهما ؟ .

وقال : يا هؤلاء ، جهّالكم كثير ، لولا ذلك للبستُ المسوح ، يا هؤلاء ، لا تجعلوا بطونكم جُرُباً ، « وعاء » للشيطان يُوعِى فيها إبليس ما شاء .

وقال : ينطلق أحدكم فيتزوج ديباجة الحرم ، يعنى أجمل الناس ، أو ينطلق إلى جارية قد سّمنها أبوها ، كأنها زبدة ، فيتزوجها ، فتأخذ بقلبه ، فيقول لها : أىّ شىء تريدين ؟ فتقول : خمار خزٍّ ، فيقول : وأىّ شىء

---

(١) سورة الرحمن الآية « ٤١ » .

تريدين ؟ فتقول : كذا وكذا . قال مالك : فتمرطُ « تنتف » والله دين ذلك القارئ « الفقيه » ، ويدع أن يتزوجها يتيمة ضعيفة ؛ فيكسوها ؛ فيؤجَر ، ويدهنها ؛ فيؤجر . وقال : ما من أعمال البر شيء إلا دونه عقبة ؛ فإن صبر صاحبها أفضتْ به إلى روح ، وإن جزع رجَع .

وقال : منذ عرفت الناس لم أفرح بمدحهم ، ولم أكره مذّمتهم . قيل : ولِمَ ذاك ؟ قال : لأن حامدهم مُفرطِ ، وذامّهم مفرط . ومر والى البصرة بمالك بن دينار يرْفُل « يجر ثوبه ويتبختر » فصاح به مالك : أقلّ من مشيتك هذه . فهمّ خدمُه به ، فقال : دعوه ما أراك تعرفنى . فقال له مالك : ومن أعرف بك منى ، أما أولك : فنطفة مذرة ، وأما آخر : فجيفة قذرة ، ثم أنت بين ذلك تحمل العذرة « الغائط » ؛ فنكس الوالى رأسه ، ومشى .

وقال : قدمت من سفر لى ، فلما صرت بالجسر قام العشّار « الذى يأخذ العشر ضريبة » فقال : لا يخرجن من السفينة ، ولا يقوم أحد من مكانه ؛ فأخذت ثوبى ؛ فوضعته على عنقى ، ثم وثبت فإذا أنا على الأرض . فقال لى : ما أخرجك . قلت : ليس معى شيء . قال : اذهب . فقلت فى نفسى : هكذا أمر الآخرة . وقال : إذا ذُكر الصالحون فأُفٍّ لى وتُفٍّ . ودخل المقابر ذات يوم ، فإذا رجل يُدفن ، فجاء حتى وقف على القبر ، فجعل ينظر إلى الرجل وهو يُدفن ، فجعل يقول ويكرر : مالكٌ غداً هكذا يصير ، وليس له شيء يتوسده فى قبره .

ووقع حريق بالبصرة ، فأخذ مالك بن دينار بطرف كسائه ، وقال : هلك أصحاب الأثقال . « متاع البيت ، وأثاثه الثمين » ، ومرّ تاجر بعشّار « يأخذ العشر ظلماً » فحبسوا عليه سفينته ، فجاء إلى مالك بن دينار ، فذكر ذلك له ، قال : فقام مالك ، فمشى إلى العشار ، فلما رأوه قالوا : يا أبا يحيى ، ألا تبعث

إلينا حاجتك ؟ قال : حاجتى أن تخلّو سفينة هذا الرجل . قالوا : فعلنا . وكان عندهم كُوز يجعلون فيه ما يأخذون من الناس من الدراهم ، فقالوا : ادْعِ الله لنا يا أبا يحيى . قال : قولوا للكوز يدعو لكم ، كيف أدعو لكم وألفٌ يدعون عليكم ؟ أترى أيستجاب لواحد ، ولا يُستجاب لألف ؟ .

وقال : والله لو وقف مالكٌ بباب المسجد ، وقال : يخرج شرُ من فى المسجد لبادرتكم إليه . وقال : إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلّت موعظته عن القلوب ، كما تزلّ القطرة عن الصفا « الصخر الأملس » ، وقال : إنك إذا طلبت العلم لتعمل به كسرك العلم ، وإذا طلبته لغير العمل به لم يزدْك إلا فخراً .

وكانت الغيوم تجىء ، وتذهب ، ولا تمطر ، فقال مالك :أنتم تستبطئون المطر ، وإنما استبطئ الحجارة ، وإن لم تمطر حجارة فنحن بخير . وقال : إن الله جعل الدنيا دار مفرّ ، والآخرة دار مقرّ ؛ فخذوا لمقرّكم من مفرّكم ، وأخرجوا الدنيا من قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم ، ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم ، ففى الدنيا حييتم ، ولغيرها خُلقتم ، إنما مثل الدنيا كالسم أكله من لا يعرفه ، واجتنبه من عرفه ، ومثل الدنيا مثل الحية : مسُّها لين ، وفى جوفها السمّ القاتل ، يحذرها ذوو العقول ، ويهوى إليها الصبيان بأيديهم .

وقال :ما ضُرب عبدٌ بعقوبة أعظم من قسوة القلب ، ورأى رجلاً يسىء صلاته فقال : ما أرحمنى لعياله . فقيل له : يسىء هذا صلاته ، وترحم عياله ؟ قال : إنه كبيرهم ، ومنه يتعلمون . وقال له رجل : يا مرائى ، فقال : متى عرفت اسمى ؟ ما عرف اسمى غيرك ، ودخل اللصوص إلى بيته ؛ فلم يجدوا فى البيت شيئاً فأرادوا الخروج من داره ، فقال مالك : ما عليكم لو صلّيتم ركعتين .

هيا بنا من قبل أن يُرفع القرآن ويُقبض العلم ، ويُخرب الحرم

القرآن لا يزال موجوداً بين أيدينا ، وهذه فرصة عظيمة لنيل الأجر والثواب ، ففى الحديث : [**من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول : آلم حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف**] [١] ، وقال : [**والماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذى يقرأ القرآن وهو يتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران**] [٢] ، وفى الحديث أيضاً : [**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**] ولا يكاد يخلو مسجد ، أو منزل من المصاحف ، وكلنا يعلم ، كيف نُقل القرآن لنا القرآن نقلاً متواتراً ، حفظته السطور والصدور ﴿ **أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَىٰ** ﴾ [٣] ، فلابد من تعاهده من قبل أن يأتى يوم يُسرى عليه فى ليلة ؛ فلا يبقى فى الأرض منه آية : منه بدأ وإليه يعود ، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : لينزعن القرآن من بين أظهركم يسرى عليه ليلاً ؛ فيذهب من أجواف الرجال ؛ فلا يبقى فى الأرض منه شىء [٤] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : يسرى به فى آخر الزمان من المصاحف والصدور ، فلا يبقى فى الصدور كلمة ، ولا فى المصاحف منه حرف [٥] ،

---

(١) صحيح : الترمذى « ٢٩١٠ » وصححه الألبانى فى صحيح الجامع « ٦٤٦٩ » .
(٢) صحيح : متفق عليه ، البخارى « ٤٩٣٧ » ، ومسلم « ٧٩٨ » واللفظ له .
(٣) سورة البقرة الآية « ٢٨٢ » .
(٤) قال ابن حجر : سنده صحيح لكنه موقوف ، ومثله لا يقال بالرأى فحكمه حكم المرفوع .
(٥) جـ ٣ ص ١٩٨ : ١٩٩ مجموع الفتاوى .

وأعظم من هذا أن لا يذكر اسم الله تعالى فى الأرض كما فى الحديث عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : [**لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الأرض : الله ، الله**] (١) ، وقد وردت النصوص توضح كيف أن العلم سيقبض قرب قيام الساعة ، ويبسط الجهل، ويكثر حتى لا يعرف الناس فرائض الإسلام؛ فقد روى حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [**يدرس الإسلام كما يدرس وشى الثوب ، حتى لا يدرى ما صيام ، ولا صلاة ، ولا نسك ، ولا صدقة ، ويسرى على كتاب الله فى ليلة ، فلا يبقى فى الأرض منه آية ، وتبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز يقولون : أدركنا آباءنا على هذه الكلمة يقولون: لا إله إلا الله ؛ فنحن نقولها**] فقال له صلة : ما تغنى عنهم لا إله إلا الله وهم لا يدرون ما صلاة ،ولا صيام ، ولا نسك، ولا صدقة ؟ فأعرض عنه حذيفة ، ثم رددها عليه ثلاثاً كل ذلك يعرض عنه حذيفة، ثم أقبل عليه فى الثالثة فقال: يا صلة ، تنجيهم من النار ثلاثاً] (٢) .

وروى البخارى عن شقيق قال :كنت مع عبد الله ، وأبى موسى فقالا : قال النبى ﷺ : [**إن بين يدى الساعة لأياماً ينزل فيها الجهل ، ويرفع العلم**] (٣) ، قال الذهبى بعد ذكره لطائفة من العلماء « وما أوتوا من العلم إلا قليلاً » ، وأما اليوم فما بقى من العلوم القليلة إلا القليل فى أناس قليل ما أقل من يعمل منهم بذلك القليل ؛ فحسبنا الله ونعم الوكيل .

فبادر رحمك الله بتعلم العلوم النافعة ، وتابعها بأعمال صالحة ، وإذا كان

---

(١) صحيح :مسلم « ١٤٨ » وغيره .
(١) قال ابن حجر : أخرجه ابن ماجه بسندٍ قوى ، وقد صححه الألبانى فى الصحيحة « ٨٧ » .
(٣) صحيح :البخارى : « ٧٠٦٣ » وغيره .

هذا فى العصر الذهبى فما بالك بزماننا هذا ؟ فإنه كلما بعد الزمان من عهد النبوة كلما قل العلم ، وكثر الجهل ، وانتهز فرص البر والخير ، لزيادة الأجر والثواب ، كحياة الوالدين فهما فرصة عظيمة لدخول الجنة ، فمن أصبح له والدان ، أصبح وله بابان مفتوحان إلى الجنة ، إن كانا واحداً فواحد ، فلا تدخر وسعاً فى بر والديك ، واحذر عقوقهما ، واعلم أن أدنى العقوق كلمة « أف » ، وإذا كنا نعيش طغياناً مادياً جارفاً ، تغيرت فيه الموازين وتبدلت ، فلك شأن ، وللناس شأن ، فاحرص على اغتنام الفرص الحقيقية التى تقربك من الله ، وانتهز فرصة وجود الحرم من قبل أن يأتى يوم يُستحل فيه ؛ ولا يستحل البيت الحرام إلا أهله .

فقد روى الإمام أحمد بسنده عن سعيد بن سمعان قال : سمعت أبا هريرة يخبر أبا قتادة أن رسول الله ﷺ قال : [**يبايع الرجل ما بين الركن والمقام ولن يستحل البيت إلا أهله ، فإذا استحلوه ، فلا يسأل عن هلكة العرب ، ثم تأتى الحبشة فيخربونه خراباً لا يعمر بعده أبداً ، وهم الذين يستخرجون كنزه**] (١) ، والروايات فى هذا المعنى كثيرة تدل على أن خراب الكعبة يقع فى آخر الزمان قرب قيام الساعة حين لا يبقى فى الأرض أحد يقول : الله ، الله . فهو حرم آمن ما لم يستحله أهله ، وليس فى قوله تعالى : ﴿ **أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا** ﴾ (٢) ، ما يدل على استمراره الأمن المذكور فيها ، وما يحدث للحرم المكى من خراب يحدث مثله للحرم المدنى ، وذاك قرب قيام الساعة .

---

(١) قال ابن كثير هذا إسناد جيد قوى .
(٢) سورة العنكبوت الآية « ٦٧ » .

ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعـت رسول الله ﷺ يقول : [**يتركون المدينة على خير ماكانت لا يغشاها إلا العوافي - يريد عوافي السباع والطير - وآخر من يحشر راعيان من مزينة يريدان المدينة ، ينعقان بغنمهما ، فيجدانها وحشاً حتى إذا بلغا ثنية الوداع خرا على وجوههما**] (١) .

وروى الإمام مالك عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : [**لتتركن المدينة على أحسن ما كانت حتى يدخل الكلب ، أو الذئب ، فيغذى - أي بول عليها - على بعض سوارى المسجد، أو على المنبر**] ، فقالوا : يارسول الله ، فلمن تكون ثمار ذلك الزمان ؟ قال : [**للعوافي الطير والسباع**] (٢) ، ولا شك أنها أخبار تبعث على الحزن ، ولكنها واقعة وفق خبر الصادق المصدوق ، فاجعل حزنك دافعاً لكل بر ، زاجراً لك عن كل إثم ، وقل لنفسك وللدنيا من حولك : هيا بنا نؤمن ساعة من قبل فوات الأوان ، لعلنا نسعد بها سعادة لا نشقى بعدها أبداً .



---

(١) **صحيح** : البخاري « ١٨٧٤ » ومسلم « ١٣٨٩ » .
(٢) مالك في الموطأ « ١٦٤٣ » .

هيا بنا نؤمن ساعة
فأمرنا يدار الآن على موائد اللئام

عُدنا ضعفاء بعد قوة ، وأذلّة بعد عزة ، ومتفرقين بعد وحدة ، وعاد الأمر غريباً كما بدأ غريباً ، وأُفرق الكتاب عن السلطان ، وتحققت فينا الخصال الخمس التى تعوذ منها رسول الله ﷺ حين قال : [**يا معشر المهاجرين ، خمس خصال إن ابتليتم بهن ، وأعوذ بالله أن تدركوهن ، ما ظهرت الفاحشة فى قوم حتى أعلنوا بها إلا ابتلوا بالطواعين ، والأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم الذين مضوا ، ولا منعوا قوم زكاة أموالهم إلا منعوا القطر « المطر » من السماء، ولولا البهائم لم يُمطروا ، ولا نقص قوم المكيال إلا ابتلوا بالسنين ، وشدة المؤنة ، وجور السلطان ، وما لم ينفذوا عهد الله ، وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدواً ؛ فأخذ بعض ما فى أيديهم، وما لم تعمل أئمتهم بما أنزل الله إلا جعل بأسهم بينهم**] (١) .

لقد حورب الإسلام بيد أبنائه بعد أن كان يُحارب بيد أعدائه ، وأصبح أمره بين جهل الأبناء ، وعجز العلماء ، وفجور الحكام ، وكيد الأعداء ، وكأنه يتيم تلقفته أيدى اللئام ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ما أبعد الفرق بين أمسنا ، ويومنا ، كنا خير أمة أخرجت للناس ، نقول الحق ، ونقيم العدل ، القوى فينا ضعيف حتى يؤخذ الحق منه ، والضعيف فينا قوى حتى يؤخذ الحق له ، الصغير يوقر الكبير ، والكبير يرحم الصغير ، يقول الحاكم فيها للمحكوم : « ولّيت عليكم ، ولست بخيركم؛ فإن أحسنت فأعينونى؛ وإن أسأت فقومونى ،

---

(١) **صحيح** : رواه ابن ماجه « ٤٠١٩ » وغيره ، وصححه الألبانى فى الصحيحة « ١٠٦ » .

أطيعونى ما أطعت الله فيكم ؛ فإن عصيته لا طاعة لى عليكم » .

ويأتى أبو مسلم الخولانى لمعاوية يقول له :اعلم أنك أجير مؤتمن ، فإن أديت أخذت الآجرة وزيادة ، وإن عدلت مع أهل الأرض ، ثم جرت مع رجل واحد مال جورك بعدلك ، واليوم أضعنا الحق والعدل ، وتحكمت الشرعية الدولية ، والنظام العالمى الواحد ، والأمم المتحدة بهيئاتهم المشبوهة ، وقوانينها الكفرية فى البلاد والعباد ، وأصبحنا بدلاً من الرجوع للكتاب والسنة فى حياتنا الخاصة والعامة ، وفى سياستنا الداخلية والخارجية ، نرجع لنظم وضعية ، وقوانين طاغوتية كفرية ، فالميزان الذى تقّيم به الحكام هو ميزان الإنجازات مثل بناء الكوبرى ، والمدرسة ، ورخص الأسعار دون التفات لشرع ، ولا لدين . وأصبحت الشعائر الإسلامية : كالحية ، والحجاب على ندرتها ، وكأنها لا تحدث إلا إذا كان ورائها تمويل أجنبى ، وأن يكون صاحبها قد قبض الثمن ، جنيهات أو ملايين، مادية طاغية تلوثت بها حياتنا ، ولو ذهبت تستقصى لوجدتها ضاربة بأطنابها فى كل ناحية مما آل بنا لمذلة ، ومهانة لا مثيل لها [١] ، فالقدس ، والصومال ، والبوسنة ، وكشمير ، وبورما ، والجمهوريات الإسلامية فى روسيا تستصرخ المسلمين ولا مجيب ، فليس من يحرك ساكناً ، وكيف نؤدى واجبنا تجاه ربنا ، وأنفسنا ، وأخواننا ، وقد تبايعنا بالعينة واتبعنا أذناب البقر ، ورضينا بالزرع ، وتركنا الجهاد ، بل أصبحت كلمة الجهاد تهمة فى الكثير من بلدان المسلمين ، وبالأمس القريب فُتحت عمورية بسبب امرأة استصرخت المعتصم ، لقد أصبح إسلامنا وكأنه يندبنا من مكان بعيد ،من يوم بدر وأُحد ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن**

---

(١) راجع كتابنا : صور من الطغيان المادى المعاصر .

مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤) ﴾ [١] ، نعم لم نضر الله شيئاً ، فمغبة انحرافنا ، نجنى ثمارها المرة ﴿ **وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ** ﴾ [٢] ، وكل مقدمة لها نتيجة ، وكل عقيدة لها تأثير ، وفى الحديث القدسى [**يا عبادى إنكم لم تبلغوا نفعى فتنفعونى ولن تبلغوا ضرى فتضرونى ... يا عبادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك، فلا يلومن إلا نفسه**] [٣]، وإذا كان النصر له أسبابه، فالهزيمة والمذلة لها أسبابها ، وتلمس أسبابها الفشل لا تحتاج لإجهاد كبير ، فهى بادية وواضحة ، ومن جملتها هذا الترف الذى أصاب الأمة جيلاً بعد جيل ، وسنن الله فى المترفين معلومة ﴿ **وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا (١٦)** ﴾ [٤]، وإن كان هذا الترف لم يمنع بقية من صلاح ، وخير وتقى جعلت هارون الرشيد يحج عاماً ، ويغزو عاماً ، ويخاطب السحابة ، ويقول لها : سيرى أينما شئت أن تسيرى، فسيأتينى خراجك ، ويبعث لنقفور ملك الروم ، ويقول له : أما بعد ، فمن هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم فإن الأمر ما ترى لا ما تسمع » .

ولما أراد هرتزل رشوة السلطان عبد الحميد آخر سلاطين الدولة العثمانية بخمسين مليوناً منها مليون جنيه ذهبية لخزانته الخاصة ، وذلك حتى يسمح لليهود بإقامة دولة لهم فى فلسطين ، أجابه عبد الحميد بأن هذه الأرض ليست ملكاً له يتصرف فيها كيف يشاء ، وإنما هى ملك للمسلمين ، وأن دولة

---

(١) سورة آل عمران الآية « ١٤٤ » .
(٢) سورة فصلت الآية « ٤٦ » .
(٣) صحيح : مسلم « ٢٥٧٧ » وغيره .
(٤) سورة الإسراء الآية « ١٦ » .

الخلافة لا يمكن أن تختبئ وراء حصون بنيت بأموال أعداء الإسلام ، ولا ننكر مدى الضعف الذى كان قد مُنيت به دولة الخلافة العثمانية ، وخصوصاً فى أيامها الأخيرة ، فإذا أُضيف إلى الترف تعطيل الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، هذا الفرض الذى ضُيع عبر أزمان كثيرة متطاولة كما قال الإمام النووى ، وعدم قيام الكثير من العلماء بالواجب عليهم تجاه الحكام ، وسائر أبناء الأمة ، وتفشى الجهل وعدم الحرص على طلب العلم ، وانتشار علماء السوء ، والرؤوس الجهال ، وعدم التخطيط ، والإعداد إزاء خطط الأعداء ، فى الوقت الذى زادت فيه وطأتهم ، وتفننوا فى الكيد لهذه الأمة بصور الغزو العسكرى ، والسياسى ، والاقتصادى ، والفكرى ، وصدق فيهم قول ربنا ﴿ **وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا** ﴾ [١] ، ﴿ **وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ** ﴾ [٢] ، ﴿ **يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾ [٣] ، حدث ذلك ولم نأخذ بأسباب عزنا ، ونصرنا ، وقوتنا ، ولم نعد ولا نعد لإيماننا ، بل ارتمينا فى أحضان الشرق تارة ، وفى أحضان الغرب تارة أخرى ، وكنا كالمستجير من الرمضاء بالنار أو .

كالعير يقتله الظمأ والماء فوق ظهوره محمول

أعمل فينا الأعداء سياسة « فرق تسد » ، فخرج هذا ينادى بقومية ، والثانى باشتراكية والثالث بفرعونية ، والعاشر ببعثية ، وكأننا لا نعرف لنا ديناً ، وأصبح كل واحد منا بمثابة كيان قائم بذاته ، أو جزيرة مستقلة لا يُمت لجسد الأمة بصلة ، والسنن لا تعرف المحاباة ﴿ **وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ** ﴾ [٤] .

---

(١) سورة البقرة الآية « ٢١٧ » .
(٢) سورة البقرة الآية « ١٢٠ » .
(٣) سورة الأنفال الآية « ٣٦ » .
(٤) سورة الأنفال الآية « ٤٦ » .

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسراً وإذا افترقن تكسرت آحاداً

فالفرقة نذير ضعف ، وشرِ هوان ، تباعدنا كثيراً عن مثل ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام ، وفشت فينا عقائد الصوفية والمرجئة ، فلكى نعيش حياة الإيمان لابد وأن ندخل الخرائب !! ونعيش على طعام واحد ، ونترك النظافة..!.

وأصبحت الكثرة تعيش بالنوايا الطيبة ، وقد فصلت العلم عن العمل ...!! فكيف ننتصر على الأعداء ،وهذا حالنا لا ينفك عنا اللهو واللعب وعدم الجدية فى رؤية الواقع ، ونحن على قدر حكامنا ﴿ **وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴿١٢٩﴾ ﴾ [(1)] ، وكما قال ابن القيم رحمه الله : « نحن فى زمان لا يصلح أن يولى علينا فيه عمر بن عبد العزيز ، ولا معاوية بن أبى سفيان فضلاً عن الشيخين أبى بكر وعمر » . تولت قيادات متهمة فى دينها ، عميلة لأى شىء إلا لشرع ربها كمصطفى كمال أتاتورك الذى برز عندما كانت إنجلترا على وشك الدخول لدولة الخلافة ، فتراجعت أمامه ، ورجع هو بمظهر البطل الفاتح مما جعل شوقى ينشد يقول :

الله أكبر كم فى الفتح من عجب يا خالد الترك جدد خالد العرب

وكان أول ما فعله أتاتورك ، إلغاء الخلافة الإسلامية ، وتحويل تركيا من دولة إسلامية إلى دولة علمانية لا دينية ، وارتدى القبعة ، وحول اللغة العربية إلى اللغة التركية حتى فى الآذان ، وتحولت المساجد إلى المتاحف ، وكان لا يرى إلا وهو مخمور ، ثم لم تقف به الخيانة عند هذا الحد ، بل عرض حكم

---

(١) سورة الأنعام الآية « ١٢٩ » .

تركيا على المندوب السامى البريطانى عندما كان على فراش الموت ، ولكن المندوب السامى رفض بلباقة خشية افتضاح العمالة ، وهل نستبعد ذلك على أحد يهود الدونمة ، وتشبه بهذا الخبيث كثير ممن تحكموا فى رقاب البلاد والعباد ، وكانوا لا يخجلون من التصريح بأن أتاتورك هو أسوتهم وقدوتهم . هذه هى بعض الأسباب التى تعكس لك حجم الهوة والغربية بين أمسنا ويومنا ، وكل ذلك لا يدعو لليأس ، ولا للقنوط من رحمة ، فالإسلام آت لا ريب فى ذلك ، وأنت على وعد بنصر الله ، ولكن لا بد من : صبر ، يقين ، وعمل جاد دؤوب ، نصل به الأرض بالسماء ، والدنيا بالآخرة ، وتتسع صدورنا ، وعقولنا ، وآمالنا باتساع دعوى الإسلام ؛ ونعود بالمسجد لسيرته الأولى فى بناء الأجيال المسلمة التى تقيم الحق ، والعدل ، وتطبيق شرع الله فى دنيا الناس ، نبنى، ولا نهدم ، ونوحد ولا نفرق ، ونصلح ولا نفسد ، بحق ننتقل من ضعف إلى قوة ، ومن قوة إلى قوة ، مستعينين بخالق الأرض والسموات ، ومحتسبين الأجر عنده سبحانه ﴿ **وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥)** ﴾ [١] ، وما ذلك على الله بعزيز إن نحن ارتفعنا لمستوى إسلامنا ، وديننا ، وشغلنا عمرنا بطاعة ربنا . فلا نستكثر وقتاً نبذله فى سبيل ذلك ، وهيا بنا نؤمن ساعة .



---

(١) سورة الروم الآيات « ٤ ، ٥ » .

هل تحتاج إلى مزيد ؟

كان أيوب السختيانى يقول : إن قوماً يريدون أن يرتفعوا فيأبى الله إلا أن يضعهم ، وآخرين يريدون أن يتواضعوا ويأبى الله إلا أن يرفعهم .

وعن حماد بن زيد قال : كنت أمس مع أيوب فيأخذ فى طرق - إنى لأعجب له كيف يهتدى لها - فراراً من الناس أن يقال : هذا أيوب .

وكان يقوم الليل ويُخفى ذلك ، فإذا كان قبيل الصبح رفع صوته كأنه إنما قام تلك الساعة .

... يقول : إذا ذكر الصالحون كنت منهم بمعزل ، وقال له رجل يوماً : أوصنى . فقال : أقِلّ الكلام .

وعن حماد بن زيد قال : لو رأيتم أيوب ثم استسقاكم شربة من ماء على النسك لما سقيتموه ؛ له شعر وافر ، وشارب وافر ، وقميص جيد هرويّ يشم الأرض ، وقلنسوة جيدة ، وطيلسان جيد ، ورداء عدنى .

وقال أيوب : لا ينبُل الرجل حتى تكون فيه خصلتان : العفة عما فى أيدى الناس ، والتجاوز عما يكون منهم . وآذى رجل أيوب السختيانى وأصحابه أذىً شديداً ، فلما تفرقوا قال أيوب : إنى لأرحمه ؛ أنا نفارقه ، وخُلُقه معه .

وقال حماد : رأيت أيوب لا ينصرف عن سُوقه إلا معه شىء يحمله لعياله ، حتى رأيت قارورة الدهن بيده يحملها ، فقلت له فى ذلك فقال : إنى سمعت الحسن يقول : إن المؤمن أخذ عن الله عز وجل أدباً حسناً ، فإذا أوسع عليه أوسع ، وإذا أمسك عنه أمسك .

وقال حماد :ما رأيت رجلاً قط أشدّ تبسماً فى وجوه الرجال من أيوب .

وقال رجل من أهل الأهواء لأيوب :ألا أكلمك بكلمة ؟ قال : لا ولا نصف كلمة . وقال : ما ازداد صاحب بدعة اجتهاداً إلا زاد من الله عز وجل بُعداً .

وقال :إنه ليبلغني موت الرجل من أهل السُّنة ، فكأنما يسقط عضو من أعضائى . وكان ربما حُدّث بالحديث فيرقّ ؛ فيلتفت فيتمخط ويقول : ما أشد الزكام .

وكان يطلب العلم حتى مات .

وقال رحمه الله :والله ، ما صدق عبد إلا سرّه أن لا يشعر بمكانه .

وعن حماد بن سلمة قال : ما أتينا سليمان التيمى فى ساعة يُطاع الله عز وجل فيها إلا وجدناه مطيعاً ، فإن كان فى ساعة صلاة وجدناه مصلياً ، فإن لم يكن ساعة صلاة وجدناه إما متوضئاً ، أو عائداً مريضاً ، أو مشيّعاً لجنازة ، أو قاعداً يسبّح فى المسجد . قال : فكنا نرى أن لا يُحسن أن يعصى الله عز وجل .

وقال الفضيل بن عياض :قيل لسليمان التيمى : أنت أنت من مثلك ؟ قال : لا تقولوا هكذا ، لا أدرى لا تقولوا هكذا ، لا أدرى ما يبدو لى من ربى عز وجل ؟ سمعت الله تعالى يقول : ﴿ **وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ** ﴾ (١) .

وصلى يوماً العشاء الآخرة ثم قرأ : ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ** ﴾ (٢) ،

---

(١) سورة الزمر الآية « ٤٧ » .
(٢) سورة الملك الآية « ١ » .

فلما أتى على هذه الآية﴿ **فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا** ﴾ (١) ، جعل يرددها حتى خف أهل المسجد وانصرفوا ، وظل هو فى مقامه حتى طلع الفجر لم يجزْها وهو يقول :﴿ **فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا** ﴾ . وقال سليمان : إن الرجل ليذنب الذنب ؛ فيصبح وعليه مذلته .

وقال لابنه حين حضره الموت : يا معتمر ، حدثنى بالرخص لعلى ألقى الله عز وجل وأنا حسن الظن به .

وعن جعفر بن برقان قال : بلغنى عن يونس بن عبيد فضل ، وصلاح ، فكتبت إليه : يا أخى ، بلغنى عنك فضل وصلاح ، فأحببت أن أكتب إليك ، فاكتب إلىّ بما أنت عليه . فكتب إلىّ : « أتانى كتابك ؛ تسألنى أكتب إليك بما أنا عليه ، وأخبرك أنى عرضت على نفسى أن تحب للناس ما تحب لها ، وأن تكره لهم ما تكره لها ؛ فإذا هى من ذلك بعيد ، ثم عرضت عليها مرة أخرى ترك ذكرهم إلا من خير ، فوجدت الصوم فى اليوم الحار الشديد الحر بالهواجر بالبصرة أيسر عليها من ترك ذكرهم ، هذا أمرى يا أخى والسلام » .

ولم يكن يونس بأكثرهم صلاة، ولا صوماً ، ولكن ما حضر حق من حقوق الله عز وجل إلا وهو متهيىء له ، ونظر يونس إلى قدميه عند موته فبكى، فقيل له : ما يبكيك يا أبا عبد الله ؟ قال : قدماى لم تغبّرا فى سبيل الله عز وجل . وقال : يوماً إنك تكاد تعرف ورع الرجل فى كلامه إذا تكلم . وجاء رجل إلى يونس بن عبيد، فشكا إليه ضيقاً فى حاله ومعاشه ، واغتماماً منه بذلك ، فقال له يونس : أيسرك ببصرك هذا الذى تبصر به مائه ألف؟ قال: لا .

---

(١) سورة الملك الآية « ٢٧ » .

قال : فسمعك الذى تسمع به يسرك به مائة ألف ؟ قال : لا . قال : فؤادك الذى تعقل به يسرك به مائة ألف ؟ قال : لا . قال : فيداك يسرك بهما مائة ألف ؟ قال : لا . قال : فرجلاك ؟ : فذكره نعم الله عز وجل عليه ، فأقبل عليه يونس ، فقال : أرى لك ألوفاً وأنت تشكو الحاجة .

وجاءت يونس بن عبيد امرأةٌ بجبة خز ، فقالت له : اشترها . فقال : بكم تبيعينها ؟ قال : بخمس مائة . قال : هى خير من ذلك . قالت: بستمائة قال : هى خير من ذلك . فلم يزل يقول : هى خير من ذلك حتى بلغت ألف ، وقد بذلتها بخمس مائة . وقال يونس : خصلتان إذا صلحتا من العبد صلح ما سواها من أمره : صلاتُه ، ولسانه . وقال : ما أهمّ رجلاً كسبه إلا أهمّه أين يضعه .

وقال : مالى تضيع لى الدجاجة فأجد لها « أحزن لها » ، وتفوتنى الصلاةفلا أجد لها ! وقال : ما من الناس أحد يكون لسانه منه على بال إلا رأيت ذلك صلاحاً فى سائر عمله . وقال : ما شبّهت الدنيا إلا كرجل نائم ، فرأى فى منامه ما يكره وما يحب ، فبينما هو كذلك إذا انتبه ، وقال : إنى لأعرف مائة خصلة من البر ما فىّ منها واحدة . وقال : احفظوا عنىّ ثلاثاً ؛ متُّ أو عشتُ : لا يدخلن أحدكم على سلطان يعظه ، ولا يخلُ بامرأة شابة وإن أقرأها القرآن ، ولا يمكّن سمعه من ذى هوى ، وكأنه رآها فتنة ومفسدتها راجحة . وقال يحيى القطان عن عبد الله بن عوان : ما ساد ابن عونٍ الناس أنْ أتركهم للدنيا ، ولكن ابن عون إنما ساد الناس بحفظ لسانه .

وقال بكار بن محمد: صحبت ابن عون دهراً من الدهر حتى مات، وأوصى إلى أبى ، فما سمعته حالفاً على يمين برة ولا فاجرة حتى فرّق بيننا الموت .

وقيل لابن المبارك ، ابن عون بما انتفع ؟ قال : بالاستقامة .

وكان ابن عون لا يغضب : إذا أغضبه الرجل قال : بارك الله فيك .

وقال يوماً : لو أن رجلاً انقطع إلى هؤلاء الملوك فى الدنيا لانتفع ، فكيف بمن ينقطع إلى من له السموات والأرض ، وما بينهما ، وما تحت الثرى ؟ . وقال : لن يصيب العبدُ حقيقة الرضا حتى يكون رضاه عند الفقر كرضاه عند الغنى، كيف تستقضى الله فى أمرك ، ثم تسخط إن رأيت قضاءه مخالفاً لهواك ؟ ولعل ما هويت من ذلك لو وفق لك فيه هلكك ، وترضى قضاءه إذا وافق هواك ؟ ما أنصفت من نفسك ، ولا أصبت الرضا .

وقدم ابن المبارك قدمه فقيل له : إلى أين تريد ؟ قال : إلى البصرة . قيل له : من بقى ؟ قال : ابن عون آخذُ من أخلاقه ، آخذ من آدابه .

وكان حبيب أبو محمد يقول : لا تعقدوا فراغاً ؛ فإن الموت يليكم . وقال : إن من سعادة المرء إذا مات ماتت معه ذنوبه .

وروى عبد الواحد بن زيد قال : كنا عند مالك بن دينار ، ومعنا محمد بن واسع ، وحبيب أبو محمد . فجاء رجل ، فكلّم مالكاً ؛ فأغلظ فى قسمة قسمها ، وقال : وضعتها فى غير حقها ، وتتبعت بها أهل مجلسك ، ومن يغشاك ؛ لتكثر غاشيتك « من يلتف حوله من الناس » وتصرف وجوه الناس إليك ، قال : فبكى مالك ، وقال : والله ، ما أردت هذا ، قال : بلى والله ، لقد أردت هذا . فجعل مالك يبكى والرجلُ يغلظ له . فلما كثر ذلك عليهم رفع حبيب يديه إلى السماء ، ثم قال : اللهم إن هذا قد شغلنا عن ذكرك ؛ فأرحنا منه كيف شئت . قال : فسقط – والله – الرجل على وجهه ميتاً ، فحُمل إلى أهله على سرير ، وكان يقال : إن أبا محمد مُستجاب الدعوة .

وعند موته رحمه الله جعل يقول: أريد أن أسافر سفراً ما سافرته قطّ ، أريد أن أسلك طريقاً ما سلكته قط ، أريد أن أزور سيدى ومولاى ، وما رايته قط ، أريد أن أشرف على أهوال ما شاهدت مثلها قط ، أريد أن أدخل تحت التراب ، فأبقى تحته إلى يوم القيامة ، ثم أوقف بين يدى الله ، فأخاف أن يقول لى : يا حبيب ، هات تسبيحة واحدة سبحتْنى فى ستين سنة لم يظفرك بك الشيطان فيها بشىء . فماذا أقول وليس لى حيلة أقول : يارب ، هو ذا قد أتيتك مقبوض اليدين إلى عنقى .

وكان عطاء السليمى يقول : رب ارحم فى الدنيا غربتى ، وفى القبر وحدتى ، وطول مقامى غداً بين يديك .

وكان يقول : غداً عطاءُ فى القبر . وكان يمس جسده بالليل خوفاً من ذنوبه ، مخافة أن يكون قد مُسخ . ودخلوا عليه يوماً ، فلما رآهم كأنه خاف أن يدخله شىء ؛ لكثرتهم ؛ فقال : اللهم ، لا تمقتنا . أو : اللهم ، لا تمقتنى . ثم قال : سمعت جعفر بن زيد يقول : مر رجل بمجلس فأثنوا عليه خيراً ، فلما جاوزهم قال : اللهم ، إن كانه هؤلاء لا يعرفوننى ؛ فأنت تعرفنى .

وعند موته جعل يقول : التمسوا لى هذه الأحاديث فى الرُّخص ؛ عسى الله أن يروح عنى بعض ما أنا فيه من الغمّ .

وكان شميط بن عجلان يقول : رأس مال المؤمن دينه ، حيثما زال معه لا يخلفُه فى الرجال ، ولا يأمن عليه الرجال .

وقال : من جعل الموت نُصب عينيه لم يبال بضيق الدنيا ، ولا بسعتها . وقال : إن الله عز وجل وسم الدنيا بالوحشة ؛ ليكون أنس المطيعين به .

وكان يقول فى مواعظه : إذا أصبحت آمناً فى سربك « أهلك » ، معافاً

فى بدنك ، عندك قوت يومك ، فعلى الدنيا العفاء ، وعلى من يحزن عليها .

إن المؤمن يقول لنفسه :إنما هى ثلاثة أيام : فقد مضى أمس بما فيه ، وغداً أمل لعلك لا تدركه ، إنما هو يومك هذا فإن كنت من أهل غدٍ فسيجىء رب غدٍ برزق غد ، إن دون غدٍ يوماً وليلة تخترم « تموت » فيه أنفس كثيرة ؛ فلعلك المخترم فيه ، كفى كل يوم همُّه ، ثم حملت على قلبك الضعيف همّ السنين ، والدّهور ، والأزمنة ، وهمّ الغلاء ، والرُّخص ، وهمّ الشتاء قبل أن يجىء ، وهمّ الصيف قبل أن يجىء ، فماذا أبقيت من قلبك الضعيف للآخرة ؟ ما تطلب الجنة بهذا ، متى تهرب من النار ؟ كل يوم ينقص من أجلك ، ثم لا تحزن ، أُعطيت ما يكفيك ، وأنت تطلب ما يُطغيك لا بقليل تقنع ، ولا من كثير تشبع ، فكيف لا يستبين للعالم جهله ، وقد عجز عن شكر ما هو فيه ، وهو مُفتنٌ فى طلب الزيادة ؟ أم كيف يعمل للآخرة من لا تنقضى من الدنيا شهوته ، ولا تنقطع عنها رغبته ، فالعجب كل العجب لمن صدّق بدار الحيوان ، كيف يسعى لدار الغرور . وكان يقول ؟ إن أولياء الله آثروا رضا ربهم تعالى على هوى أنفسهم ، فأرغموا أنفسهم كثيراً فى رضا ربهم ؛ فأفلحو والله ، وأنجعوا ، وإن المنافق عبدُ هواه ، وعبدُ بطنه ، وعبدُ فرجه ، وعبد جلده ، عبد الدنيا ، وعبد أهل الدنيا ، وكان يقول : الناس رجلان : فمتزود من الدنيا ، فلأى شيء تحبه ؟ أن تطيع الله عز وجل ، وتحسن عبادته ، وتتقرّب إليه بالأعمال الصالحة ؟ فطوبى لك ، أم لتأكل وتشرب ، وتلهو ، وتلعب ، وتجمع الدنيا ، وتثمرها ، وتنعم زوجتك ، وولدك ؟ فلبئس ما أردت له البقاء .

وكان يقول إذا وصف المؤمنين: أتاهم عن الله تبارك وتعالى أمر وقذهم[١] ، عن الباطل ؛ فأسهروا الأعين ، وأجاعوا البطون ، وأظمأوا الأكباد ، وأنفقوا الأموال ، واهتضموا التالد والطارف فى طلب ما يقرّ بهم إلى الله عز وجل ، وفى طلب النجاة مما خوّفهم به .

وكان يقول : إن المؤمن اتخذ كتاب الله عز وجل مرآة ، فمرةً ينظر إلى ما نعت الله عز وجل به المؤمنين ، ومرة ينظر إلى ما نعت الله عز وجل المغترين ، ومرة ينظر إلى الجنة ، وما وعد الله عز وجل ، ومرة ينظر إلى النار ، وما أعدّ الله عز وجل فيها ، تلقاه حزيناً كالسهم المرمى به شوقاً إلى ما شوقه الله عز وجل إليه ، وهرباً مما خوفه الله عز وجل منه .

وكان يقول: بلغنا أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام : يا داود ألا ترى إلى المنافق كيف يخدعنى وأنا أخدعه ؟ يسبّحنى ، ويوقر بلسانه ، وقلبه منى بعيد ، يا داود قل للملأ من بنى إسرائيل : لا يدعونى والخطايا فى أضبانهم[٢] ؛ ليضعوها ؛ ثم ليدعونى استجب لهم .

وكان يقول : اللهم اجعل القليل من الدنيا يكفينا ، كما يكفى الكثير أهله ، اللهم ، ارفع رغبتنا إليك ، واقطع رجاءنا ممن سواك ، اللهم ، اجعل طاعتك ألذّ عندنا من الطعام عند الجوع ، ومن الشراب عند الظمأ ، اللهم ، اجعل غفلة الناس لنا ذكراً ، ومرح الناس لنا شكراً ، اللهم ، إذا تنعم المتنعمون بالدنيا ؛ فاجعلنا نتنعم بذكرك .

وكان يقول : بالدراهم والدنانير أزمة « زمام » المنافقين تقودهم إلى

---

(١) قذهم : « صرفهم بشدة » .
(٢) أضنابهم : « ما بين الكسح والإبط » .

السّوءات .

وكان يقول :تلقى أحدهم عنده فضول « ما يزيد على حاجته من الطعام والشراب » يغلق بابه دون جاره ، وذوى رحمه ، ثم يخرج على القوم يحدثهم بما أكل وشرب ، ولعل جاره الفقير وذا رحمه المحتاج يكون فى القوم يسمع ما يقول ، ويحك ! ما كفاك أن أغلقت بابك دونه ، فلم تواسه ولم تذكره حتى خرجت ، فأخبرته بما أكلت وشربت ؟ فإذا أنت قد جمعت إساءة بعد إساءة .

وكان يقول :إن المؤمن أبصر الدنيا ، فأنزلها منزلتها ، فإن هى أقبلت عليه قال : لا مرحباً ، ولا أهلاً ، والله ، ما أراك جئت بخير ، وما فيك من خير إلا أن تطلب بك الجنة ، ويُفتدى بك من النار ، فإن هى أدبرت عنه قال : عليك العفاء ، وعلى من يتبعك ، والحمد لله الذى خار لى ، وصرف عنى فتنتك ، وشغلك .

وكان يقول :إذا وصف أهل الدنيا : حيارى ، سُكارى ، فارسهم يركض ركضاً ، وراجلهم يسعى سعياً ، لا غنيهم يشبع ولا فقيرهم يقنع .

وكان يقول :إذا وصف المقُبل على الدنيا ، ذئبٌ البطنة ، قليل الفطنة ، إنما همه بطنه ، وفرْجه ، وجلده ، متى أُصبح ؟ فآكل ، وأشرب ، وألهو ، وألعب ، متى أمسى فأنام ، جيفة بالليل ، بطّال بالنهار ، ويحك ؟ ألهذا خُلقت ؟ أم بهذا أمرت ؟ أم بهذا تطلب الجنة ، وتهرب من النار ؟ .

وكان يقول : إن العافية سترت البر والفاجر ، فإذا جاءت البلايا استبان عندها الرجلان ، فجاءت البلايا إلى المؤمن ، فأذهبت ماله ، وخَادمه ، ودابتّه حتى جاع بعد الشبع ، ومشى بعد الركوب ، وخدم نفسه بعد أن كان

مخدوماً ، فصبر ورضي بقضاء الله عز وجل ، وقال : هذا نظر من الله عز وجل لي ، هذا أهون لحسابي غداً ، وجاءت البلايا إلى الفاجر ؛ فأذهبت ماله ، وخادمه ، ودابته ، فجزع ، وهلع ، وقال : والله ، مالي بهذا طاقة ، والله لقد عودت نفسي عادةً عنها صبر من : الحلو ، والحامض ، والحار ، والبارد ، ولين العيش ، فإن هو أصابه من الحلال ، وإلا طلبه من الحرام والظلم ، ليعود إليه ذلك العيش ، وكان يقول : إنسانان معذّبان في الدنيا : غنيّ أعطى دنيا فهو بها مشغول ، وفقير زوِيَتْ عنه فهو يتبعها نفسه ، فنفسه تقطّع عليها حسرات .

وكان يقول : الناس ثلاثة : فرجل ابتكر الخير في حداثة سنّه ، ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا ، فهذا المقرّب ، ورجل ابتكر عُمره بالذنوب ، وطول الغفلة ، ثم راجع توبة ، فهذا صاحب يمين ، ورجل ابتكر الشرّ في حداثة سنّه ثم لم يزل فيه حتى خرج من الدنيا ، فهذا صاحب شمال .

وكان يقول : أيها المغتر بطول صحته ، أما رأيت ميتاً قط من غير سقم ؟ أيها المغتر بطول المهلة ، أما رأيت مأخوذ قط من غير عدة ، أبالصحة تغترون ؟ أم بطول العافية تمرحون؟ أم بالموت تأمنون ؟ أم على ملك تجترئون ؟ إن ملك الموت إذا جاء لم يمنعه ثروة مالك ، ولا كثرة احتشاءك ، أما علمت أن ساعة الموت ذا كربٍ شديد ، وغُصصَ ، وندامة على التفريط ؟ ثم يقول : رحم الله عبداً عمل لساعة الموت ، رحم الله عبداً تجمل لما بعد الموت ، رحم الله عبداً نظر لنفسه قبل نزول الموت .



الخاتمة

اللهم اجعل خير أعمالنا خواتيهما ، وخير أعمارنا أواخرها ، وخير أيامنا يوم نلقاك ، الحكمة ضالة المؤمن : أينما وجدها التقطها ، عساه ينتفع بها ، وينفع بها الآخرين ، والحق مقبول من كل من جاء به ، وقد أوردت طرفاً من ذلك ، يصور لك حياة القوم فى : صلاتهم ، وصيامهم ، وفى علمهم ، وعملهم ، وفى تعاملهم مع الله ، ومع النفس ، والناس ، وكيف أنابوا إلى ربهم ، وآثروا الآخرة ، فأتتهم الدنيا راغمة ، وكيف أخرجوا الدنيا من قلوبهم ، ووضعوها فى أيديهم ؛ فلم ينقصهم ربهم شيئاً ، رأوا أعمال الكفار ناقصة ؛ فلم يأبهوا بها ، ولم يلتفتوا لها ، فلما تحروا الحلال ، وصانوا البصر عن الحرام ، أُطلعت فراستهم ، وغدت أقوالهم النورانية ، وتراجمهم ، وسيرهم العطرة تذكرة ، وعبرة لأولى الألباب ، وخصوصاً فى وقت عاد فيه الإسلام غريباً ، وطغت المادة على العقول والقلوب ، وأُشْربنا فيه حبُ الدنيا ، وكراهية الموت ؛ ولذلك كانت المذلة والمهانة ، وأصبحنا فى ذيل الأمم ، لما تباعدنا عن حياة الإيمان ، فهل سد الترف ، وزخرف الحياة وزينتها جوعة النفس ؟ ... كلاً ، وهل هدأت النفس ، وسعد القلب بكثرة الشهوات؟ إن الإجابة معلومة ، تراها فى نفسك ، ونفوس الناس ﴿ **فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا** ﴾ [(١)] ، وكأن القوم قد نصبوا الوعيد من الله أمامهم ؛ فنظرت إليه قلوبهم بتصديق ، وتحقيق فهم ، والله فى

---

(١) سورة طه الآيات « ١٢٣ ، ١٢٤ » .

الدنيا منغّصون ، ووقفوا ثواب الأعمال الصالحة خلف ذلك ، فمتى سمت أبصار القلوب إلى ثواب الأعمال تشوقت القلوب ، وارتاحت إلى حلول ذلك ، فهم والله إلى الآخرة متطلعون ، بين وعيد هائل ، ووعد حق صادق ، لا ينفكون من خوف وعيد إلا رجعوا إلى شوق موعود ، فهم كذلك ، وعلى ذلك ، فى الموت جُعلت لهم الراحة :

إن لله عباداً فطناً　　طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا

نظروا فيها فلما علموا　　أنها ليست لحيى وطنا

جعلوها لجة واتخذوا　　صالح الأعمال فيها سفناً

أخمصوا له البطون « أجاعوها » عن مطاعم الحرام ، وغضوا له الجفون عن مناظر الآثار ، وأهملوا له العيون لما اختلط عليهم الظلام ؛ رجاء أن ينير لهم قلوبهم إذا تضمهم الأرض بين أطباقها ، فهم فى الدنيا وجلون ، وإلى الآخرة متطلعون ، نفذت أبصار قلوبهم بالغيب إلى الملكوت ؛ فرأت فيه ما رجت من عظيم ثواب ؛ فازدادو الله بذلك جداً واجتهاداً عند معاينة أبصار قلوبهم ما انطوت عليه آمالهم ، فهم الذين لا راحة لهم فى الدنيا ، وهم الذين تقرّ أعينهم غداً بطلعة ملك الموت عليهم .

ونحن كما قال الربيع بن عبد الرحمن : قطعتنا غفلة الآمال عن مُبادرة الآجال ، فنحن فى الدنيا حيارى ننتبه من رقدة إلا أعقبتنا فى أثرها غفلة ، فيا إخوتاه نشدتكم بالله ؛ هل تعلمون مؤمناً بالله أغر « أكثر جهلاً » ، ولنقمته أقل حذراً من قوم هجمت بهم العبر على مصارع النادمين؛ فطاشت عقولهم ، وضلّت حلومهم مما رأوا العِبَر والأمثال ، ثم رجعوا عن ذلك إلى غير قلعة ، ولا

نقلة ؟ فبالله يا إخوتاه ، هل رأيتم عاقلاً رضى من حاله لنفسه بمثل هذا حالاً ؟ والله يا عباد الله ، لتُبلغُنّ من طاعة الله ورضاه ، أو لتنكرن به ما تعرفون من حسن بلائه ، وتواتر نعمائه ، إن تُحسن أيها المرء يُحسن إليك ، وإن تُسيء فعلى نفسك بالعتب ؛ فارجع فقد بيّن ، وحذر ، وأعذر ، فما للناس على الله حجة بعد الرسل ، وكان الله عزيزاً حكيماً ، رضيت لنفسك ، وأنت الحُوّل القُلّب ، أن تعيش عيش البهائم ، نهارك هائم ، وليلُك نائم ، والأمر أمامك جدٌ ، ابن آدم إنما أنت جثّة منتنة ، طيّب نسيمك ، ما ركّب فيك من روح الحياة ، فلو قد نزع منك روحك ألقيتَ جثةً ملقاة وجيفة مُنتنة ، وجسداً خاوياً ، قد جيّف « أنتن » بعد طيب رائحة ، واستوحش منه بعد الأنس بُقربه ، أى الخليقة منك أعجب ؟ إذ كنت تعلم أن هذا مصيرك ، وأن التراب مقيلك ، ثم أنت بعد هذا – لطول جهلك – تقرّ بالدنيا عيناً ، أسمعته يقول : ﴿ **فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (١٩)** ﴾ [(١)] ، أما والله ما حداك على الصبر والشكر إلا لعظم ثوابهما عنده لأوليائه ، فمن أعظم منك غفلةً ، أو من أطول فى القيامة منك حسرة ، إذ كنت ترغب عما رغب لك فيه مولاك ، وأنت تقرأ فى الليل والنهار : ﴿ **فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ** ﴾ [(٢)] ، وإذا كان العلم رحم بين أهله ، والدين النصيحة ، فلا أغالى إذا قلت لك : نحن بحاجة لإعادة صياغة حتى نُحسن التأسى بخير القرون ، ونقتدى بمثل ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام .

وكل خير فى اتباع من سلف ... وكل شر فى ابتداع من خلف

---

(١) سورة سبأ الآية « ١٩ » .

(٢) سورة الحج الآية « ٧٨ » .

نحن بحاجة لعلو الهمة ، وأن نرتفع لمستوى إسلامنا ، وديننا ، ولا ننخدع بزخرف فان ، وعارية مسترجعة ، ودنيا لا بقاء لها ، ولا وفاء ، وننصبغ بصبغة الإسلام ، ونحيا حياة الإيمان ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)** ﴾[1] ، فهيا بنا نتعرف على أحكام الشريعة حتى تكون على بصيرة من أمرنا ، وأمر الناس ، وهيا بنا لنخلط الرغبة بالرهبة ، والإلحاف بالمسألة ، ونتابع العلم النافع بعمل صالح ، ونقدم الأهم على المهم في: العلم ، والعمل ، والدعوة إلى الله ، ونخاطب الناس على قدر عقولهم ، ونصلح دنياً الناس بدين الله ، حتى ننتقل نحن وهم من هذه الدار بسلام إلى دار السلام .

هيا بنا نؤمن ساعة ؛ فإن القلب أسرع تقلباً من القدر إذا استجمعت غلياناً .

وآخر دعوانا : أن الحمد لله رب العالمين .

كتبه
سعيد عبد العظيم
عفا الله عنه

(١) سورة الأنعام الآيات « ١٦٢ ، ١٦٣ » .

الفهرس

رقم الصفحة